# لكلّ مقامٍ مقال

القس د . متري الراهب

طبعة أولى

# لكــلّ مقــامٍ مقـــال

إعداد : القس د. متري الراهب

صدر عن :ديار للنشر، بيت لحم ،فلسطين ٢٠١٣

الترقيم الدولي : ٩ - ١٩- ٣٧٦- ٩٩٥٠- ٩٧٨

المطبعة :البطريركية اللاتينية - بيت جالا
الإخراج الفني والجمع : ديار للنشر
تصميم :إنجريد أنور الخوري
بدعم من: كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية - بيت لحم

جميع حقوق الطبع أو إعادة النشر محفوظة لديار للنشر ٢٠١٣

١. المسيحيون العرب ٢. اللاهوت المسيحي - الشرق الأوسط ٣. الكنيسة الإنجيلية اللوثرية
٤. بيت لحم - فلسطين ٥. الكتاب المقدس

www.diyar.ps

# إهداء

إلى زوجتي نجوى. . .

التي قاسمتني محطات الكتاب جميعها
حلوها ومرها
والتي ما زالت رفيقة العمر
والدرب والسبيل.

# مقدمة الناشر

هي خمس وعشرون سنة مرت من حياة القس د. متري الراهب قضاها راعياً لكنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم. وهذه الكنيسة ليست بغريبة عنه، بل فيها تعمد وفي أفيائها تثبت وفي كنفها تكلل.

وفي عام ١٩٨٨ تمت دعوته ليخدم رعيتها شيباً وشباباً، رجالاً ونساءً، وعلى منبرها وقف الأحد تلو الآخر واعظاً ومعمداً ومثبتاً ومكللاً ومجنزاً وخطيباً مفوهاً.
ولقد جمعت ديار في هذا الكتاب ثلاثاً وستين عظة للقس د. متري الراهب موزّعة في خمسة أقسام:
القسم الأول: ويحوي المحطات الرئيسية من حياته خادماً، ويبدأه بعظة الرسامة والتنصيب مروراً بكلمته يوم تسلمه رئاسة المجمع (السنودس) للكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأراضي المقدسة وانتهاء باحتفال اليوبيل بمرور ١٥٠ سنة على تأسيس كنيسة الميلاد.

ويتضمن هذا القسم أيضاً عظات حميمية تربط الراعي برعيته وأخرى ترتبط بهوية الكاتب اللوثرية التي يعتز بها دوماً.

أمّا القسم الثاني: فيتضمن باقة من عظات ارتبطت بالأحداث الجسام التي مرت بها المنطقة عامة وبيت لحم خاصة، إبّان الانتفاضة الأولى وانهيار المعسكر الشرقيّ، إلى حرب الخليج مروراً باتفاقيات أوسلو ثم الإنتفاضة الثانية وحصار بيت لحم وجدار الفصل العنصري وانتهاء بأحداث عالمية أخرى كتسونامي الذي ضرب اليابان، والأزمة المالية العالمية، وما يسمى بالربيع العربي، كل هذه أحداث تدوّي أصداؤها في كلمات الواعظ.

أمّا القسمان الأخيران فيحويان كلمات راعٍ بكى مع الباكين وفرح مع الفرحين وأراد أن يقاسم رعيته حلو الحياة ومرها.
ويصدر هذا الكتاب متزامناً مع احتفال المؤلف باليوبيل الفضي لرسامته قسيساً في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، حيث يسر "ديار للنشر" أن تقدم للقارئ العربي هذه الباقة من عظات القس الراهب للاطلاع على فكره وفقهه.

ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاح هذا العمل وقدم الدعم الفني واللوجستي وأخص بالذكر عمدة ورعية كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم، الذين ساهموا بجهودهم ليرى هذا الكتاب النور، بالإضافة إلى السيدة هبة ناصر الأطرش التي أشرفت على طباعته والأستاذ سلامة رزق لله الذي قام بتنقيح اللغة العربية والآنسة إنجرد خوري التي قامت بتصميم الكتاب كي يأخذ شكله الفني والتقني الذي يليق به.

وكلنا أمل أن يؤرخ هذا الكتاب لخدمة راعٍ عربي فلسطيني لوثري بيت لحمي، ويلقي الضوء على حقبة مهمة من تاريخ شعبٍ ووطنٍ وكنيسة.

**ديار للنشر**
**أيار ٢٠١٣**

# أفــراح

# قارب الزوجية

«أيها الأحباء في الرب،

لقد قدمنا اليوم إلى هذا المكان لنحتفل بعقد قران عروسين
عزيزين... لقد أتينا إلى هذه الكنيسة لنشهد ارتباط قلبين محبين.

أمامنا شخصان اثنان قررا وبمحض إرادتهما أن يسيرا مشوار
العمر معاً... أخذا على عاتقهما أن يمخرا عباب بحر الحياة
بقارب واحد، يقتسمانه في الصيف والشتاء، في الحر والبرد،
سيان عندهما أكانت العواصف خفيفة أم شديدة، سواء
أكانت الأمواج هادئة أم مزبدّة أو كانت السماء مشمسة أم مرعدة.

اليوم سيبدأ هاني وسهى حياة جديدة...
اليوم سيعمدان، سيبحران في قارب الزوجية يشقا معا طريقهما الجديدة...
بهذه المناسبة لابد لنا أن نهمس في أذنيهما بكلمتين اثنتين:

## ١) التفاهم

الحياة الزوجية مثلها مثل القارب لها مجدافان...
فإذا تحرك المجدافان معا بهدوء وانسجام، تقدم القارب
إلى الأمام وشق طريقه كالواثق بهدفه.

أما إذا راح المجدافان يتخبطان كالسكارى كل باتجاه،
ترنح القارب كالثمل، تارة لليمين وتارة لليسار،
فيفقد القارب عندئذ اتزانه ويضلّ طريقه ويضيع هدفه.
كذلك هي الحياة الزوجية: فإن ساد التفاهم بين الزوجين،
سارت حياتهما
بالاتجاه الصحيح

---

* عظة ألقيت في اكليل كلّ من:هلفا وأسامة حنونة بتاريخ ١٩٨٩/٩/٢٤وسهى وهاني حنونة بتاريخ ١٩٩٠/٦/١٠.

أما إن فعل كل على هواه،
وكل حسب رغبته فقد الزواج معناه وقوته ومتعته.

أيها الأحباء سهى وهاني،
لقد كنتما قبل لحظات كل مسؤول عن نفسه وحدها،
أما الآن فقد أصبح كل منكما مسؤولاً عن نفسه وعن رفيقه.
لقد كنتما قبل دقائق كل يعيش في بيته أما الآن
فستسكنان بيتا واحداً. وستعيشان تحت سقف واحد وستأكلان
من الصحفة الواحدة.

لستما أيها العروسان من الآن فصاعداً اثنين مفترقين،
بل أنتما روحان متحدان في فكر واحد، وقلبان
تشتركان في جسد واحد.

فإن كنتما تريدان السعادة والهناء،
فليكن همكما أن تفهما عقلية بعضكما البعض لتتقابلا في
منتصف الطريق فتعيشان في هناء ورخاء.

## ٢) الإيمان

أحيانا كثيرة تسير حركة المجدافين بهدوء وانسجام،
فيتابع القارب طريقه في أمان الله، ولكن فجأة ودونما
سابق إنذار، قد تتلبد الغيوم القاتمة في السماء،
قد تهب رياح عاصفة هوجاء، فتتقاذف الأمواج المزبدّة
القارب تارة لليمين وتارة لليسار.

في مثل هذه الأحوال وعندما يفقد القارب توازنه ويمسي ضحية
للرياح والعوبة في يد الأمواج، لا بد له من
أساس متين يلقي فيه مرساته، لا بد له من ميناء
أمين يلجأ اليه ليحمي حياته.

هكذا هو الحال في الزواج أيها الأحباء،
أحيانا كثيرة تسير حياة الزوجين بوفاق واتفاق،
فتبدو الحياة كالشمس ضاحكة مبتهجة، ولكن فجأة ودونما سابق

إنذار، تتلبد فوق السماء الزوجية غيوم الهمّ والأرق،
وتتقاذف الزوجين رياح المرض والقلق فيتعبان ويحزنان.

أحيانا كثيرة تسير أمور الزوجين داخل البيت بانسجام ووئام،
ولكن وفجأة تأتي مشاكل كثيرة يكون سببها أحيانا كلام الناس،
وأحيانا أخرى مشاكل العمل والتعب والإرهاق فتضرب بزخمها قارب
الزوجية، فيظن الزوجان أن القارب لغارق لا محالة.

في مثل هذه الأحوال، لا بد أيها الأحباء
من مرساة قوية، لا بد لكما من قاعدة متينة تركنان اليها
وتتثبتان بها كلما ساءت من حولكما الأحوال.

في مثل هذه الأحوال، حذارِ من أن تركنا إلى الناس، فهم
متقلبون كشهر شباط، وحذار من أن تكثرا من
لوم بعضكما، بل اذهبا واركعا أمام صليب مخلصكما.

اجعلا من إيمانكما بيسوع المسيح المصلوب مرساة قوية لبيتكما،
اجعلا من ثقتكما بالله وبمحبته قاعدة متينة لحياتكما،
ارفعا إلى الله طلباتكما، والقيا عليه همكما.

الجأا إليه في العسر واليسر في الضيق والفرح،
ارتويا دوما من نبع محبة المسيح الفيّاضة،
فيزهر حبكما وتكبر فرحتكما.

والله أسال أن يوفقكما ويباركككما ويهبكما من لدنه
الصحة والسعادة والرخاء، فترضياه روحاً ونفساً وجسداً
وتعيشان معا بالحب الطاهر كل أيام حياتكما. ومبروك»

آمين

# لم شمل

العزيزين فيولا ومروان،
وأيها الأحباء في الرب،

وأخيرا قد أتت هذه الساعة التي طال انتظارها...
بعد أن بدت للحظات وكأنها بعيدة المنال.
أخيرا جاءت اللحظة الموعودة...بعد أن بدت وكأنها من سابع المستحيلات.
وحتى عندما اقتربنا لنمسك بها بأيدينا... راحت ذراتها تفر من بين أصابعنا...
وكأن ما من سبيل لبلوغ الهدف، لإقامة الفرح أو لنيل المراد.

وللحظة خيل لنا أنه من الأسهل أن تلتئم قمة عربية موسعة،
من أن يجتمع أهل العروسين في مكان واحد وفي الميعاد.
فإغلاق الجسور ونظام منع التجول ومعوقات أخرى كثيرة راحت تعاكسكم
وبدا لأول وهلة بأن الدنيا قاطبة قد أجمعت ألا نلتقي في الميعاد.

ولكن ها هي المخاوف وقد راحت تتبدد...
وها هي الأحلام وقد راحت تتحقق...
ها هي الحدود قد راحت تتفتح...
وها هو الشمل قد عاد ليلتئم

أجل قد جاء هذا العرس يجمع شملنا...
فأبناء كفر برعم وقد شتتتهم الأقدار، عادوا يجتمعون اليوم بعد غياب طويل..
وأبناء بيت لحم، وقد فرقتهم الأحداث، ها هم يلتقون اليوم هنا على غير ميعاد...

وها هي بيروت وقد راحت تصافح عكا...وبيت ساحور أخذت تعانق عمان...
وشفاعمر تأتلف مع بيت جالا،
والتقى على تراب الأردن رعايا من النمسا وألمانيا والسويد والولايات المتحدة...

---

* عظة ألقيت في اكليل فيولّا ومروان بتاريخ ١٩٩٠.

التقوا ليحتفلوا بفيولا ومروان وقد تخطوا الحواجز...
وانتصروا على كل التحديات...
أجل، قد جاء هذا العرس يجمع شملنا.

عزيزيّ فيولا ومروان...
إن الذي يجمعكم اليوم الكثير الكثير...
فما يجمعكم أولا هو الانتماء إلى دائرتين حضاريتين اثنتين..
فلقد ولد كل منكما في المشرق العربي لأسرة فلسطينية..
وترعرعتما في أفياء مدينتي بيروت وبيت لحم...

هناك رضعتما عشق الأرض بزيتها وزيتونها وزعترها
ولكن وقبل أن يشتد عودكما، وتكتمل هويتكما...كان لا بد من أن تحزما الحقائب...
قاصدين القارة الأوروبية طلبا للعلم والفكر والاستقرار.

وهنا وفي حضارة تنطق بالألمانية تبلورت شخصيتكما...
هنا انخرطتما في دائرة حضارية غير تلك التي تركتماها...
هنا تعرفتما على نمط حياة غير تلك التي تعودتما عليها
وصرتما وبعد صراع ومراس طويلين...تنطقان لغتين...
وتقطعان حدود دولتين...
وتحملان في قلبيكما آلام وآمال قارتين.

وقد أغنى هذا التزاوج فكريكما وميز عطاءكما
وترك بصماته الواضحة في كيانكما...
ولم يكن هذا العطاء يوماً بلا عناء
ولم يكن هذا الحوار بلا صراع...
فرغم تجذركما في الحضارة الغربية
بقي الحنين إلى الوطن الأصلي يشدكما...
وبقيت أطلال كفر برعم وأزقة بيت لحم تناديكما...
"يا مغتربين عودا..."

ورغم انتمائكما الذي يحاكي انتماء الزيتون للأرض الفلسطينية،
راحت القارة الأوروبية تصغي لصوتكما...تعشق فيه
هذا الحنين الممزوج بعقلية تتخطى دائرة الزمان وحدود المكان...

إن ارتباطكما اليوم سيضيف إلى الصراع والحوار هذا بعداً جديداً...
فكل منكما قارة بحد ذاتها...
والزواج هو القرار على تخطي حدود الذات،
والسعي الدائم للوصول إلى الآخر.
فشريك الحياة بحر واسع متسع الأطراف.

بالزواج نبحر فيه لنكتشف فرائده...
لنتذوق جماله ولنحط على شطآنه...
بالزواج نبحر فيه علنا نسبر غوره...ونفك طلاسمه...
ونغوص إلى أعماقه، مع أن أعماقه كثيراً ما تبقى مبهمة...
لا نستطيع النفاذ إلى قعرها.

إن نجاحكما في حوار الحضارات هذه سيمنح
زواجكما الأساس المتين لحوار يتخطى الذات لملاقاة
الآخر بالفكر وبالإحساس.

والشيء الثاني الذي يجمعكما هو عشقكما للموسيقى...
فمروان تزوج من عودِه...وفيولا تعشق صوتها...
هي أرادت قبل أن تدرس التربية..أرادت أن تدرس الموسيقى...
وهو وبدل أن يدرس الهندسة راح يتسلل إلى حصص الموسيقى لينهل
منها ما استطاع إليه سبيلا.

ومن استمع لفيولا ولمروان بالأمس في قاعة الفندق يتزاجلان بموال وبغناء
أدرك أن عشق الموسيقى قد قاد كل منهما إلى عشق الآخر.
هذا العشق المشترك للموسيقى سيعطي زواجكماً أساسا مشتركا...
وسيضفي على حياتكما رونقاً مميزاً...
وسيمنحكما أداة فريدة للتخاطب وللتعبير عن مكنونات الذات.

بالزواج ستكتبان ألحاناً جديدة تعبر عن مشاعركما...
في زمن اليسر ستعلو في بيتكما أهازيج الفرح والنصر والاحتفال
وعند اشتداد العسر ستعبّر الأوتار عن الأحزان والآهات.
بالزواج ستنشدان معا أنغاماً جديدة.
أحيانا هو بالعود وهي بالصوت...

وأحيانا هو بالأغاني وهي بالترانيم...
وثالثة هما معا بالتواشيح والتقاسيم...
وسيبقى لكل منكما صوته ورنته ونوتته،
ولكنكما ستعزفان على الإيقاع ذاته...
وسيسمع أحدكما لصوت الآخر فحافظا على الإنسجام والتناغم.
وأخيرا ما يجمعكما اليوم هو الإيمان بهذا الإله الذي
تقفان الآن أمامه، وقد أتيتما لطلب بركاته.
فالإنسان في التخطيط، ولكن الله في التدبير والتبريك...
وستجدان في الإيمان بيسوع المسيح خير سند وأقوى عون...

ستكتشفان فيه رفيق درب وخليل سبيل...
فليكن هو مثالكما...
فلقد تخطى بتجسده حدود السماء...
صار إنساناً لينهي عداوة الأرض للسماء...
وليفتح مع البشر حوار محبة وإخاء...
ليكن هو مثالكما...
فهو الإله الذي حول المهجر من منفى يجلس المغنون فيه
على أنهار بابل يبكون على أطلال الوطن...إلى مسرحٍ للعمل
الدؤوب، للفكر، لنشر البشارة بالخبر السار.
إذ قال : اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.

وهو الذي نادى بأن تُرنّم لله كلُ الأرض
فإذ كنتما فينا ستكونان سفيرين لله هناك.
بالإيمان ستتحول فيينا من مهجر ليس إلا...
إلى ورشة عمل دؤوب، إلى محور فعل...
وإلى رسالة بذل وعطاء.
فهو إله يتجسد في الزمان والمكان...
في شبابكما ستجدانه يركض أمامكما...
وفي زمن الشيخوخة سيصير لكما عصا تتكئان عليها.

لن تكونا وحيدين بعد اليوم...
بل هو سيرافقكما في حلّكما كما في ترحالكما...
هو سيمدكما بالقوة اللازمة في العسر واليسر.

هو سيرعاكما في الضيق والفرج، زمن المرض والشدة ما دمتما حيين.

ربما لن ترياه، وربما لن تشعرا بوجوده بينكما ولكنه سيكون
بينكما كالأب آتياً معزياً ومقوياً.
وهو سيعطيكما ترنيمة جديدة ولحناً جديداً أزلياً».

**آمين**

# بيت على الصخر

**متى ٧: ٢٤-٢٧**

**عزيزيّ نسرين وطوني، أيها الأحباء في الرب،**

**هوذا ما أجمل أن يرى الإنسان أبناءه الصغار**
**(خاصة قريد العش) وقد اشتدت سواعدهم فأصبحوا**
**في ليلة وضحاها في سن الزواج...**

**هوذا ما أطيب أن يجد الإنسان شريكا لحياته**
**يقاسمه رحلة العمر، طيبها ومرها.**

**والأجمل أن يجد المؤمن مؤمنة مثله يجمع الإيمان**
**بين قلبيهما بالمحبة والرجاء...**

**أخيرا اكتملت فرحتنا، وها نحن نرى نسرين وطوني**
**وقد وقفا ليؤسسا لهما بيتا جديداً، يؤسسانه على الصخر...**
**في مثل هذه المناسبة ترنّ كلمات الإنجيل في آذاننا،**
**من يسمع أقوالي ويعمل بها أشبهه برجل عاقل...**
**بامرأة عاقلة بنت بيتها على الصخر...**

**ومن يسمع أقوالي ولا يعمل بها أشبهه برجل جاهل**
**بنى بيته على الرمل، فجاءت الأنهار وهبت الرياح وضربت**
**ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً...**

**عزيزيّ نسرين وطوني،**
**ستضعان اليوم أساساً لعش الزوجية في زمن أصبحت**
**فيه الحياة الزوجية مهددة من كل حدب وصوب...**

---

* عظة ألقيت في اكليل طوني ونسرين بتاريخ ٢٠٠٠/٨/١٥.

وبالرغم من صخب الحفلات الراقصة، وبالرغم من الأثاث الفاخر
الذي يزين العروسان به بيتهما، وبالرغم من هذه المظاهر
كلها نرى بيوتاً تتصدع وتنهار لأنها أسست على الرمل...
بيوتاً تتداعى لأنها تفتقر إلى التكافؤ بين الزوجين
وإلى الوعي الناضج والإيمان القويم.

عزيزي نسرين وطوني،
إن الإيمان المسيحي لهم لنجاح الحياة الزوجية،
وإن الإيمان بالشيء الثانوي، لهم وأساسي جداً لبناء الحياة الزوجية،
لأنه الصخر الذي عليه يرتكز البناء كله،
وعليه تركن أعمدة الزواج ، وبه يكون الأمان...

الإيمان المسيحي يساعدكما على تقبل الواحد للآخر كما هو...
قد يظن البعض أن الزواج ما هو إلا نهاية مرحلة
التعارف وبداية مرحلة التعايش، إلا أن العكس هو الصحيح...
فبالزواج تبدأ مرحلة التعرف الحق بالشخص الآخر...

التعرف به عن كثب...ومعرفته عن قرب
دون قناع ودون مجاملات ودون مقدمات.
فالحب قبل الزواج مشوب إلى حد ما بالخيال،
فقبل الزواج عادة ما يعشق الإنسان صورة
يرسمها في ذاته عن الآخر، صورة تنبع إلى حد كبير من
بنات أفكاره ورغباته وأحلامه، ولكنها صورة لا تتطابق مع الواقع.

أما بعد الزواج فلا بد للصورة التي نسجها خيال كل واحد
عن الآخر، أن تصطدم عاجلا أم آجلا بحقيقة قرينه،
فلا يعود الآخر مؤلهاً، بل يكتشف ككائن
له حدوده، ومزاياه ونواقصه.

فالزواج هو محك الحب الحقيقي، ذلك الحب الذي يقبل
بالآخر كما هو، كما خلقه الله، وكما قبله المسيح،
يقبله بحسناته وسيئاته، يقبله في ضعفه
وفي قوته، يقبله مريضاً كان أم صحيحاً.

الحب الحقيقي هو ذلك الذي يستر عورة الآخر..
هو ذاك الذي يعطي رفيقه الأمن والأمان..
ويضمه إلى صدره عندما تصيبه الرعشة وينقلب عليه الزمان.
الإيمان المسيحي يساعدكما على أن يفهم الواحد منكما الآخر...
عادة ما تتسم فترة الخطوبة بنشاط ملحوظ في الخطيبين...
فيركض الواحد ليلفت انتباه محبوبه، وينشط
ليحظى بإعجاب رفيق دربه، أما بعد الزواج، أي بعد
أن يأخذ الإنسان مراده ويحظى بقرة عينه، عندها
نراه يخلد إلى الراحة ويركن إلى السكينة وكأن المهمة قد انتهت.

بل إن كثيرين لا يعودون يهتمون بمظهرهم الخارجي.
بيد أن الزواج المسيحي هو سعي دائم نحو الآخر.
لكن لا للفت النظر، ولا لنيل إعجابه فحسب.
إنما الزواج الحقيقي سعي دائم لفهم الآخر ولإسعاده

فشريك الحياة بحر واسع مستقل بذاته،
وبالزواج تبحر فيه لتكتشف فرادته، وتتذوق جماله،
وتحط على شطآنه... وبالزواج تبحر فيه، علّك تسبر
غوره وتفك طلاسمه وتغوص إلى أعماقه،
مع أن أعماقه كثيراً ما تبقى مبهمة، لا تستطيع أن
ننفذ إلى قعرها.

بعد الزواج يصل الزوج إلى مرحلة يستطيع فيها أن
يقرأ أفكار رفيق دربه عن بعد.

ولكن فكر الإنسان طبقات وطبقات، مهما فهمنا
الآخر يبقى فريداً، يبقى مغايراً لتصوراتنا، يفاجئنا
بين الفينة والفينة.

الإيمان المسيحي يمدكما بالقوة للتغلب على المشاكل...
يظن البعض بأن العائلة المسيحية هي العائلة الكاملة الأوصاف
التي تخلو تماماً من المشاكل، والتي تسير الأمور فيها
دائما على أحسن وجه حيث التفاهم والتسامح والوئام تنساب فوق ربوعها.

ومثل هذا الزواج الوردي لا وجود له، اللهم إلا في
المسلسلات العربية الرومانسية أو العاطفية.
الزواج الحقيقي ليس بشهر عسل دائم،
بل هو حلّ وترحال، ومشاركة حقيقية.
الحياة الزوجية مليئة بالمطبات، بالحفر
والمهم ألّا يتهرب الزوجان من مواجهة هذه المشاكل
وألّا يسلكا طرقاً إلتفافية أو سبلاً وعرة،
بل المهم أن ينمّيا قدرتهما على التحمل.

فالأنهار والعواصف والرياح شيء طبيعي.
البيت الذي أسس على الصخر لا تخيفه هذه الظاهرة،
والبيت المسيحي لا يخاف المشاكل، فلا تستطيع
المشاكل أن تسيطر عليه، بل يسيطر هو عليها
وأساسه المتين يمتص صدماتها.

أجل في العائلة المسيحية يسير الزوجان طريقهما
دون خوف من الحواجز، ودون وجل من الصعاب،
فيركضان يدا بيد بقوة وعزم وهما في ربيع العمر،
ويتكئ الواحد منهما على كتف رفيقه في خريفه...
ولسان حالهما يقول:

يا رب من جمعتنا — لكي نكون واحدا
كن أنت دوماً رأسنا — وكن علينا سائدا

برأيك هديتنا — بحبك ربطتنا
كن ماسكاً يميننا — وقائدا حياتنا

إلى هنا أعنتنا — فنشكر ونسأل
يا رب من قرنتنا — بأنك تكمل

يا أيها الرب المجيد — يا منبع الحب الفريد
بحبك اضمن حبنا — وكن أساسنا الوطيد

# امرأة فاضلة من يجدها ؟!

**أمثال ٣١: ١-١٣**

**امرأة فاضلة من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ...**

**بهذه الكلمات لخص الحكيم قبل حوالي ثلاثة آلاف عام مفهوم الزواج.**
**ومع أن هذه الكلمات تأتي الينا من عالم قديم وغابر... إلا أنها**
**تبدو جديدة حديثة Modern في الكثير من تفصيلاتها.**

**فالمرأة الفاضلة التي يتحدث عنها الكتاب المقدس هي ليست بتلك**
**المرأة التي تجلس في البيت تعد الطعام وتنظف الصحون،**
**تتابع التلفاز وتنتظر رحمة زوجها...**

**لا، بل المرأة التي يتحدث عنها الحكيم في سفر الأمثال هي امرأة فاضلة**
**لأنها عاملة... فهي تشتغل بيديها، وتأكل خبزها من عرق جبينها**
**تكد ليل نهار لتعيل أسرتها...**
**تعمل في الحقل تشمر عن ساعديها تزرع وتحصد...**
**بل وتنخرط في التجارة فتبيع وتشتري بل وتعقد صفقات تجارية دولية**
**وهي إنسانة حكيمة تدخر قرشها الأبيض ليومها الأسود**
**فتشتري عقارات وأراضياً وتتملكها...**

**وهي امرأة متحدثة إن فتحت فاها أخرجت دراً...**
**وهي عالمة تراقب عن كثب أهل بيتها، تبقى عينها عليهم**
**بل وتكسب ثقتهم فتبقى معهم علاقات صداقة ومودة.**
**وفوق هذا وذاك هي امرأة فاضلة، تضع مخافة الله فوق كل اعتبار.**

**إذا فكرنا بهذا الوصف للمرأة الفاضلة في الكتاب المقدس،**
**ربما نجد أن دور المرأة اليوم تراجع كثيرا إلى الوراء بالمقارنة**

---

* عظة ألقيت في اكليل كلّ من:مارلين وسامر خوري بتاريخ ١٩٩٨/٥/١٨ و مريانا وفادي خضر بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٢٦.

مع دورها في العالم القديم...
مثل هذه المرأة الفاضلة، بل قل الجبارة، من يجدها؟
ثمنها لا يفوق اللآلئ فحسب، إذ هي لا تثمن ولا تقدر،
من وجدها وجد ضالته بل وجد نفسه.

فيقول الحكيم بأنها تصنع خيراً... وتحيك صوفاً...
وتشتغل بيديها...وتجلب طعامها من بعيد...وتقوم ليلاً...
وتشد ذراعيها وتتاجر...حقا إنها فاعلة...
امرأة كهذه من يجدها؟

سعيد هو كل من وجد امرأة فاضلة فاعلة كهذه،
ولكن العدل يقضي أن تجد المرأة أيضا بدورها زوجا فاعلا ومسؤولا...
فالزواج الحقيقي لا يمكن أن يكون مسؤولية فرد وحده،
بل هو مسؤولية مشتركة وكما يقول المثل الأمريكي:
إن رقصة التانجو بحاجة إلى اثنين لأدائها...

أيها الأحباء فادي ومريانا
لقد كنتما وللحظات قليلة سبقت كل مسؤول عن نفسه وحدها...
أما الآن فقد أصبح كل منكما مسؤولاً عن نفسه وعن رفيقه...
لقد كنتما قبل دقائق لا يحسب كل منكما إلا حساباته...
أما الآن فلقد أصبح كل منكما يحسب حساب نفسه وحساب رفيقه...

لقد كنتما بالأمس كل منخرط في عالمه الخاص...
أما اليوم فستدخلان عالما جديداً هو ملككما معا...
أجل ما كان، كان وانتهى،
أما الآن، ستفتحان صفحة جديدة من صفحات
حياتكما... وستكتبانها معا بقلم واحد ومداد واحد.

فالزواج الحقيقي ليس بمسلسل عاطفي شيق،
ولا هو بفيلم غرامي بل مسؤولية، مسؤولية كبيرة،
فهو كد وتعب...تفاهم وتحاور...بناء دائم ودؤوب.
ولكن لو كان الزواج مسؤولية ليس إلا، لكان شيئاً مقتاً
وتعباً وحملاً ثقيلاً... ولكن الزواج بركة أيضا...

فهو مشوار عمر مع رفيق درب دائم...
يطرد من النفس عزلتها، ويبعد عنها وحدتها...
الزواج مشاركة وفيه يجد الإنسان ضالته المنشودة،
ويجد شريكا يقاسمه ذاته ويشاطره أفراحه وأتراحه،
يركض معه في ربيع حياته ويتكئ عليه في خريفه...

الزواج مغامرة مثيرة بقارب ذي مجدافين، يبحر الجدافان به ليكتشفا أسرار الكون وشطآن العالم وخلجان الحياة.

أيها الحبيبين فادي ومريانا
ستصعدان اليوم إلى قارب الزوجية هذا، لتمخرا معا عباب بحر الحياة وتتشاركا نصيباً واحداً وتشتركا في مستقبل واحد.

قد يبدو هذا المستقبل أحيانا بعيداً، وأحيانا أخرى غامضاً، أو مجهولاً، ولكن هناك شيئاً واحداً أكيداً وهو أنكما لن تكونا وحيدين...بل سيكون هناك من يرافقكما... سيكون معكما في حلّكما وترحالكما...سيكون أقرب اليكما من نفسيكما...هو سيمدكما بالقوة اللازمة وبالزاد اللازم. ربما لن ترياه، وربما لن تشعرا بوجوده، ولكنه سيكون بينكما حانياً، معزياً، ومقوياً.

فالمرأة الفاضلة هي تلك التي تحياعلى المحبة ومن أجلها... والرجل الفاضل هو ذاك الذي يحيا على خوف الله وتقواه. أجل اجعلا من إيمانكما بيسوع المسيح مرساة قوية لحياتكما... واجعلا من ثقتكما بالله وبمحبته عكازة متينة لبيتكما... الجأا إليه في العسر واليسر، في المرض والصحة، في الضيق والفرح...

ارتويا دوماً من نبع محبته الفيّاضة فيزهر حبكما وتكبر فرحتكما. والله أسأل أن يوفقكما ويباركما ويهبكما من لدنه الصحة والسعادة والرخاء فترضياه روحاً ونفساً وجسداً وتعيشان معا بالحب الطاهر كل أيام حياتكما. مبروك

**آمين.**

# رقصة التانجو

**مزمور ٣٧: ٢٣- ٢٦**

**أحبائي في الرب جولين ورامي،**
**أهل العروسين الكرام،**
**أيها الحفل الكريم...**

**ما أحسن أن يرى الإنسان أبنائه وقد اشتدت سواعدهم**
**وقد أصبحوا في ليلة وضحاها في سن الزواج...**
**ما أطيب أن يجد الإنسان شريكاً لحياته... والأحسن أن نرى اليوم جولين ورامي**
**وقد وقفا بثياب العرس أمام الله وأمامكم ليؤسسا بيتاً جديداً...**
**القراءة التي اخترتها لهذا الحفل المبارك مأخوذة من سفر المزامير ٣٧ : ٢٣-٢٦**
**وقد اخترت هذه القراءة لعلمي أن قلب رامي يدق لجولين من ناحية وللرقص من ناحية أخرى...**
**فمسرح ديار الراقص هو هوايته وشغله الشاغل وهو ضرة جولين...**

**الرقص بحاجة إلى رفيق** Partner **والمثل الإنجليزي يقول** "It takes two to tango" **لذلك ما أصعب أن يكون الإنسان وحيداً في حفل راقص... وكذلك ما أصعب أن يكون الإنسان وحيداً في هذه الحياة... لذلك قال الله في سفر التكوين: " ليس جيداً أن يكون الإنسان وحيداً، فأصنع له معيناً نظيره".**

**أجل أوجد الله رباط الزواج كي يخوض الإنسان غمار الحياة هذه مع شريك يقاسمه رقصة الحياة، حلوها ومرها... ويؤنس وحدته... فيصبح الاثنان زوجاً واحداً... وهناك أمور ثلاثة نستطيع أن نتعلمها من الكتاب المقدس عن الزواج مستلهمة من الرقص...**

**الرقص له فلسفته وقواعده... هذه القواعد أو الحركات أو الخطوات يضعها ويكتبها مصمم مختص يدعى بالإنجليزية** Choreographer... **وفي المسيحية**

---

* عظة ألقيت في اكليل جولين ورامي خضر بتاريخ ٢٠١٢/٤/٢١.

فالله هو المصمم الأول والأعظم لذلك سمعنا صاحب المزمور يقول : « من قبل الرب تثبت خطوات الإنسان... خطوات الرقص يضعها المصمم... أما خطوات الحياة فيضعها الله... المصمم الأكبر... وهذه الخطوات وضعها الله في الكتاب المقدس... لذلك يقول الكتاب في موضع آخر: «سراج لرجلي كلامك»... المصمم مهم ولكن الأهم هو المعلم... فلكي ينجح الراقص في رقصته وكي يتقن خطواتها فهو بحاجة إلى معلم يجسد الحركات أمامه حركة حركة... وخطوة خطوة...

في المسيحية يسوع هو المعلم، لذلك كتب الرسول بطرس يقول: « فإن المسيح ترك لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته» المعلم والمثال هو المسيح... فكلما نظرتم إليه وتعلمتم منه تتشكلون على مثاله... وتتلمذون على يديه... وتتقنون حركات الحياة كلها... ولكن وجود المعلم وحده في الرقص لا يكفي... المهم أيضاً هو التدريب المستمر... كي يبقي الإنسان على لياقته... الحياة الزوجية بحاجة إلى الكثير من التدريب... في البداية الإنسان بحاجة أن يتعود على شريك حياته... وعلى الطريقة التي يسير بها... وعلى الحركات التي تصدر عنه... ولكن كلما أكثرا من التدريب تصبح الحركات عفوية متناسقة ومتناغمة. مشكلة الكثيرين من أزواج اليوم أنهم لا يريدون أن يتدربوا في الزواج... الزواج الحقيقي بحاجة إلى تدريب مستمر... إلى جهد متبادل كي يتقن الاثنان رقصة الحياة... في الزواج الحقيقي لا بد للإنسان من أن يشتغل على نفسه طوال الوقت وأن يشتغل الاثنان على زواجهما بلا كلل أو ملل. هذا هو السر في نجاح الحياة الزوجية.

الرقص بحاجة إلى ثقة كاملة بالشريك الآخر... في رقصة التانغو مثلاً نرى المرأة ترمي بنفسها إلى الوراء وكأنها ستطرح أرضاً... ولكن ترى الراقص وبكل حكمة يمد يده وراء ظهرها ويتلقاها ثم يرفعها... هذه الحركة بحاجة إلى ثقة كاملة بالآخر... بأنه موجود... وأنه قادر أن يحمله ويسنده ويرفعه فلا يسقط... هذه الثقة هي أجمل ما في الحياة الزوجية... أن الواحد موجود للآخر... أنه هناك ليسنده... وأن بإمكان الشريك الاعتماد كلياً على شريكه.

لذلك يقول صاحب المزمور في قراءة اليوم: «إذا سقط لا ينطرح، لأن الرب مسند يديه» هذه الثقة للزوج بالزوجة وللزوجة بزوجها... هذه الثقة مردها الثقة بالله نفسه... أنه موجود... أنه معكما... في كل الأحوال... وأنه باستطاعتكما الاعتماد عليه كلياً وفي كل الأحوال... لأن يده تسندكم.

الحياة الزوجية تشبه رقصة «ثنائية طويلة»... بل المقصود بها أن تدوم طوال العمر... «حتى يفرق بينكما الأجل». لذلك كتب صاحب المزمور: « أيضاً كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تخلى عنه ».

هذا هو جمال الزواج في الكتاب المقدس... إن الزواج صداقة تستمر طوال العمر... مع أن أشكال الصداقة تتغير... في البداية يشعر المرء أن حب الزوجين عاصف، شديد العنفوان كرقصة التانغو بخطواتها المتسارعة وحركاتها القوية. وهذا جميل... ولكن مجال الزواج المسيحي أن فيه أيضاً رقص ال slow يرقصه الاثنان متى شاخا معاً... يتكئ أحدهما على صدر الآخر وكأنه يهمس في أذنيه:« حتى ولو جار عليك الزمن... فانا هناك... أنا أبقى بجانبك »
هذا ما يقوله الله لكما اليوم...
أنه سيبقى أميناً لكما عند الشباب وزمن الشيب...
هو لن يتخلى عنكما أبداً...

عزيزيّ جولين ورامي...
ليكن زواجكما رقصة متقنة مهداة لله... مستوحاة خطواتها من الكتاب المقدس... ومستلهمة حركاتها من مثال المسيح...
ليكن زواجكما مبنياً على الثقة الكاملة ببعضكما البعض...
ومؤسساً على الثقة الكاملة بالمسيح الصديق الصدوق...
ولتدم رقصة الزواج هذه طوال العمر... ولتكن رقصة متقنة يراها الناس فيفرحوا، ويمجدوا الآب المصمم الذي في السموات.

# تكافؤ

عزيزيّ جيهان وداود، أيها الأحباء في الرب،
ما أجمل أن يقف الإنسان ليعظ في زواج عروسين عزيزين
واكب نموهما منذ نعومة أظفارهما...

ما أجمل أن يحتفل الإنسان بعقد قران عروسين، تعرّف
إليهما عن قرب، فعلمهما أطفالاً في مدرسة الأحد،
ورآهما شابين يترددان على نشاطات الشبيبة،
وفرح معهما يوم تخرجا من المدرسة ومن الجامعة.

والأجمل أن أقف اليوم لأعظ بزوجين، ما هما بالواقع إلا
زميلي عمل، بل قل زوجين وإن كانا على معرفة ببعضهما
البعض أيام الدراسة،
إلا أن اكتشاف أحدهما للآخر كزوج اكتمل من خلال عملهما في
نزل أبي جبران وفي دار الندوة- طبعا خارج ساعات الدوام الرسمي.

أيها الحبيبين جيهان وداود،
قد يظن البعض أن الزواج ما هو إلا نهاية مرحلة التعارف
وبداية مرحلة التعايش، إلا أن العكس صحيح:
فبالزواج تبدأ مرحلة التعرف الحق بالآخر..
التعرف به عن كثب، ومعرفته له عن قرب،
دون قناع، أو مجاملات،أو مقدمات.

فالحب قبل الزواج مشوب ، إلى حد ما بالخيال،
فقبل الزواج عادة ما يعشق الإنسان صورة يرسمها
في ذاته عن الآخر، صورة تنبع إلى حد ما من بنات أفكاره
ورغباته وأحلامه، ولكنها صورة لا تتطابق مع الواقع.

---

* عظة ألقيت في اكليل جيهان وداود بتاريخ ١٩٩٨/٨/٩.

أما بعد الزواج فلا بد للصورة التي نسجها خيال كل منهما عن الآخر،
أن تصطدم آجلا أم عاجلا بحقيقة هذا الآخر.
فلا يعود الآخر مؤلهاً بل يكتشف ككائن له حدوده
ومزاياه ونواقصه.

فالزواج هو محك الحب الحقيقي، ذلك الحب الذي يقبل
بالآخر كما هو، وكما خلقه الله وقبله بالمسيح
فإذا اختار الإنسان شريك حياته، كأنما لسان حاله يقول:
«أريد أن أعيش معكإ معك كما أنتإأنت بالحقيقة.»

الجميل في زواج جيهان من داود، أنه زواج متكافئ،
فهو ارتباط فردين من جيل واحد، نهل كل منهما مقداراً من العلم
فما منهما من جاهل أوعالم بل هما فردان تعلما في فلسطين
وفي الخارج، ولكن بعد تفكير قرر كل منهما
أن يقترن بإنسان من بني جلدته وحضارته «أي أن يلط اخداده
من طين بلاده»، فهناك توافق وتواصل وتناسق،
بعكس الكثير من زيجات هذا العصر حيث لا تكافؤ في المعرفة بينهما،
ولا تناسق بالسن ولا تواصل في الفكر.

وجميل في هذا الزواج أن العروسين، ما زالا في أول
مشوار عمرهما، ولكن لم يمنعهما ذلك من الإصرار على
تأسيس نواة بيت جديد، أرادا أن يبنياه معاً
طوبة طوبة وحجراً حجراً، أرادا بيتا يجبلانه بعرق جبينهما،
ويرويانه من نبع إصرارهما، ويؤسسانه على حبهما لبعضهما البعض.

أجل أمامنا اليوم عروسان قررا وبمحض إرادتهما أن يسيرا
مشوار العمر معاً، فيركضا معا يدا بيد في ربيعه ويتكئا على بعضهما
البعض في خريفه.

أمامنا اليوم عروسان أخذا على عاتقهما أن يمخرا عباب بحر
الحياة بقارب واحد، يقتسمانه في الصيف والشتاء، وفي الحر والبرد
سيّان عندهما أكانت العواصف خفيفة أم شديدة،
سواء أكانت الأمواج هادئة أم مزبدة أو كانت السماء مشمسة أم مرعدة.

والأجمل في هذا الزواج كونه رباطاً بين عروسين عرفا بنشاطهما الدؤوب، أكان ذلك مع الشبيبة، أم مع الخريجين أم مع الأصدقاء، فإن أبدى كل منهما القدر ذاته في النشاط والأخص في العطاء في زواجه كما في عمله فلا بد وأن يكلل هذا الزواج ببركة من الله.

يظن البعض أن النشاط ما هو إلا سمة من سمات فترة الخطوبة: إذ يركض الفرد فيها ليلفت انتباه محبوبه، وينشط ليحظى بإعجاب رفيقه، أما بعد الزواج وبعد أن يأخذ الإنسان مراده ويحظى برفيق دربه، عندها يستطيع أن يخلد إلى الراحة وأن يركن إلى السكينة. وما هذا بصحيح.

بل إن الزواج الحقيقي هو سعي دائم نحو الآخر،
لكن لا للفت النظر، ولا لنيل الإعجاب فحسب،
إنما الزواج سعي دائم لفهم الآخر ولإسعاده.
فشريك الحياة بحر واسع مستقل بذاته،
بالزواج نبحر فيه لنكتشف فرادته ونتذوق جماله
ونحط على شطآنه... بالزواج نبحر فيه علّنا نسبر
غوره ونفك طلاسمه ونغوص إلى أعماقه،
مع أن أعماقه كثيراً ما تبقى مبهمة لا نستطيع أن
ننفذ إلى قعرها.

عزيزي جيهان وداود،
ستصعدان اليوم إلى قارب الزوجية وستبدآن حياة جديدة،
ولكنكما لن تكونا وحيدين في هذا القارب، بل سيكون هناك
من يرافقكما بحلكما وترحالكما...سيكون أقرب اليكما من نفسيكما
هو يأمر الرياح فتصمت والزوابع فتهدأ...

هو سيمدكما بالقوة اللازمة في العسر واليسر،
وهو سيرعاكما في الضيق والرحب، في المرض والشدة
ما دمتما حيين.

ربما لن ترياه وربما لن تشعرا بوجوده بينكما، ولكنه
سيكون بينكما شافياً، معزياً ومقوياً...

فاجعلا من إيمانكما بالمصلوب مرساة قوية لقاربكما
اجعلا من ثقتكما بالله وبمحبته أساساً متيناً لبيتكما

فيا من سمعتم الندا يا من أخذتم الهدى
يا من قبلتم الفدا حبوا كما احببتم
ردوا على الآب الصدى أعطوا كما أعطيتم

والله أسال أن يوفقكما ويباركما ويهبكما من لدنه الصحة والسعادة والرخاء، فترضياه روحاً ونفساً وجسداً وتعيشان معا بالمحبة الظاهرة كل أيام حياتكما.

# كعكة العرس

عزيزيّ مها وهاني،

لقد ترددت كثيراً في موضوع العظة لهذه المناسبة السعيدة، ولكنني وبعد تفكير مليّ قررت أن أهديكما في يوم زواجكما سر كعكة الزواج السعيد، خاصة وأنكما معتادان على أكل الكعك اللذيذ، (فليزا) من جهة فنانة في أنواع الجاتوهات الأوروبية، و(كريستي) أصدرت كتاباً عن المطبخ الفلسطيني وحلوياته. لذلك ارتأيت أنا أيضاً أن أطلعكما على سر عمل كعكة الزواج الناجح. وهاكم طريقة عملها وسر صنعها:

المقادير المطلوبة:
٣٦٥ غم تفاهم
٣٦٥ غم تعاون
٤٩٠ غم تسامح
وملعقتان محبة
ونصف ملعقة من الإيمان.

أما طريقة عمل الكعكة فهي كالآتي:

**أولاً:**
أخلطا ٣٦٥ غم تفاهم مع ٣٦٥ غم تعاون خلطاً جيداً.
فالحياة الزوجية ما هي إلا مشاركة واختلاط واتفاق، وما هي إلا فهم الواحد للآخر والتفاهم معه. فشريك الحياة عالم مصغر مستقل بذاته، لا بد من أن نبحر فيه لنكتشف تفرّده، ونتذوق جماله، لا بد أن نبحر فيه لنسبر غوره ولنحط على شطآنه، ولكنه بحر يبق له أسراره و مكنوناته وتفرده. إن فهم الواحد للآخر لا يأتي بليلة وضحاها، ولا ينجز بشهر أو سنة أو حتى عقد بل هو مسيرة متواصلة وعمل جاد ودؤوب.

---

* عظة ألقيت في اكليل مها وهاني بتاريخ ٢٠١٠/١٢/٢٨.

* عظة ألقيت في اكليل رانية وفهد بتاريخ ١٩٩٣/١٢/٢٦.

لاحظا الكمية بدقة: قلت ٣٦٥ غم من كلا النوعيين، وفي هذا إشارة إلى أن الزواج بحاجة إلى التفاهم والتعاون طوال أيام السنة ال ٣٦٥. ففي كل يوم لا بد للزوجين أن يتعاونا ويتفاهما.

**ثانياً:**
أضيفا إلى عجين التفاهم والتعاون ٤٩٠غم تسامح. يظن البعض أن الحياة الزوجية السعيدة هي تلك التي تخلو من الصعوبات والمشاكل، ولكن مثل هذا الزواج لا يوجد إلا في المسلسلات الرومانسية والسطحية. الزواج الحقيقي ما هو إلا مشاركه لحياة أرضية، وما دمنا في هذا العالم يبق كل منا معرض للخطأ والخطيئة... نخطئ بحق أنفسنا وبحق شريك حياتنا وبحق بعضنا البعض، وما من طريقة لإصلاح الخطأ إلا بالاعتراف به... الاعتراف به للنفس أولاً وللّه ثانياً ولشريك الحياة ثالثاً. لاحظا الكمية المطلوبة بدقة: فالزواج السعيد بحاجة إلى ٤٩٠ غم تسامح... وقد تتسائلون لماذا ٤٩٠ غم؟ يحكى أن بطرس سأل يسوع قائلاً: « يا رب كم مرة يخطئ إلي أخي وأنا أغفر له؟ أيكفي ٧ مرات؟ « فأجاب يسوع: «لا أقول لك سبع مرات، بل قل سبعين مرة سبع مرات»، وهو الذي ينتج عنه ٤٩٠ مرة،
أي تسامحاً بلا حدود تماماً كما سامحنا المسيح.

**ثالثاً:**
أضيفا لعجينة التفاهم والتسامح ملعقتين من المحبة الخالصة... فالمحبة في الزواج كالفانيلا في الكعكة، فهي التي تعطي الزواج رونقه ونكهته... وبدونها يمتلئ الزواج مللاً مقيتاً لا طعم له ولا لون ولا رائحة.

هذه المحبة لا بدَّ أن تكون متجددة، فكما أن الفانيلا إن مضى عليها زمن طويل فقدت من مفعولها وقوتها، كذلك المحبة أيضاً لا بدَ أن تبقى طازجة وفوّاحه. انتبها إلى الكمية: قلت ملعقتان من المحبة الخالصة، وذلك لأن المحبة الخالصة لا يمكن أن تكون إلا متبادلة، لا يكفي أن تسير باتجاه واحد، بل هي طريق باتجاهين.

بهذا يبدو وكأن الكعكة قد جهزت واكتملت وبقي أن نخبزها، وربما نجد أن معظم الزيجات في عالم اليوم، إنما تكتفي بالمكونات التي سبق ذكرها. ولكن يا مها وهاني أريدكما أن تضيفا إلى العجينة ملعقة من الإيمان المسيحي. فالإيمان بالمسيح كالبيكنج باودر في الكعكة... إذ بدونه يبقى الزواج غير مختمر، يبقى ثقيلاً على المعدة، تنقصه الخفة والديناميكية والإسفنجية. كذلك فالحياة

الزوجية بدون الإيمان بالله أباً، وبالمسيح فادياً وبالروح معزياً، تبقى حياة بلا هوية ويصبح البيت الجديد بيتاً بلا عنوان ولا رسالة ولا هدف. انتبها مرة أخرى إلى الكمية: قلت نصف ملعقة من الإيمان. وقد يتساءل البعض: أتكفي نصف ملعقة من الإيمان؟ أولا نحتاج أكثر من هذا بكثير؟ وأقول المهم في الإيمان هو ليس كميته بل نوعيته. فالقليل منه مفعوله كثير. فحبة الخردل هي أصغر كل البذور ولكن إن وضعت في الأرض الجيدة أنبتت شجراً شامخاً. فقط انتبها أن يكون البيكنج باودر أيضاً طازجاً، وإلا فقد قوته... كذلك انتبها ألا يكون الإيمان بالمسيح تديناً عقيماً بل إيماناً حياً ومتجدداً.

ملاحظة أخيرة:
يحظر أن يشترك في إعداد هذه الكعكة أكثر من شخصي العروسين، فكلما كثر الطباخون فسدت الطبخة، فالبيت له أسراره وحرمته وخفاياه التي هي فقط من اختصاص الزوجين ولا أحد غيرهما. والله أسأل أن يوفقكما ويباركما ويمنحكما من لدنه الصحة والعافية والرخاء، ويجعل من زواجكما زواجاً سعيداً يفوح برائحة الحب، ويبارك بالإيمان ويتكلل بالنجاح والدوام.

آمين

# كلمة وحدث

# أرغن يصدح من جديد

ولدت في مدينة برلين، عاصمة الإمبراطورية الألمانية عام ١٨٩٢، فلقد جمعت أخشابي من أشجار البلوط المنتشرة في ضواحي المدينة، كما وصنعت صفاراتي في أحد أشهر المصانع الألمانية وتدعى Dinse ... ومنذ اليوم الأول لولادتي كنت كالطفل المدلل، فبالرغم من صغري، وبالرغم من وجود العديد من آلآلة الأرغن الأكثر كبراً وحجماً وثمناً، إلا أنني نلت قدرا كبيرا من العناية والاهتمام وحظيت باحترام ليس من بعده احترام... وعندما تساءلت عن سر هذا الاهتمام العجيب، قيل لي بأنني إنما صنعت لأعزف في مدينة بيت لحم، مهد المسيح الرب، في كنيسة جديدة، لم تدشن بعد، ولطائفة إنجيلية عربية فلسطينية... ولكن في الإمبراطورية العثمانية... كان هذا صعبا علي، إذ لم أكن أفقه شيئا في السياسة، كان عالمي هو برلين، هناك سكن الإمبراطور وليم الثاني، وكانت مدينة برلين تشهد حركة عمران واسعة.

إذ شيدت القصور وشقت الشوارع العريضة والطويلة وزرعت على أطرافها الأشجار الباسقة، وظن الجميع أن برلين إنما تشاد لتبقى... وفي صباح أحد الأيام الباردة، إذ بي أفاجأ بعمال المصنع وهم يفككونني قطعاً... قطعاً وإرباً.. إرباً، يضعونني في صناديق خشبية كبيرة، ثم يغلقون علي، ثم يحملونني على ظهورهم، يضعونني من بعدها على عربات تنقلني إلى مكان، قيل لي أنه خط السكة الحديدية... عربات حديدية تسير على قضبان طويلة، لا بقوة إنسان ولا حيوان، بل بقوة الفحم الذي يحرق، فقد قيل لي بأن هذا هو اختراع العصر، اختراع سيغير وجه التاريخ... آخ... كم كان مزعجاً الجلوس في ذلك القطار... وكم كانت صوت صفارته ناشزاً لأذني اللتين تعودتا الإيقاع السليم... قضيت أياما وليالي، قطعت الجبال والسهول لأصل من بعدها إلى مدينة يقال لها البندقية، مدينة شيدت على المياه... هناك تم إنزالي وسمعت الناس من حولي يتكلمون لغة غريبة، لم تكن الألمانية التي اعتدت سماعها... قضيت هناك أياما وليالي، أنتظر وصول ما يسمى بالسفينة، اختراع آخر من اختراعات الإنسان، اختراع قديم ولكن كان قد جدد، فاجتمعت هذه السفن تنقل البضائع من بلاد إلى بلاد...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠١/١/١.

وأخيرا جاء اليوم المنشود، حطت السفينة في البندقية، فحملني الحمالون إلى ظهرها، وسمعت صفارتها تنطلق ومن ثم رحنا نعوم على المياه... وانتابني الخوف الشديد، فقد قيل لي أن دوار البحر مخيف ومزعج وهو كذلك، خاصة عندما كانت الأمواج تضرب بنا يمنة ويسرة، فرحت أصلي، وظننت أنني لن أصل إلى مقصدي بل سأدفن في رحم هذه السفينة الإيطالية... ولكن لطف الله بنا، وسمعت أصوات الركاب وهم يهتفون بأنهم راحوا يرون شواطئ فلسطين، وبأن الفرج قريب، ولكن قبل اليابسة بقليل توقفت السفينة، ولما سألت عن السبب قيل لي أن ميناء يافا كثير الصخور فلا تقدر السفن الكبيرة على الإقتراب منه، وصعد إلى السفينة رجال الجمارك الأتراك، راحوا يفتشون البضائع، وراحوا ينكلون بالركاب طمعاً ببخشيش (رشوة نقدية)، وراحوا يتحججون بأن صفارات الأرغن كالبنادق لا يسمح بإدخالها إلى فلسطين... فحتى ذلك الوقت لم يكن قد دخل فلسطين إلا أرغن واحد ووحيد...

على كل حال وبعد أخذ ورد ومد وجزر، وبعد أن دفع القبطان بخشيشا للأتراك، أنزلوني من عن ظهر السفينة وأركبوني في قارب صغير وجاءوا بي إلى ميناء يافا، مدينة صغيرة قيل لي أنها عروس البحر، رأيت باعة السمك منتشرين هنا وهناك، كما رأيت المترجمين ينتظرون أن يستأجرهم أحد للترجمة... فموظفو الجمارك كانوا من الأتراك العثمانيين، وقيل لي أن لغة البلاد الرسمية هي التركية، أما عامة الشعب فكانوا يتكلون لغة أخرى وقيل لي أنها العربية... رحت أسترق السمع لأعود أذني على هذه اللغة التي بها سيسبح الله في الكنيسة التي سأنصب فيها... غير أن هذه اللغة لم تعجبني كثيرا، فقلت في نفسي : لا بد وأن الزمن سيجعلك تتعلمها وتفهمها وتتذوقها، على كل حال، حملوني مرة أخرى ووضعوني على عربة تجرها الخيول، وراحوا يجوبون البلاد... كان الطقس حاراً، لم أتعود عليه، ولم تكن صفاراتي قد تعودت عليه، شعرت بالزكام... ولكن كانت المناظر خلابة، فسهول خضراء وشمس مشرقة وسماء زرقاء، ولكن كان واضحا أن البلاد فقيرة، فالقرى بائسة تكاد لا ترى فيها عمران، وإنما أطلال مهدومة، قيل لي أن حكم الأتراك للبلاد لأربعمائة سنة قد أذلها، وأن الضرائب قد أفقرت المزارعين... وبعد مسيرة يوم وصلنا إلى خان يقال له، خان باب الواد... هناك استرحنا، وبتنا الليلة... وفي اليوم التالي عزمنا الرحيل، ولكنني فهمت أن الطريق من باب الواد إلى القدس محفوفة بالمخاطر، فهي أولا طريق جبلي وعر، والحمولة كبيرة على الخيل، لا نعرف إن كنا سنصل قبل غروب الشمس... وإن لم نصل فقطاع الطرق كثيرون، وكان أصحاب الخيل يخافون أن يباغتهم شيخ يقال له أبو غوش، عرف ببطشه وبقطع الطريق على المسافرين،

ينهب ثرواتهم... خاف الجميع علي... وخافوا أن تقطع أخشابي لتستعمل لإشعال نار لقهوة الشيخ الغريب، وأن تنهب صفاراتي وتستخدم لضرب الأسرى والمتهمبين... ولكن قيل لي بأن ذلك الشيخ كان لا يتعرض لإنجيليين بسبب هدية كان المطران غوبات الأسقف الإنجيلي الثاني في البلاد المقدسة قد منحه إياها... وفعلا مررنا من قرية أبو غوش بسلام، وصعدنا الجبل الأخير لنرى من بعيد مدينة القدس... سمعتهم يغنون ويرتلون لها في برلين، فظننتها أكبر بكثير، وأجمل بكثير، حتى قبتها كانت باهتة اللون، ولم أرى في فضائها الكثير من الكنائس فتعجبت... وقلت في نفسي ... هل من الممكن لبيت لحم أن تكون أكثر بهاء... وأعلى شأنا... وتابعنا المسير...

بالأمس رحنا نستمع إلى قصة ذلك الأرغن الذي ولد في القرن التاسع عشر في برلين، وقضى القرن العشرين بكامله في فلسطين وهاهو اليوم يشهد بزوغ سنة جديدة، وقرنا جديدا وألفية ثالثة...

كان الأرغن قد وصل عام ١٨٩٣ عندما وصل محملا على الخيول إلى القدس وتركناه هناك في طريقه إلى بيت لحم... وقلت له حدثنا يا أرغن عن أول انطباعاتك عن مدينتنا بيت لحم... فقال... بعكس انطباعاتي عن القدس، فقد رأيت بيت لحم أكبر مما توقعت... فنحن نرتل دائما عن بيت لحم، القرية الصغيرة. ولكنني فوجئت أن عدد سكانها قد تجاوز الأربعة الآلاف، كما وكانت بها حركة عمران رائعة بسبب الإرساليات المسيحية الأوروبية التي انتشرت هنا وهناك على أطراف المدينة...

كما وكانت الكنيسة التي وضعت فيها، كنيسة الميلاد، من أجمل كنائس البلد بل والمنطقة برمتها، ولكن ما أحزنني هو قلة أعداد الطائفة والتي بلغت الأربعين عضوا فقط، كما ولم يكن ترتيلهم حسبما توقعت، بل جاء باهتا بالرغم من محاولات القسيس آنذاك Butcher والذي كان يسمونه بالعربية «اللحام» وهي الترجمة العربية لاسمه.

هنا قاطعت الأرغن قائلا... إن قصتك مثيرة، ولكن أخشى أن مفهومك عن الوقت يختلف عن مفهومنا اليوم، فلقد عشت أنت في زمن كان القسيس اللحام يعظ بها مدة أربعين دقيقة دون أن يصيب الطائفة ملل أو كلل... كما وكان الحكواتي يجمع الناس يقص عليهم قصص ألف ليلة وليلة لساعات طويلة، دون أن يبدوا حراكا...

ولكن في عصر التلفاز الوضع تغير... فالعظة أصبحت قصيرة تدوم لعشر دقائق فقط، فإذا أكملت قصتك على الوقع ذاته، أخشى أن تظن الطائفة بأن قصتك ستصبح كالمسلسلات المكسيكية، لا من حلقتين بل من مائة حلقة وحلقة، فهل بإمكانك الاختصار...

قال وماذا تريد أن تعرف عني...

قلت خبرني عن رحلتك الأخيرة إلى الولايات المتحدة...

فلقد ولدت في أوروبا، ونشأت في آسيا، وقمت برحلة إلى أمريكا ولا أظن أن الكثير من أبناء جلدتك قد مروا بالتجربة ذاتها... قال بالصواب نطقت... لقد غيرت تلك الرحلة حياتي برمتها...

لقد كانت حياتي صعبة... وعشت بمرض مزمن في رئتي، بل كان عندي مشاكل في التنفس، ففي القديم... القديم كان الشباب يصعدون إلي لينفخوا يدوياً في رئتي الهواء كي أستطيع التنفس والصفير، ولكن ومع مرور الوقت تراجعت حالتي هذه، فأتوا لي بطبيب ألماني، قال أن هناك محركا كهربائياً لا بد وأن يربط بي فيضخ الهواء آلياً إلى رئتي... فربطوني به... وتحسنت حالتي كثيراً، إلا أنني عدت وانعكست وصار الجمهور يلاحظ تدهوراً في حالتي الصحية، فقد خشن صوتي بل ومع مرور الزمن أصبح صوت الشهيق والزفير أعلى عندي من صوت الترنيم، فقلت في نفسي... ما الفائدة، لقد خدمت هذه الطائفة لمائة عام، فاركن واسترح ونم في أمان...

وهكذا صار، فلقد انزويت على نفسي وانطويت على ذاتي وعشت وحيدا، لم يزرني فيها أحد بل راح الغبار يتكاثف علي رويدا... رويدا، وقلت في نفسي لا بد أن يأتي يوم يظن القسيس بأنك قد أصبحت عبئاً على الكنيسة ومصدر إزعاج فيتخلص منك فتنتهي قصتك في المزبلة...

ولكن وفي أحد الأيام زارني طبيب أمريكي قال بأن هناك أملا في شفائي ولكن الأمر مكلف... ورزقني الله بالعديد من المتبرعين الذين جعلوا ما تيسر لهم لينفقوا على عملية قيل لي أنها ستعيد الشباب لي... وفعلا ففي شهر شباط من عام ٢٠٠٠م جاء الطبيب وشرحني إلى قطع، ودفنت في صناديق نقلت بواسطة سفن حديثة ليست كتلك التي جئت بها فلسطين، فنقلت من ميناء حيفا إلى ميناء بوسطن، ومن ثم بناقلات سريعة وعملاقة إلى ولاية منيسوتا حيث وضعت في مزرعة بل معمل وهناك أجريت لي على يدي جراح يدعى رولاند من عائلة روتس، عملية جراحية استمرت زهاء ستة أشهر، حيث

أصلحت صفاراتي القديمة الخربة، وزرعت لي أعضاء جديدة كثيرة، ونلت حياة جديدة... وأصبحت في ليلة وضحاها، خلايا جسدي تعمل بالتقنية الرقمية، وهي تقنية القرن الحادي والعشرين...

جرى دم جديد في عروقي وكان الله قد كتب لي أن أعيش قرناً آخر...
وهنا رأى الأرغن في عيني فرحة ممزوجة بالحزن، فقال لي أنا أفهمك... فأنت تفرح معي بأنني قد تجددت، كما يفرح الأب مع ابنه الضال الذي كان ميتا فعاش، وكان منزوياً فانتعش...

ولكنني أفهم حزنك... ربما تود لو كان بإمكان الطب البشري أن يزرع في الإنسان خلايا رقمية فيعيد له شبابه...
بل لا تتصور يا بني ما يدور أحيانا كثيرة في مخيلتي... دوري صعب ودعوتي ليست بالسهلة... أن أعزف لطفل وليد جديد يوم معموديته «يا رب طفل قد أتاك...» وأن أعزف له يوم زواجه «أحضر هنا يا ربنا...» ومن ثم أعزف له يوم دفنه «أمكث معي يا سيدي...»

ليس سهلاً أن تتعود على أناس، تحبهم، ومن ثم تفارقهم... ولكن هذه سُنّة الحياة، وأعزي نفسي بالقول بأن عزفي وترنيمي إنما يريحان النفس ويدخلان إليها السرور...

لله درك... فنحن الآن على أبواب عام جديد، وقد رحت تتحدث عن الموت...
قال: «من لا يفهم الموت، لا يعرف الحياة... » .

قلت حدثني عن أصدقائك... هل كان لك أصدقاء أكثر...
وهنا صمت الأرغن قليلاً، أخذ نفساً عميقاً وكأنه راح يرجع بمخيلته إلى حياته القديمة ليتذكر، ومن ثم قال لي:
لقد منحني الله أصدقاء كثيرين، أخلصوا لي كل الإخلاص...
بل إن حياتي من دونهم هي هباء ليس إلا... قلت: « أنا أعرف أن الصداقة أمر شخصي، قد لا تريد أن تتحدث عنه علانية، قال لا بل دعني أحدثك باختصار عن بعض اللحظات التي لا تنسى لي مع أصدقائي...»

فهنا ومع صوت صفاراتي ثم نظم العديد من الترانيم التي ترنمونها دون أن تعرفوا تاريخها... اسألوني أحدثكم...
فلا أنسى مثلاً الفرحة التي غمرت المرحوم القس داود قربان عندما نظم

ترنيمته المشهورة :
« يا نفس قومي بالعجل ها قد بدت شمس الصباح
خلي التواني والكسل واسعي إلى رب الصلاح »

لقد صرخ وهو يعزف على صفاراتي وجدتها... وجدتها، وكأن المرحوم يزورني كل يوم في الصباح الباكر، وكأن اليوم لا يحلو له بعيدا عن أنفاسي... بل وهل تعرف أن هذا القس بعينه كان قد نظم في هذه الكنيسة وعلى أنغامي
ترنيمته المشهورة:
«كنت أسيرا في الأنام والعدل قاض بالقصاص
ففكني فادي الأنام وقال لي نلت الخلاص...

وينقصني الوقت كي أحدثك عن ترانيم القس سعيد عبود، ووديع خوري وإبراهيم ---؟ ووديع عطا، وإن نسيت فلن أنسى المرحوم توفيق سرور خاصة بجوقته الرنانة في أسبوع الآلام، ولا جوقة أبواقه الرخيمة صباح عيد القيامة. وماذا أقول عن المرحوم فهمي الهواش وكرستا نصرالله، أو عن الأستاذ ميخائيل زبانة أو فهد أبو غزالة أو جورج أبو دية وغيرهم... بل يسرني أنه قد أصبح لي أيضا أصدقاء جدد من الولايات المتحدة الذين أرجو أن ألتقيهم وأطرب على معزوفاتهم...

قلت: لله درك يا أرغن... قصتك جميلة تشد لها النفوس، ولكن وقد أوشكت العظة على الانتهاء، هل من نصيحة في صباح هذا اليوم الأول من السنة الجديدة، هل من نصيحة تسديها إلينا؟
لم يتوان الأرغن، بل نظر إلي متفحصاً إن كنت سأعمل بنصيحته،

وقال لي من دون تردد:
«الحياة غنوة... الحياة غنوة، قد تملأها بالبكاء والعويل، وأعرف أنكم معشر القوم الفلسطيني تحبون البكاء على الأطلال»، وكما يقول المثل الدارج، «لا يعجبكم عجب ولا صيام في رجب». ولكن الحياة غنوة «بإمكانك أن تجعل منها كابوساً ... صراعات زوجية في الصباح والمساء، مشاحنات ومخاصمات مع الأهل والأصدقاء، كراهية وبغضاء، عبء وحرب وصدام... ولكن الحياة غنوة»
تستطيع أن تجعل أنغامها حلوة، أنت العازف وأنت الناظم، وأنت المايسترو...
أنت تتحكم بزمام الأمور... إذا لم يعجبك اللحن القديم،
إجلس وأكتب لحناً جديداً...

ودعني أنهي بنصيحة ثانية:
أكثر من الترنيم... فالترنيم يجدد قوة الإنسان، إذا كنت فرحاً فترنم... وإن كنت مغرماً فستصفر... ولكن إن كنت حزيناً، وحيداً، مريضاً، خائفاً، حائراً، محتاجاً، تعباً فترنم أيضاً... فالترنيم هو سر الحياة... لذلك فالأبدية سنقضيها بالترنيم لا تجعل شيئاً في الدنيا يسلبك ترنيمك... بل اجعل وقت ترانيمك يكون هو وقت حياتك.
وهنا قاطعته: وقلت له: "أرى يا أرغن أنك واعظ محترف...
وسأعدك: أنني سأرجع لأسمع منك مرة أخرى...
ولكن رفقاً بطائفة القرن الحادي والعشرين، فقد أطلنا عليها... أستودعك الله...
وتركته وكلماته تطن في أذني...
«لا تسمح بأن يسلبك أحد ترنيمتك...»
وقلت في نفسي... هذا سيكون شعاري للعام الجديد...

آمين.

# حرب غزة مرة أخرى

**أشعياء ٦٥:١٧-٢٥**

في الأسبوع الماضي باغتتنا حرب من حيث لا ندري، فجأة وبدون سابق إنذار رأينا اشتباكات وقذائف وصواريخ تتناثر في سماء أرضنا...
ورأينا قتلاً ودماراً وتيتّماً...

والكتاب المقدس يشبّه الحروب أحياناً بالمخاض الذي يأتي للمرأة الحامل... فهو يأتي فجأة ولا يستطيع أحد أن يعرف الساعة أو الدقيقة التي يأتي فيها. والحروب سمة من سمات منطقتنا العربية... كانت كذلك أيام أشعياء النبي الثالث، والذي خطّ هذه الآيات... خطّها بعد أن اجتاحت الثورات البابلية مدينة القدس، فدمرتها ودكّت حصونها وأسوارها، وأحرقت هيكلها وسبت ما سبت وأسرت من سكّان البلاد ما أسرت، ويتّمت من يتّمت.

الحروب ما زالت سمة مهمّة من سمات شرقنا العربي... والحروب مكلفة أكثر جداً مما نفتكر أو نظن... يقال أن الحرب الأخيرة على غزّة كلّفت إسرائيل زهاء الأربعة مليارات شيكل... وإسرائيل لا تستطيع الاستمرار في الحروب لو دفعت هي وسكانها تكاليف الحرب من جيوبهم، ولكنهم يحصلون على المال والعتاد مجاناً... ويقال أن الحرب الأخيرة كلّفت غزة أيضاً حوالي المليار شيكل من بنية تحتية ودمار وخراب.

ولكن كلفة الحرب هي ليست كلفة مادية فقط... بل كلفتها الإنسانية هي الأكبر. فالحروب تقود الى التّشرد واللجوء... والكثيرون منّا يتذكرون نكبة ١٩٤٨ عندما كان أغنياء بيت لحم والقدس يبنون قصوراً لهم في البقعة ومياميلا والطالبية، وفي ليلة وضحاها اضطرّوا إلى الهروب وإلى ترك كل شيء وراءهم، في الحرب واحد يبني والآخر يسكن. ولا يقتصر هذا على الفلسطينيين فحسب... فمن ينظر الى العراق سيرى الشيء ذاته... مئات الآلاف شُرّدت... وبيوت قُصفت ودُمّرت... وأُخرى احتلّت من قِبل المجاهدين.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في أحد القيامة بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٨.

وينقضي الوقت للحديث عن سوريا، فأعداد المهجّرين وصلت إلى عشرات الآلاف... ومن يذهب إلى الأردن هذه الأيام قد يقابل بعضهم ممن ترك بيته وأرضه ورزقه وهامَ على حدود الدول المجاورة. والكلفة البشرية والنفسية قد تكون الشيء الأخطر، فالحروب تقود إلى أمراض نفسية كثيرة... أطفال يُصيبها الرّعب ونساء يُعتدى عليهنّ جسدياً ونفسياً... ورجال يخسرون كل شيء ولا يقدرون أن يدافعوا عن ممتلكاتهم، فيصيبهم اليأس والقنوط وخيبة من الذّات لا تلتئم جراحها.

لابُدّ أن نبينا أشعياء الثالث اختبر هذه جميعها عندما اجتاحت القوات البابلية مدينة القدس. والسؤال الأخطر الذي خطر على بال أشعياء النبي هو نفس السؤال الذي يدور في أذهاننا «أما آن الأوان لشرقنا العربي أن يحظى بالسلام؟»، «أمكتوبٌ لنا أن نولد وأن نعيش وأن نموت على دق طبول الحرب؟». فها قد بلغتُ الخمسين من العمر وعشت عشرة حروب منذ ولادتي، بمعدّل حرب كل خمس سنين. أما آن لليل الحرب أن ينجلي؟ أما آن لفجر السّلم أن ينبلج؟.

لا بد أن نبيّنا أشعياء كان قد فقد الأمل في السلام مثلنا، ولا بد أنه غسل يديه من هذه المنطقة... وظنّها ملعونة ومكتوب لها أن تبقى في دوامة الحروب... ولكن هنا يتدخل الله مخاطباً أشعياء بقوله، «هاأنذا خالق سموات جديدة وأرضٍ جديدة» «هاأنذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً». الله يبشر أشعياء النبي ليس فقط بشرق أوسط جديد ليس على شاكلة الشرق الأوسط الجديد الذي كتب عنه شمعون بيرس... ولا على شاكله الشرق الأوسط الجديد لكونداليسا رايس... ولا على شاكله الشرق الأوسط الجديد الذي نرى طلائعه في مصر مرسي حيث يحل الحزب الإسلامي مكان الحزب الوطني بدون أي تغيير يُذكر...

الشرق الأوسط الذي يتحدث عنه الله يصوغه بهذه الكلمات: «لا يُسمع فيه صوت بكاء ولا صوت صراخ»، ولا يكون هناك طفل يموت ولم يفرح بطفولته... الصبي يموت ابن مئة سنة شبعان أياماً، ويرى ولد الولد يركضون حواليه وليس في المهجر. ويتابع بقوله: «ويبنون بيوتاً ويسكنون فيها... لا يبنون ومن ثم يهاجرون فيسكن آخر...» ويغرسون كرماً ويأكلون ثمارها... لا يأكل ثمارها العدو أو الأجير.

لا يتعبون باطلاً... فيتعبون، ولكن أموالهم لا تأكلها النيران... وبيتهم تدمرها القذائف... ومتاجرهم تسرقها الزعران. ولا يلدون للرعب... أطفالهم يكبرون في

سلام ورخاء وفي أمن وأمان. لا يؤذون ولا يهلكون في كل جبل قدسي. هذا هو الشرق الأوسط الجديد الذي يتحدث عنه الله. هل هذه يوتوبيا؟ هل هذه أحلام يقظة؟ هل هذه أحلام وردية لا تمت للواقع بصلة؟.

اللاهوت يسمي هذه «رؤية نبوية» prophetic imagination أي أن النبي يستطيع أن يرى المستحيل ممكناً... والمحال مقبولاً... ولكنه في الوقت ذاته يعبّر عما في مكنونات النفس البشرية من توق للسلام وللعدالة... وعما يجول في الذات الإلهية من أفكار نحو أبناء البشر.

لا بُد أن نعترف أن السلام الدائم والشامل والكامل والعادل غير ممكن على هذه الأرض... فالإنسان يبقى إنساناً! له أطماع... والحزب له أطماع... والفرد بدوره طمّاع... ولذلك لا يُمكن أن نصل إلى حالة من الاستقرار الأبدي في هذة الأرض... لذلك اختارت الكنيسة هذه القراءة الأحدية لأحد الحياة الأبدية. ولكن السلام النسبي ممكن... الاستقرار النسبي ممكن... لذلك ينهي أشعياء النبي رؤيته بصورة جميلة:« الذئب والحمل يرعيان معاً... والأسد يأكل التبن كالبقر... أي لا وجود لغازٍ ولا لإمبراطورية غاشمة، بل هناك حسن جوار بين شعبين، بحيث لا يعتدي أحد على الآخر. بل يتقاسمان الطعام والشراب، الأرض والفضاء. وما ينقص الشرق الأوسط اليوم في خِضمّ ما يُسمّى بالربيع العربي هو رؤية نبوية لغدٍ مشرق، يكون للإنسان فيها أمان وكرامة وحقوق لا تُنتهك بل تُحترم».

# اضرابات

**أشعياء ٥٨: ١-٩**

أحيانا كثيرة، أيها الأحباء، يصلي ويبتهل الإنسان إلى الله، أحيانا كثيرة يتقدم الإنسان من إلهه بطلبات ودعوات ، وكثيرا ما لا يستجيب الله لهذه الدعوات ولا لهذه النداءات ولا لهذه الطلبات، ويدخل الإنسان في دوامه من القلق والشك والعذاب، ويبدأ بالتساؤل: لماذا لا يستجيب الله لصلواتنا؟ مع اننا نركع أمامه ونصلي لأجله؟ لماذا لا ينظر الله لحالنا ويمد لنا يد العون؟ لماذا لا يأبه الله بمتطلباتنا فيعطينا سؤل قلبنا؟

أمثال هذه الأسئلة راحت تصارع العديد من أبناء الشعب اليهودي زمن اشعياء النبي. فلقد مر هؤلاء بعد جلاء الاحتلال البابلي عن بلادهم بأوقات عصيبة وظروف قاسية ومريرة وضاقت بهم الحال، ولم يبق لهم أي بصيص من رجاء بالخلاص. وبينما هم على هذه الحال من اليأس والقنوط والعذاب، تذكروا وعود إلههم بأنهم إن طلبوه سيجدوه. وان صلوا وصاموا فسيرفق بحالهم، فقرروا أن يطلبوا الله، قرروا أن يسيروا حسب وصاياه، فاعترفوا بذنوبهم وتدينوا وانتظروا نورا فاذا بظلام، ضياء فلم يروا إلا سواد. رغم الصوم ورغم الصلاة لم تتغير أوضاعهم ولم تتحسن أحوالهم بل ظلّوا يعيشون في حالة من الاضطراب والتعب والضياع. بقائهم على حالهم أدخلهم في دوامة من العذاب راحوا يحتجون على الله وراحوا يعترضون بوجهه قائلين: لماذا صمنا ولم تنظر؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ؟»

ما أشبه حال هؤلاء اليائسين بحال العديد من أبناء شعبنا اليوم: أسئلة كثيرة راحت تراود نفوسنا وراح يرددها جيراننا وأصدقاؤنا: لماذا لم تفلح انتفاضتنا بالرغم من مرور سنتين على نضالنا؟ لماذا لم نتمتع حتى الآن بالحرية على الرغم من كل تضحياتنا؟ لماذا لم تتبدل أحوالنا رغم طول كفاحنا؟ حقا لقد استطعنا في السنتين الماضيتين أن نسمع صوتنا للعالم، حقا لقد رأى العالم بعينيه عظم مصابنا ومذلتنا وآلامنا، وراح يصدر التصريح تلو التصريح تضامنا معنا.

---

* عظة ألقيت فيكنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٢.

ولكن ها هو الآن قد نسينا، تركنا على حالنا وولى عنا إلى أوروبا الشرقية. حقا لقد استطاعت الانتفاضة أن تقوي من عزيمتنا في البداية ، ولكن ها هو الإحباط والروتين قد راح يتسرب إلى حياتنا فيشل قوتنا ويقتل فينا نشوتنا، ويدفعنا إلى التساؤل عن سر فشلنا؟

حقاً هناك أسباب خارجة عن إرادتنا أملتها علينا التغيرات العظيمة التي يمر بها عالمنا. ولكن هناك أسباب لفشلنا نحن مسئولون عنها. ولمعرفة الأسباب يدخل الله في حوار معنا، إنه عين الحوار الذي نقرؤه في سفر أشعياء: هناك يقوم الله للإنسان الذي راح يتذوق طعم فشله.

الصيام وحده لا يكفي، الإضراب عن الطعام وحده لا يرضيني، التمسك بالشريعة والتقيد بحرفيتها لا يفرحني. فأنتم إذا فعلتم هذا فإنكم تتمسكون بالحرف لا بالروح، بالمظهر لا بالجوهر. أتريدون أن تصوموا فحسناً تفعلون إن كسرتم خبزكم الذي توفرونه للجياع: أتريدون أن تصلّوا حسنا تفعلون ان فتحتم قلوبكم للمحتاج والتائه فهذا هو الصوم الذي يطلبه منا الله: أن نعيش كالمحتاجين لنشعر مع المحتاجين. وهذه هي الصلاة المقبولة، أن نرفع يدنا إلى الله في العلا وأن نمد يدنا الأخرى في الوقت نفسه لأخينا الإنسان.

أجل أيها الأحباء، سياسة الإضرابات وحدها لا تكفي، قد تضر ولا تفيد وقد تفيد أكثر من مستفيد، لابد لنا من خطوات إيجابية، خطوات بنّاءه، تساعد المحتاجين، وتعطي القوة للمتعبين وتحرر اليائسين.

قال الرب لأشعياء: «أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ» . إن أردنا أن نرى ثمر أتعابنا فلابد من قطع كل نير، وكم من نير يكبل أبناءنا وجيراننا ونفوسنا. كم من العمال مهضومة حقوقهم في مصانعنا، يكدون ليل نهار مقابل ملاليم يتقاضونها؟ كم من مسؤول في مؤسساتنا يتحكم بقراراتها كالدكتاتور ؟ كم من تاجر وحرفي يتلاعب بالسعر والكيل ويمتص أموال الفقراء من أبناء وطنه؟ الخطيئة- الخطيئة هي ذلك الداء الذي يمنع تقدمنا، الخطيئة هي ذلك الحجاب الذي يحجب صوت الله عنا، خطيئة رؤسائنا و خطيئة أولادنا و خطيئة أعمالنا هي التي تبعد الحق عن ربوعنا. مازلنا بعيدين كل البعد عن الأمانة في البيت والعمل والمصنع، ومازلنا نفتقر إلى الحق والنظام المخطط في العديد من مدارسنا، مستشفياتنا ومؤسساتنا، مازال في نفوسنا مارد يتربع على عرش قلوبنا ويقيد تطورنا ويحول دون تغييرنا.

لقد صدق الله، أيها الأحباء في تشخيص مرضنا. إن أردنا أن ننجح في أعمالنا فلابد من تغيير جذري في فكرنا ووعينا. لابد من تغيير نظرتنا وتقييمنا للكثير من أمور حياتنا. لابد من وقفة صادقة مع أنفسنا ومحاسبة دقيقة لنتائج سياستنا. مازالت أمامنا فرصة لتغيير مسار حياتنا ولتجديد قوانا وفكرنا ونضالنا.
لقد صدق الله، أيها الأحباء إذ قال بأن البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية. أجل فالأمانة ترفع من شأننا أما الظلم والخداع والمراوغة هي التي تشل تفكيرنا وتقيدنا. هنا تكمن سر المسيحية أيها الأحباء، هنا تكمن قوتها وعظمتها. هذا هو سر قوة الإيمان المسيحي، إنه إيمان قوي يحرر. فلقد صدق المسيح إذ قال: تعرفون الحق والحق يحرركم.

إيمان لا يشل حركة التفكير وحركة أبنائه، لا بل يساعد الإنسان كل يوم على محاسبة نفسه، ويقوده للاعتراف بخطيئته ويعطيه انطلاقة جديدة لمسار جديد وقدرة جديدة. لا مكان هنا للروتين بل للإيمان الذي يهيمن ويستولي على القلوب ، الإيمان العامل بالمحبة.

ليت الله يفتح قلوبنا في هذا الصباح فندرك أهمية إيماننا المسيحي، لعالمنا ولمجتمعنا ولقضيتنا. عالمنا متعب لأنه عطش إلى ثمار الروح، إلى ثمار البر والى ثمار المحبة. هذه الثمار لا يمكن أن يتحلى بها سوى المؤمن الذي يعيش مع المسيح ويحيا بالمسيح ويثق بالمسيح.

**آمين**

# الإرهاب

## أشعياء ٢: ٢-٤

هذه القراءة هي من القرآت المعروفة في الكتاب المقدس...
فكم من الشباب لا يعرف الترنيمة التي تقول...
هلم نصعد لجبل الرب نتعلم من طرقه
إلى بيت إله يعقوب ونسلك في سبله

وهذا القرار كلماته مأخوذة حرفياً من سفر أشعياء النبي...
كلمات أخرى من هذه القراءة انتشرت انتشاراً النار في الهشيم
في أوروبا في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي...

حركة السلام والبيئة الخضراء أخذت من كلمات أشعياء
النبي شعاراتها: يطبون سيوفهم سككا...
ورماحهم مناجل...
السكة والمنجل صارا شعار هذه الحركة ترفعه في كل مظاهرة
ضد سباق التسلح بين الشرق والغرب...

ولكن هذه القراءة التي تعاد مرتين هناك وتكاد تكون حرفية...
مرة هنا في سفر أشعياء النبي الأصحاح الثاني...
والمرة الأخرى في سفر ميخا النبي الأصحاح الرابع..

أشعياء النبي هذا كان مقدسياً من سلوان... متزوجاً من مقدسية
وكانت زوجته هي الأخرى نبية...
وكان له ابنان...
دعاه الله للنبوة سنة ٧٣٦ قبل المسيح...
وبالرغم من حالة الإستقرار النسبية التي كانت سائدة على زمنه
إلا أنه اختبر حادثتين غيرتا مجرى حياته وكانت بمثابة الخلفية لنبوءاته...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٨.

الحادثة الأولى كانت الزحف الأشوري على شمال فلسطين
والذي تم سنة ٧٢٢ ق. م. واحتلال شمال فلسطين من الدان ومن مشارف رام الله.
الحادثة الثانية التي أثرت على اشعياء كانت وبلا شك محاصرة القدس
من قبل سنحاريب سنة ٧٠١ ق. م.

بالمقابل نرى أشعياء يتنبأ عن واقع آخر...
أنه يرى أمم كثيرة تزحف نحو القدس ولكن لا لتحارب بل لتتعلم
من طرق الرب ولتسلك في سبله...
أنه يرى أمم كثيرة متنازعة ولا بد أنه كان يقصد
الأشوريين والمصريين والفلسطينيين والآراميين...
تأتي جميعها إلى القدس طالبة حكم القضاء العادل من الله...
وكأنه يحلم بيوم تتجه فيه الشعوب إلى القضاء لحل مشاكلها
بدل أن تحلها في ساحة الوغى... والله نفسه سيكون هو الحاكم
العادل الذي ينصف لشعوب كثيرين...
إله إشعياء ليس بالإله المتحيز الذي يقف مع شعب ضد الشعوب الباقية،
بل هو إله عادل يقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين...

إشعياء النبي اختبر - وعن قرب - معنى أن يحيا الإنسان في زمن الحرب...
وكيف أن آلهة الحرب تأكل الأخضر واليابس زمن الحرب حيث يضع المزارعون
سككهم ومناجلهم جانبا...
يهملون الأرض والزراعة والاقتصاد ويذهبون ملتحقين بسلك
الجندية ليموتوا من أجل الوطن...
مقابل هذا الواقع أراد إشعياء النبي أن يظهر واقعا آخر
يحدث فيه العكس... الرجال يطبعون السيوف الماضية
إلى سكك لحراثة الأرض... والرماح إلى مناجل للحصاد...
إشعياء يتحدث عن ثورة اقتصادية لا يستهان بها...
استبدال اقتصاد الحرب باقتصاد التنمية...

ولكن حتى تتم هذه الثورة الخضراء... هناك مسؤولية
تربوية لذلك نراه يقول: « ولا يتعلمون الحرب في ما بعد ».
لقد صعق النبي إشعياء وهو يرى الجيل تلو الجيل يتعلم الحرب...
فحديث الشارع أضحى عن الحرب... ولهو الأطفال في الشوراع
عن الحرب... وخيرة الشباب تؤخذ للحرب...

الناس تخرج من انتفاضة لتدخل في الأخرى...
والتهدئة لا تصمد لأكثر من أشهر لأن الجميع يعشق الحرب...
وفي الاحتفالات بالتوجيهي يفجر الكبسون وكأن الأطفال
قد اشتاقوا إلى سماع أزيز الرصاص... وأصوات القذائف...
أجيال تتعلم الحرب...
وفي الجانب الإسرائيلي... فإن اقتصاده مبني على الحرب...
إسرائيل أكبر خامس دولة في العالم في بيع السلاح...
وكل شاب وشابة عليهم أن يخدموا في الجندية وأن يلبسوا
الكاكي ويتعلموا فنون الحرب...
وفي العالم المتقدم يتعلمون الحرب... أكثر من نصف الأموال التي
تنفق على الأبحاث العلمية تنفق من أجل الحرب...
وأكثر الإختراعات توظف تباعاً في آلة الحرب...

هذا ما حصل مع نوبل، العالم السويدي الذي اخترع البارود
ورأى أن اختراعه هذا يستخدم من أجل الحرب... ورأى الويلات التي سببها
هذا الإختراع... فندم وقبل أن يموت ترك وصية أوصى فيها أن يذهب ريع أمواله
وتركته لجوائز السلام ولخلاص الإنسان ونهضة الحضارة البشرية...

نوبل الذي اخترع هذا السلاح الفتاك أراد أن يغير
هذا الواقع فطبع من سيف البارود جوائز للسلام...
ولا يتعلمون الحرب في ما بعد... هنا تنتهي كلمات إشعياء...
وإذا ما قارنا بينها وبين كلمات النبي ميخا...
نرى أن النبي ميخا يضيف جملة أخيرة لا تجدها عن أشعياء والتي تقول:
« بل يجلسون كواحد تحت كرمته وتحت تينته ولا يكون من يرعب... »

ميخا كان في الشمال من قرية الجديدة قرب بيت جبرين
(بقرب لأهل مخيم العزة) واختبر ما لم يختبره إشعياء النبي...
رأى بأم عينه الأشوريين يحتلون مدينته...
وعرف إحدى نتائج الحرب التي لم يختبرها أشعياء...
فالاحتلال قاد الكثيرين إلى الحروب والنزوح...
زرعوا كرومهم ولم يأكلوا منها... ولم يتأت لهم أن يجلسوا
في ظلها... بل آخرون غرباء هم الذين جلسوا هناك...
في الحرب تحدث الويلات... بيوت يتركها أصحابها خوفاً ورعباً...

ومن ثم يأتي المحتل أو البلطجي ويسكن فيها...
حدث هذا في لبنان ويحدث اليوم في فلسطين...
الحرب تعني أن يجلس الإسرائيلي في حافلة النقل مرعوباً...
ويستقل الإنجليزي القطار مذعوراً... ويركب الأمريكي في الولايات المتحدة الطائرة خائفا..

ميخا أدرك أن الحرب تجلب معها انفلاتاً أمنياً وأن زمن السلام لا يعني أقل من الأمان...
«ولا يكون من يرعب».
هل يمكن أن تتحقق هذه النبوات في عالمنا هذا؟
شهود يهوة يؤمنون أن بإمكانهم إقامة الجنة على هذه الأرض...

إشعياء وميخا متفقان أن هذا لا يكون إلا في آخر الآيام...
الإنسان سيبقى هو الإنسان ميال إلى الحرب...بفعل الخطيئة...
ولن تستطيع أي دولة أن تخلق الإنسان المسالم...
المجتمع ككل لن يتخلى يوماً عن حضارة الحرب...

هذا هو الواقع...
الحرب والموت هما العدوان الأخيران اللذان لن يقضى عليهما إلا في العالم الآخر... في آخر الأيام...

ولكن آخر الأيام لا تعني نهاية العالم فقط...
آخر الأيام هو زمن ميلاد المسيح أيضا...
« الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء بأنواع وطرق كثيرة..
كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه...
نبوة إشعياء تمت في المسيح...
وهي تتم في حياة كل إنسان يؤمن به...
الإيمان يحطم دوامة الرحب والعنف...
الإيمان يخلق واقعاً جديداً...
المسيحي يحيا حضارة الحياة في عالم الحرب والموت... »

آمين

# الأزمة المالية العالمية

**لوقا ١٦: ١-١٢**

**مثل هذا اليوم من أصعب الأيام فهماً للعهد الجديد بل هو الأصعب في حياتنا... لذا فكّرت ملياً قبل أن أكتب هذه العظة... فكرت أن أختار قراءة أخرى بديلة عن هذا المثل ( مثل الإنسان الغني )... وعبر القرون العشرين الأخيرة نرى اللاهوتيين يحاولون فك لغز هذا المثل وكل واحد منهم أدلى بدلوه... ولكن بعد تفكير طويل قررت أن أدلي بدلوي أيضاً وأن أبدي رأيي وأن أجرب ،علني أفلح في فك هذا اللغز... المثل يروي قصة إنسان غني... لا بد وأنه كان ملاك أراضٍ وكان قد أوكل أحدهم بإدارة بعضٍ من أملاكه... وفي يوم من الأيام جاء أحدهم و اشتكى على هذا الوكيل... قال أن الوكيل يقضم على موكله من ماله وخيراته... بل ويبذر أمواله بمنة ويسرى... أي أنه لا يتعامل مع أموال موكله وكأنها أمواله بل راح يظن أن الأمر كسب في كسب، فأخذ يصرف المال بلا حسيب أورقيب... يتصرف في أموال مديره كأنها أمواله. وما أن تبادر إلى مسامع الموكل أمر وكيله إلا وبعث في طلبه للحضور حالاً وسريعاً للقائه، وجابهه في الأمر وقال له: «أعط حساب وكالتك لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد!» أي سلم كل شيء وأعيده إلي... الحسابات... الأمانات... الموجودات... يعطيك العافية!**

**إلى هنا المثل قصة عادية تحدث كل يوم... ولكن وفجأة يتغير اتجاه القصة... الوكيل يجلس مع نفسه «يضرب أخماساً بأسداس» ويفكر «راح أصفي بالشارع»، «لازم أدبر حل»، «لا بد من شيء ما». أرجع وأعمل عاملاً بالأجر اليومي يعتبر إهانة لي ولم أعد أقوى على فعل ذلك... أجلس أستعطي وأترجى الناس أن يشغلوني بعد أن كان الناس يطلبون رضاي فهذا عيب. ما العمل... فجاءته فكرة...**

**أرسل في طلب المزارعين الذين كانوا يحرثون الأرض ويزرعونها «متضمنين الأرض»، وقال للأول -وكان يهتم بأشجار الزيتون-: كم تنكة زيت عليك هذه السنة لصاحب الأرض؟» فقال: مئة تنكة! فقال له الوكيل: حسناً أنا سأساعدك، لأنني أعرف وضعك وأشعر معك: اجلس اكتب خمسين تنكة، وأنا سأسامحك**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/١١/١٣.

بالنصف الآخر... إلتزاماتك كثيرة وأنت بحاجة إلى مال إضافي. راح المزارع يقبل يدي الوكيل ويشكره على كرمه وعلى كرم موكله وهو غير عالم بما يجري. وراح يخبر الناس كم هو كريم هذا الوكيل وذاك الموكل... ثم أرسل الوكيل في طلب مزارع آخر كان يزرع حقول القمح وسأله: «كم شوال قمح عليك أن تعطي لصاحب الأرض هذا العام!» فأجاب»مئة شوال». فقال اجلس اكتب ثمانين شوالاً». أنا سأسامحك بالعشرين الباقية... أنا أعلم أن ابنك قد شارف على الزواج وهذا يتطلب مصاريف إضافية... ونحن نشعر معك... فراح المزارع يترضى ويدعي بالصحة والعافية وطول العمر للوكيل وموكله... ورجع إلى بيته يتحدث عن كرم السيد.

إلى هنا أيضاً قد يحدث هذا المثل هنا أو هناك... ولكن المفاجأة الكبرى تأتي في الختام إذ نقرأ: «فمدح السيد الغني وكيل الظلم إذ بحكمة فعل». هنا المفاجأة : إن الرجل الغني الملاك لم يستشط غضباً من الوكيل لأنه سرقه مرتين: مرة عندما راح يتصرف في أمواله ومرة أخرى عندما أعفى المزارعين من جزء هام من الغلة وسامحهم. بل على العكس مدح الإقطاعي وكيله إذ إنه بحكمة فعل!

وهنا السؤال: هل يعقل أن يمدح إنسان غني وكيله لأنه سرق أمواله؟
«وشطب للمزارعين ديونهم؟» وهل يشجع يسوع بمثله هذا على السرقة والنهب؟ فما فعل الوكيل ليس «بحكمة بل بحماقة» وهناك فرق بين الإثنين!
هذه هي المشكلة اللاهوتية العويصة التي تواجه اللاهوتيين! ماذا قصد يسوع؟

وهناك عدة أجوبة:
الجواب الأول يحاول أن يرى في الوكيل شخصاً يحارب الإقطاع ويشفق على الفلاحين... وكأن المسيح هو روبن هود... يقتطع من الأغنياء ليعطي للفقراء... أشك في هذا الحل...

وهناك حل ثاني: إن الوكيل عندما أعفى المزارعين من جزء مما عليهم إنما عزا هذا الكرم لا لشخصه بل لموكله مما جعل صيت الغني يعلوأمام الناس. وهذا ما أفرح الغني... أي صار الكل يغني له... مما زاد من أسهمه في البلده وجعل منه إنساناً محبوباً بعد أن أعطى للفقراء هذه المكرمة... والناس في الشرق يحبون المكرمات (انظروا المكرمات الرئاسية هذه الأيام في دول الخليج والسعودية. الناس تخلف بحياة الحكام على سخائهم).
حل معقول!

ولكن هناك حل ثالث: الحل الثالث أن الغني أعجب بموكله ليس لأنه سرقه، بل لأن الوكيل فكر في المستقبل حتى في أحلك اللحظات... فكر بخطوتين إلى الأمام... أدرك أن عليه أن يؤمّن مستقبله وإلا هلك لا محالة... وهذا هو المغزى الروحي لهذا المثل: فالله هوالغني والوكيل هو الإنسان... فالله ائتمن الإنسان على إدارة خيرات الأرض... فكل ما نملك حولنا منه، وهو أوصانا أن ندير هذه الموارد... ولكننا نبذرها، لا نستخدمها بحكمة... كم هي الموارد الطبيعية التي تهدر يومياً: «نفتح صنبور الماء ونتركه مفتوحاً على رسله، أو نترك الضوء منيراً... طالما أننا لا ندفع الفاتورة من جيوبنا»، أو انظروا إلى ديون الدول الأوروبية اليونان... وإيطاليا... والبرتغال... لقد تصرف هؤلاء بأموال أبنائهم... اليوناني كان يتقاضى معاش ١٤ شهر بدلاً من ١٢، يتهرب من الضرائب... يسرق الدولة حتى أفلست... المشكلة أن كل هؤلاء لم يفكروا أن أبناءهم هم من سيدفع هذه الديون وسيغرقوا فيها وأنهم قد قضوا بالكامل على مستقبل أبنائهم من قصر نظرهم.

الحكمة هي أن نتصرف اليوم وعيوننا على المستقبل... أن نفكر كيف سنؤمن المستقبل لأبنائنا... هذه هي الحكمة الحقيقية. ولكن هناك أيضاً بعداً آخر. كيف يمكن أن نؤمن آخرتنا بعد أن أخطأنا؟ ويسوع يقول: كيف تتعامل اليوم مع الموارد التي أوكلت إليك فهذا له تأثير على آخرتك... أو من يرحم الناس يرحمه الله... ومن لا يبخل، لن يبخل الله عليه... المشكلة ان الكل يتصرف بأمواله ومدخراته والموارد الطبيعية التي وضعت تحت تصرفه بشكل أناني ووقتي ودون التفكير في المستقبل، إن الله سيسألنا يوماً: «أعط حساب وكالتك!» ماذا عملت بما ائتمنت عليه؟ لهذا اختارت الكنيسة هذه القراءة لهذا الأحد قبل الأخير من السنة الكنسية: إنما لتؤكد لنا أنه لا بد أن نعترف بالأموال والمهام التي أوكلت لنا بالنظر إلى الآخرة... هذه هي الحكمة الحقيقية التي نتعلمها من هذا الوكيل الظالم! نرجو ألا يكون أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور!

# الإنتفاضة الأولى

**أشعياء ٥٠: ٤-٩**

صراع طويل دار في نفسي وأنا جالس بالأمس في غرفتي...
أمواج متلاطمة كانت تدور في خلدي بينما كنت أكتب عظة هذا اليوم.
كنت قد ابتدأت ومنذ الصباح بالتأمل في كلمات العظة. فما أن حان وقت المساء إلا وكنت قد أتممت تأملاتي، كنت قد جمعت أفكاري، ولم يبق سوى أن أضع الأفكار في قوالب من حروف وكلمات. كنت سأتحدث اليوم إليكم عن يسوع الملك وعن الفرق بينه وبين الملوك والرؤساء الأرضيين. ولكن قبل أن أبدأ بكتابة عظتي، ذهبت كعادتي لأستمع لنشرة الأخبار المصورة لأرى ما يحدث حولنا ولأطلع على ما يجري في عالمنا.

وكم كانت دهشتي كبيرة وأنا أرى مدينة بيت لحم وقد بدت متألمة باكية، كم كانت دهشتي عظيمة وأنا أرى شوارع بيت لحم، وقد تحولت إلى ساحات حرب دامية، حقا إننا كثيرا ما نشهد اشتباكات حامية بين قوات الجيش وبين شباب بلدتنا. ولكن شتان ما بين هذه الاشتباكات وبين اشتباك الأمس. وقد ازدادت دهشتي بل وغضبي وأنا أرى أفراد الجيش وهم يقبضون على فتاة من فتيات طائفتنا لم تبلغ بعد سن الثالثة عشرة.
وصرخت ألم يجد هؤلاء الجنود من فريسة لهم سوى هذه الفتاة المسكينة؟
ألم تنج هذه الفتاة الصغيرة من قبضة الجنود الهمجية؟
وانتابني قلق على مصيرها ولم يهدأ لي روع إلا بعد أن تأكدت من أنهم قد أطلقوا سراحها وأخلوا سبيلها.
وعدت إلى غرفتي...عدت لأخط عظتي. ولكن هيهات ...هيهات
أن تتحرك يدي...أو أن تنساب أفكاري!
وكيف تتحرك يدي وقد انقبضت أنفاسي
كيف تنساب أفكاري وقد تشتت ذهني؟
وشعرت بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقي...وأحسست بثقل العبء المتراكم فوق ظهري...وصرخت: إلهي...ماذا سأقول لشعب أصبحت دماؤه مهرقة؟ ماذا أعظ في شعب أصبحت حياته محفوفة بالأخطار ؟

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في أحد الشعانين بتاريخ ١٩٨٨/٣/٢٧.

وتساءلت: إلهي...هل ستعطيني غدا لسان العالم الذي كتب
أشعياء عنه بأنه يغيث المعيي بكلمة؟ أنت ترى طائفتي منهكة،
تعبة وقلقة! أنت ترى حال طائفتي كحال شعبي لا تعرف ما يخبئه
لها غدها. فالغموض يكتنف مصيرها والخوف يحيط بمستقبلها.

إلهي...لن أستطيع مساعدتها إلا إذا فتحت لي أذني ووضعت كلامك
في فمي...لن أصعد غدا إلى المنبر لأنطق بكلام يذهب سدا مع الريح،
لن أفتح فمي لأهذي بكلام يبقى دون أي تأثير!
إلهي أعطني كلاماً يمنح قوة للضعيف، وأملا لليائس الحزين.
أعطني عظة تكون بمثابة الدواء للمريض، عظة تغير الفكر وقلوب المستمعين!

وهأنذا أقف اليوم أمامك، أيتها الطائفة العزيزة،
أقف أمامك لأسألك سؤالاً واحداً:
هل تتعطشين إلى كلمة من الله تقوي عزمك وتعزي نفسك؟
هل أتيت إلى هذا المكان تنشدين كلمة تغير حالك وتضمد جراحك؟
أم أنك ستخرجين من هذه الصالة كما أتيت،
خالية الوفاض، منهكة القوى، خائرة العزيمة؟

عظة اليوم هي للمتعبين وللمتألمين... إنها للمتهمين والمضطهدين...
فإن كنت أحد هؤلاء فلك عندي كلمة...
قراءة اليوم تفتح أعيننا لنرى إنساناً بذل ظهره للضاربين وخده للناتفين.
قراءة اليوم ترسم لنا صورة إنسان احتمل البصق والتعيير..
إنسان مكروه من الجميع، إنسان يضطهده الصغير والكبير...
إنه إنسان يرى نفسه وقد أصبح في قفص الاتهام وأصابع الجميع إليه تشير...
إنسان رأى العالم كله ينقلب ضده،
إنسان رأى نفسه وحيدا ليس له من يحامي عنه...

قد نكون قد مررنا في مثل هذا الموقف الصعب المهين...
قد نكون قد صحونا يوما لنرى أنفسنا متروكين وليس لنا من معين..
قد نكون قد صحونا يوما لنسمع ألسنة الناس تحط من قدرنا، تغتابنا وتلعننا..

أو لا يذكرنا هذا بموقف المسيح زمن الاعتقال والتعذيب؟
أو لا يذكرنا هذا بذلك الحبيب الذي طالما ذاق الآلام المرة والإهانة والتنكيل؟

ومع ذلك لم يخف ولم يتسلل الشك إلى قلبه... رغم ذلك لم يتراجع ولم يدع الخوف يجد طريقا إلى نفسه، بل مضى قدما على طريق الصليب... ثقة عجيبة كانت تملأ قلب ذلك المخلص العظيم... لم تكن هذه ثقة بالنفس بقدر ما كانت ثقة بإلهه...أجل أيها الأحباء، لقد احتمل المسيح الآلام والجراح، احتمل اللطم والعذاب لأنه وثق بإلهه.
وكأن لسان حاله يقول: السيد الرب ينصرني، لذلك لم أخجل ولذلك جعلت وجهي كالصوان وأنا عالم بأني لن أخزى...

لقد وثق المسيح بأن الله نفسه سيحامي عنه، لقد وثق بأن حياته ليست في أيدي الناس ولا في أيدي الرؤساء، بل في يدي الله...
لقد أحس المسيح بأن الله معه، بأنه قريب منه.
فصمم على مواجهة العالم كله: مبرري قريب فمن يخاصمني..
فلنقف معاً، من صاحب محاكمتي فليتقدم.
ها إن السيد الرب ينصرني فمن يؤثمني؟
يا لها من ثقة عظيمة بالله. الثقة بأن مصيرنا إنما هو في يد الله، الثقة بأن حياتنا إنما هي في يدي الآب.

ما أحوجنا أيها الأحباء إلى مثل هذه الثقة في هذا الوقت بالذات... في هذا الوقت الذي بدأ فيه الخوف يتسلل إلى قلوبنا وبدأ اليأس يعشش في أفكارنا. في هذا الوقت الذي أصبحنا نشعر فيه بخطورة الموقف وصعوبة الدرب، ما أحوجنا إلى الثقة الكاملة بالله.

فحياتنا ليست رهن الناس، إنما هي ملك الله...
مصيرنا ليس في يد الحكومات، إنما هو في يد
إله السماوات، لذلك فلتطمئن قلوبنا ولنوثق صلاتنا ونفوسنا بهذا الإله...

إذ حصن منيع ربنا — سيف ودرع للبشر
عون لنا وملجأ — في أي ضيق وخطر

آمين

# الجدار والميلاد

**لوقا ٢:١٠-١١**

**ماذا لو لم يولد المسيح قبل ألفي عام؟**
**ماذا لو ولد في هذا العام بالذات ؟**
**كيف ستكون يا ترى قصة الميلاد؟**
**وكيف كانت ستنسج خيوط أحداثها في مثل هذه الأوقات؟**

كانت هذه إحدى الأسئلة التي طرحت عليّ من قبل صحفي إبان زيارتي الأخيرة إلى الصين. فأجبت، لو ولد المسيح في هذا العام لتغير تسلسل قصة الميلاد... إذ عندها لما استطاع يوسف ومريم من أن يدخلا مدينة داود لكونهما من سكان الناصرة، يحملون هوية إسرائيلية ويحظر دخولهما إلى مدن الضفة الغربية.

لو ولد المسيح اليوم، لولد على حاجز ٣٠٠، في الشطر الإسرائيلي منه، كما يولد العديد من الأطفال الفلسطينيين على الحواجز بلا طبيب أو مشفى أو قابلة قانونية. لو ولد المسيح اليوم لعلقت أمه ويوسف على جهة من الجدار، بينما بقي الرعاة في الجهة الأخرى، لا يبعد الطرفان عن بعضهما البعض إلا أمتارا قليلة، ولكنها بعيدة كبعد المشرق عن المغرب. لو ولد المسيح اليوم، لما استطاع المجوس أن يروه ليقدموا له هداياهم، فالمجوس فرس، وهم اليوم جزء من محور الشر، لا تعطى لهم تأشيرات دخول أو خروج. لو ولد المسيح اليوم لبقي هؤلاء عالقين على جسر الأردن، يرون النجم وقد راح يبتعد عنهم رويدًا رويدًا ولكنهم لا يستطيعون اللحاق به ليروا بأم أعينهم كوكب الصبح الإلهي العجيب.

لو ولد المسيح اليوم، لما استطاع يوسف أن يأخذ الطفل وأمه ويذهب إلى مصر، فغزة مغلقة تماماً، وما من ممر آمن يعبرون منه، وحتى معبر رفح كان سيوصد في وجوههم، ليبقوا هائمين تائهين مطاردين. لو ولد المسيح اليوم لكتبت الصحافة الغربية أن يسوع ويوسف وأمه قد هربوا خوفاً على حياتهم لا من هيرودوس بل من الإسلاميين. لو ولد المسيح اليوم لاسترسلت الصحافة الغربية في شتم هيرودوس الإمبريالي الذي لا قلب له ولا رحمة.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الميلاد بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٢٥.

لو ولد المسيح اليوم لقامت على اسمه مئة مؤسسة غير حكومية، فلسطينية وإسرائيلية وعربية وأجنبية... يرصد بعضها الانتهاكات التي تعرض لها بالصوت والصورة، ويجمع بعضها الآخر التبرعات كي يبنوا له خيمة يسند رأسه فيها. ولراحت مؤسسات أُخر تتسول لتعليمه ولزواجه ولدفنه ولطرحت مؤسسة أخرى اسمها باسمه للتداول.

لو ولد المسيح اليوم لأُقيم على الحاجز عند مكان ولادته كنيس يهودي لذكرى تشريد طفل يهودي على يد الطاغية هيرودوس النازي، ولأقام هناك الرهبان الفرنسيسكان ديراً لتخليد الطفل يسوع وللإعتناء بالأيتام والمشردين، ولشيّد وعلى مرمى حجر من هناك مسجد إسلامي يحمل اسم الشهيد البطل عيسى الناصري، الذي ما كان يهودياً ولا نصرانياً بل مسلماً حنيفاً.

حقاً لو ولد المسيح اليوم، لتغيرت أحداث قصة الميلاد بحيث لا نعد نتعرف إليها.

ولكن العبرة ليست في المظهر بل في الجوهر، فبالرغم من كل الإختلافات لبقيت بشارة الملائكة على حالها بلا تغيير أو تبديل، ولرددت جوقة الملائكة نشيدها:
« لا تخافوا... فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب...
أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلصٌ هم المسيح الرب.»

أجل أيها الأحباء:
بشارة السماء للأرض هي هي... لا تخافوا لا تدعوا الخوف يعشش في جنبات قلوبكم... ويسيطر على عقولكم... ويتحكم بأفعالكم ويردعكم عن أداء رسالتكم... لا تخافوا... فلا خوف في المحبة... بل المحبة تطرد الخوف إلى الخارج. لا تخافوا من الغد لأن الغد يهتم بما لنفسه، ولأن المسيح سيبقى هو هو الأمس واليوم والى الأبد. لا تخافوا من أن تشهدوا للحق.. فالحق سيحرركم... وإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا.

لو ولد المسيح اليوم لبقيت بشارة الملائكة على حالها.. ها أنا أبشركم بفرح عظيم. فرح عظيم يحرر النفس من خوفها... ويفك أغلالها. فرح حقيقي أكثر معنى من سانتاكلوز أو من فرحة بهدية بلاستيكية أو ذهبية، بل فرح قلبي يغمر القلب الكئيب ويكسبه نضرةً وجمالا وبهاء. فرح عظيم ليس كما يعطيه العالم بل هو فرح حقيقي غير اصطناعي يفجر ينابيع القلب التي

جفت ويشفي النفس التي عطشت ويروي ظمأ الفؤاد بماء ينبع حياة أبدية.
بشارة الإله للإنسان هي في القديم كما في الحاضر. ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. البشارة هي لجميع الشعب دون تفرقة أو عنصرية. فمن ظن أن البشارة هي لفتح وحدها دون حماس أو حماس دون العلمانيين. فما زال يعيش في غياهب جاهلية ما قبل الإسلام. حيث القبيلة والقبلية التي تقول:

وما أنا إلا من غزية إن غوت  غويت وان ترشد غزية أرشد

الفرح لا يمكن أن يكون مكتملاً إلا إذا عم جميع الشعب. اللاتيني كالسرياني والمسيحي كالمسلم في مواطنة كاملة. للفقير كما للغني في المساواة أمام القانون للذكر كما للأنثى لابن المخيم كما لبنت القرية للبدوي كما للحضري. الفرح لن يأتي إلا إذا تحققت وحدة وطنية ترعى شؤون الشعب ولا تفضل قبيلة على أخرى إلا في المسؤولية... لأن من أُعطي كثيرا يطلب منه كثيرا.

الفرح لن يكون عارماً إلا إذا عم الضفة والقطاع بانتهاء الاحتلال وإقامة دولة القانون والحريات. الفرح لن يكون شاملاً إلا إذا انتشر من النيل إلى الفرات ليشمل العراق وسوريا ولبنان وإسرائيل والأردن.

هل هذه أحلامٌ وردية؟
أم هي تخيلات رومانسية؟
لا وألف لا. بل هي بشارة ربانية..
لمن يملك أذنين للسمع من أبناء البشرية. ليس المهم ماذا يمكن أن يكون لو أن المسيح ولد اليوم. بل المهم أنه ولد هنا قبل ألفي عام ولد لأنه يحبنا. ويعشقنا. والمهم أنه من مذود بيت لحم المتواضع شع بنوره ليطرد خفافيش الفشل والإحباط والظلام وجعل منا رسل تنوير وحضارة وإخاء.
ليس المهم ماذا يمكن أن يكون لو أنه ولد اليوم بل المهم أنه تجسد ليبدأ الله مع البشرية صفحة جديدة ونقلة نوعية وخلاصا سرمدياً

أجل هنا ولد الخلاص
هنا شع الرجاء
هنا أشرق الضياء
هنا تجسدت الكلمة
فلم تعد بعيدة عنا بل صارت قريبة منا وحلت بيننا. ولم يعد الله غريبا عنا بل أصبح قلبه مفتوحا لنا ومن رحم الليل ولدت شمس الحرية وكل ما هنالك

أنه يريد أن يتجسد اليوم من جديد في عالمنا إنه بحاجة إلى أيادينا وأرجلنا، بحاجة إلى عقولنا وقلوبنا، بها وبنا ومعنا سيغير الله العالم عالم اليوم ليطل برحمته ورأفته وحنانه علينا ويشع بنوره على أرضنا...
فنرى مجده مجداً مملؤاً نعمة وحقاً.

**آمين**

# الربيع العربي

## خروج ٣: ١-١٠

مرة أخرى وبدون ترتيب مسبق تأتي القراءة الكتابية مرتبطة بالأحداث السياسية... ففي الأسبوع المنصرم تركزت الأنظار جميعها على مصر، وقراءة اليوم تنقلنا إلى هناك مع فارق ٣٢٠٠ سنة... ومع مرور هذا الوقت الطويل تبقى أشياء مشتركة كثيرة بين ما حدث آنذاك وما يحدث اليوم، ولكن هناك فوارق مهمة على حدٍ سواء.

من يستمع إلى الأخبار عبر التلفاز، أو يطالع الجرائد سيراها ميلئة بالتحليلات السياسية... فكل يدلو بدلوه، وكل يحاول أن يلقي الضوء على ما حدث... ولذلك لا أريد اليوم أن أثقل مسامعكم بتحليل آخر... فليس هذا هو بيت القصيد، بل أريد أن نتأمل معاً في قصة الخروج علنا نستطيع من خلالها أن نرى ما لا يرى... إن قصة الخروج ليست قصة حدثت في القديم، إنما هي نموذج لمسيرات الحرية... إنها نظرة لاهوتية وثقافية لما يحدث في الثورات الشعبية...
فتعالوا معي نتأمل فيها بقراءة عصرية:

١. في كلتا الحالتين هناك شعب يذل...
الكتاب المقدس يتحدث عن الذل... في لغة هذا العصر فهناك شعب تنتهك حقوقه... هناك أجيال تولد في المذلة... تعامل بدون كرامة وكأنها نفايات... شعب العبرانيين في القديم كان يسخّر في الأعمال الشاقة، في بناء الأهرامات العملاقة لفرعون... من يتأمل في هذه الحجارة الضخمة وكيف كانت تقتلع من المحاجر ومن ثمَ تنقل لترفع على الأهرامات في عصر لم يكن فيه أية روافع كهربائية لا بد وأن يدرك صعوبة هذا العمل... كم من العمال قضوا تحت الحجارة ومزقوا شر تمزيق دون تعويض أو حماية وكأنهم لا شيء... وفي مصر مبارك كم من الأشخاص يفتقدون إلى أبسط الحقوق... أذكر في مرة في إحدى المؤتمرات في قبرص، أنه ومن خلال جلسة التعارف، تحدث أحد الآباء الأقباط وعرف نفسه على أنه راعي كنيسة الزبالين... لم أفهم معنى هذا الاسم... اعتقدت أولاً أن

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/٢/١٣.

سمعي قد خانني... فلم أفهم الكلمة... وقلت لا بدَّ أن يكون هذا اسم أحد القديسين في مصر الذي لم أسمع عنه قبلاً... فسألت هذا الأب مرة أخرى... ما اسم كنيستك؟ فقال لي: كنيسة الزبالين... تصوروا هناك مليون ونصف مصري يعيشون في المزابل... وفي وسط المزابل هناك كنائس... فالكثير من الزبالين هم من المسيحيين... هؤلاء يربون الخنازير في هذه المزابل ويعتاشون منها... وهناك ملايين تعيش في المقابر... بلا خدمات... شعب مسكين... لا حول له ولا قوة... كل همه أن يجمع القمامة من القصور والبيوت... الله في الكتاب المقدس يقف مع المظلومين... مع الشعب الذي تنتهك حقوقه لذلك يقول لموسى: «إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر... وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم... إني علمت أوجاعهم...» لا يوجد شك في أية جهة يقف الله ومع من يقف، فالله ليس بغير المبالي، بل يهمه الفقير والمظلوم وكل هؤلاء في دائرة اهتمامه.

٢. في كلتا الحالتين القديمة منها والجديدة يقيم الله أشخاصاً ينادون بالحرية... «أطلق شعبي ليعبدونني»... وفي كلتا الحالتين تقابل مطالب الشعب بالرفض... فرعون يرفض أن يطلق العبرانيين إلى الحرية... يتعنت... الكتاب المقدس يقول أن الله قسّى قلب فرعون... وفي لغة اليوم نقول: " تيّس"... لم يفهم كيف يقرأ الكتابة على الجدران... لم يستطع أن يشعر بنبض الشارع... في العهد القديم عشر مرات يحاول فرعون أن يتملص... أن يرفض... في الأسبوع الأخير كان هناك ثلاث خطابات لمبارك حاول أن يتملص فيها من الشعب..

ولكن هنا يأتي الفرق الأول:
في العهد القديم الحرية لا تأتي إلا بعد عشر ضربات... ثورة العبرانيين كانت ثورة دموية... عنيفة... الجميل في الأسبوع المنصرم أن ثورة الشباب بقيت سلمية... لم تزهق فيها الأرواح ولم تسفك فيها الدماء... هذا الفرق مهم... ربما مبارك تعلّم درساً، ولكن ربما الشعب أيضاً تعلم درساً... في العهد القديم فرعون يقتل ويطمر تحت الأمواج... في الأسبوع الماضي مبارك يعتزل... يغادر... في كلتا الحالتين الشعب يفرح يغني ويهلل... ويوثق لنا الكتاب المقدس ترنيمة مريم أخت موسى والتي تقول فيها: أرنم للرب فإنه قد تعظم... الفرس وراكبه طرحا في البحر... وكأن لسان حالهم يقول: الشعب أسقط النظام.

هنا أيضاً نرى فرق ثاني: في العهد القديم الله هو الفاعل...
هو الذي أطاح بفرعون... في العصر الحديث حل الشعب مكان الله...
الشعب هو الفاعل... هو الذي يسقط الأنظمة...

أحياناً بصناديق الاقتراع...
وأحياناً بالمظاهرات أو بالثورات...

٣. الشعب ليس بقديس... الكتاب المقدس لا يقدس الشعب فالله وحده هو القدوس... لذلك لا تنتهي قصة الخروج بخروج العبرانيين من أرض مصر إلا وقد تاهوا في البرية... القضاء على فرعون الطاغية كان فقط الجزء الأول وربما الأسهل... التحدي الأكبر للعبرانيين كان كيف يصلوا إلى أرض الميعاد... فالأرض الموعودة جميلة... أرض تفيض لبناً وعسلاً... أرض الميعاد كالديمقراطية... جميلة... الكل يحلم بها... والكل يتوق إليها... ولكن السبيل إلى هناك صعب... لذلك ما أن تخمد أصوات الترانيم إلا ويدخل الشعب في البرية... يتوه... لقد تخلص من فرعون... ولكن في البرية يجوع... من أين يأكل؟ فحتى موسى بعظمته لن يستطيع أن يطعمهم... فيثور الشعب في البرية... لماذا أخرجتنا يا موسى... أنموت في البرية... هناك على الأقل كنا نأكل... ونشرب... والشعب يبدأ بالتذمر على موسى وعلى الله... ويتوقوا إلى أيام فرعون...
هذا هو التحدي الذي ينتظر المصريين اليوم: هل سيستطيع النظام الجديد أن يؤمن للشعب لقمة عيش كريمة؟ من السهل الإطاحة بمبارك... ولكن هل ستستطيع القيادة الجديدة أن تغير النظام من أساسه... وأن تقيم نظاماً جديداً. في الكتاب المقدس جيل كامل يموت في البرية... لم يرَ أرض الميعاد... تخلص من فرعون... ولكنه لم يذق ثمار الحرية... حتى موسى منع من دخول أرض الميعاد... في هذه أيضاً حكمة... التغيير الحقيقي لا يحدث بين ليلة وضحاها... بل هو مسيرة طويلة لا تتحقق إلا على جسر من التعب ... فتغيير فرعون صعب ولكنه هين في النهاية... ولكن تغيير الشعب هو الأصعب... وتغيير الشعب بحاجة إلى جيل كامل... ولكن الشعب ليس له طول نفس... إنه بحاجة إلى التغيير وبحاجة إليه الآن...

٤. حتى يصل الشعب إلى أرض الميعاد فهو بحاجة إلى ثلاثة أشياء:

- هو بحاجة إلى تشريع جديد... دستور حياة جديد... لذلك أول شيء يعمله الله أنه ينزل التوراة ويعطي الشريعة لشعبه... إذن فتغيير الدستور المصري مطلب ملح ومهم جداً خاصة وأن دساتير مصر القديمة كانت أكثر حداثة من دساتيرها الجديدة... حدث تراجع في التشريع... وللأسف فإن فلسطين نقلت عن مصر جزءاً من تشريعاتها الجديدة.

- حتى يصل الشعب إلى أرض الميعاد فهو بحاجة إلى تغيير القيادة الفردية إلى قيادة جماعية... هذه كانت نصيحة ثيرون إلى موسى... لا تقد الشعب

كفرعون وحدك... بل عيّن سبعين شيخاً حكيماً كي يساعدوك... هذا هو التحدي الثاني للمصريين اليوم... الانتقال من حكم الحزب الواحد... إلى حكم تكون للأحزاب فيه مشاركة حقيقية...

- حتى يصل الشعب إلى أرض الميعاد فهو بحاجة إلى مساءله... لذلك وضع الله موسى تحت التوراة وليس فوقها... وعندما أخطأ موسى عاقبه الله بمنعه من دخول أرض الميعاد... بدون قانون يُسائل الصغير قبل الكبير. لماذا لا يوجد مستقبل في مصر... الكل يجب أن يكونوا تحت القانون... كانت هذه قراءة عصرية لقصة الخروج... صلاتي أن يبارك الله شعب مصر... وأن يقوده إلى أرض الحرية الحقيقة.

**آمين**

# الرئاسة

**يوحنا ٣: ١٦**

**أيها الأحباء في الرب،**

**أود أولا أن أستميحكم عذراً في هذا الصباح.**
**إذ وعلى غير العادة لن أخطب فيكم خطبة الميلاد.**
**بل سأخاطب طفل المغارة.**
**ففي جعبتي الكثير مما أريد أن أصرح به له.**
**في مخيلتي أسئلة تبحث عن جواب،**
**وفي قلبي شغف لفهم سر ذاك الإله الذي صار إنساناً،**
**وحل بيننا فرأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً.**
**ولكنني وأنا أخاطب سيدي،**
**أدعوكم إلى الاستماع، علكم تجدون شيئًا يفوق متعة**
**الكلام... علكم تجدون ضالتكم، ما زالت أبحث عن جواب،**
**أو خاطرة تأبى إلا أن تخترق جدران القلب والوجدان،**
**أو قبساً من نور يشع من النفق المظلم،**
**يخترق غشاء العقل والجدران...**

**يا سيدي...**
**في ذكرى ميلادك ارتأيت أن آتي إليك...**
**آتي إليك هربا من ضجة هذا العالم المضطرب...**
**والتي بدت في آخرها كأولها ...أخبار قتل وظلم ونفاق...**
**وطبول تقرع هنا و هناك، وشباب وأشبال في زي الكشاف يجوبون الشوارع**
**وصوت بائع متجول لا يترك للمرء مساحة**
**من خصوصية أو من حرية أو من اختيار...**

**يا سيدي...**
**في ذكرى تجسدك هذه السنة ستبدأ الحملة الانتخابية**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الميلاد بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٥.

سنسمع رسل المرشحين وكأنهم قد انضموا إلى جوقة الملائكة المرنمين...
فهذا سيبشرنا بخلاص من الأسر قريب...
وآخر سيعدنا بتغيير في وجهة السير، ما له من مثيل...
وثالث سيعدد علينا مناقب المخلص الموعود.
الذي ستكون الرياسة على كتفه... والذي سيكون حكمه
عجيباً مشيراً، والذي سيكون أبا للشعب ورئيساً يجلب معه السلام.

يا سيدي... لا أخفي عليك القول...
البعض منا سذّج ستنطلي عليهم الحيلة...سيصدقون أن
الرئيس القادم هو المخلص الموعود والمسيا المنتظر...
والبعض الآخر منهك . ومن يلومهم؟...إنهم يتمسكون بقشة علها
تحميهم من الغرق وتوصلهم إلى بر الأمان...
وآخرون تجّار يروجون لهذا المرشح ويدعون للتصويت
وذاك ليس إلا لأنهم مدفوعو الأجر، أو لأنهم موعودون بمنصب أو بنيشان...

يا سيدي غريب هو أمر هذا الإنسان...
فمرة تلو الأخرى يصدِّق وعود الساسة ويلدغ من نفس الجحر مرات ومرات...
بعد الفي عام لم يفهم الحكاية، لم يحفظ الدرس عن ظهر قلب...
بل بقي كريشة في مهب الريح...

يا سيدي نيسنا حكمة رعاة بيت ساحور غير المتعلمين...
كيف أنهم لم يصدقوا بشارة الملاك تلقائيا ولم يرقصوا
على وقع أنغامها طربين... بل ما أن انصرفت عنهم الملائكة
إلى السماء... إلا وقال الرجال الرعاة بعضهم لبعض...
لنذهب الآن إلى بيت لحم وللنظر هذا الأمر الواقع الذي أخبرنا به الرب...
الرعاة غير المتعلمين وقبل ألفي عام فهموا ما لم نفهمه نحن...
أن المهم ليس ما يقال بل الأمر الواقع الذي يرى...
وأن أهم حاسة في وقت الانتخابات ليست بحاسة السمع بل حاسة النظر...

يا سيدي...
أنا واثق أننا سنسمع وعوداً لا تضاهيها وعود...
سيعدوننا بالجنة نحن الذين اكتوينا بلهيب الجحيم...
وسنصدقهم، كيف لا وقد انضمت اسرائيل والولايات المتحدة

وأوربا إلى قائمة الملائكة المرنمين...
وسننسى جدار الفصل العنصري...وسننسى الانتكاسات التي
كان سببها الوعود الجوفاء...وسنغض الطرف عن الفساد
الذي عم البلاد وطغى...

وسنفيق من سكرتنا في العاشر من كانون الثاني...
لنكتشف أن أسيادكم في الجاهلية هم أسيادكم في الإسلام...

يا سيدي..
لقد سئمت الساذجين الذين يعيشون على النور الذي لا يبصرون..
وسئمت شرقنا المجتّر تاريخاً وأحلاماً كسولةً وخرافات طويلة..
شرقنا الباحث عن كل بطولة...عن صلاح الدين...أو عن أبي
زيد الهلالي...

يا سيدي...
اعترف الآن...وأظن أني تعلمت الدرس...
أقر...أنني قد شارفت على فهم معنى الميلاد...
فأنت المسيا المنتظر...أنت مشتهى الأمم...

أنت هو العنوان ...
فإنه – وقبل ألفي عام – قد ولد لنا ولد... وأعطينا ابنا...
ورأينا الرياسة على كتفه...ودعي اسمه عجيباً مشيراً
أبا أبديا رئيس السلام.
فلمَ الانتظار أيها الأحباء؟
ولمَ البكاء على الأطلال؟!؟
ولماذا إذن إضاعة الوقت؟!؟
لماذا نبقى نحدق في السماء بانتظار الخلاص...
إذ قد تم الخلاص...وغفرت خطايا الإنسان...

قالت السماء كلمتها الأخيرة... فما من حاجة بعد إلى الكلام...
جاء المخلص في محيّا الفادي... في مذود بيت لحم...
أجل يا رب... أظن أنني قد خرجت من سن المراهقة
حيث كنت أركض وراء العيون الزرقاء...

أخيراً أظن أنني فهمت معنى المحبة الحقيقية...
تلك المحبة التي أحببت بها عالمنا هذا...

يا سيدي...
في هذا الصباح أقف أمام مذودك لا أقوى على الكلام...
أتعجب كيف تطيق عالمنا المجنون هذا...
أستغرب لماذا أحببت أرضنا الجدباء هذه...
أحببتها رغم كذبها ونفاقها...
بل نزلت إليها وتجسدت بها وعشقتها...
لم تبعنا كلاما...بل وهبتنا حياة...
رفضت أن تتوج ملكا وآثرت إكليل الشوك غاراً
لم تعدنا بالسماء...بل قاسمتنا جحيمنا وبؤس عيشنا
كي تزهر أرضنا.

ولكن يا سيدي قل لي ماذا عن الانتخابات والمرشحين؟
أجابني وقد بدا واثقا:
ليس منهم المخلص... فأنا مخلصكم الوحيد...
كلهم ساسة... بحاجة إلى أصواتكم ليس إلا...
فلا تجروا وراءهم... بل إن أرادوا أصواتكم
فليبحثوا هم عنكم...
عليهم أن يقنعوكم... ولا تطلبوا منهم غير حقوقكم...
وهذه لا تساوموا عليها...
صوتكم يوم الانتخابات مهم، ولا تتركوا الميدان لحميدان..
بل به تعبرون عن آمالكم وآلامكم...
وبعد الانتخابات سيصبح هؤلاء ممثليكم سواء أشئتم أم أبيتم... وسيكونون وجها لوطنكم... وعنوانا لوجهتكم...
وتذكر يا بني...
ليس المهم ما تسمع... بل ما ترى من حولك...
تذكر حكمة الرعاة...
إن وعدوك بالمستحيل فاعرف أنهم من المنافقين.
فالمستحيل اتركه لي أنا الرب إلهك...
وأما الساسة فاطلب منهم أن يتفننوا بالممكن.

# معسكر ينهار

**١ كو ١٥: ١٩-٢٨**

**وأخيرا أسلم المصلوب الروح**
**أخيرا نكس ابن الله الرأس**
**وأُنزل جسد المسيح عن الصليب.**
**ونقل جثمانه إلى الضريح**
**ثم أغلق القبر بحجر كبير وثقيل.**
**أقفل القبر وانتهت قصة الحب العجيب.**

**الآن ستعود الحياة في فلسطين إلى مجراها المعتاد**
**فقد صلب ذاك الذي جال يصنع الخير ويجمع من حوله الجياع.**
**قتل ذاك الذي رفض الخضوع للرؤساء والحكام.**
**مات ذاك الذي امتنع عن قبول الرشوة. كما امتنع عن المتاجرة بالدين والإيمان.**

**الآن سيتابع دولاب الزمان دورانه كالمعتاد**
**فقد انتهت حياة ذلك الناصري المزعج الذي ظل يطرح الأسئلة الصعاب.**
**انتهت قصة ذلك الجليلي المتعب الذي ظل يحرض الشعب والفقراء.**
**انتهت أسطورة ذلك المقلق الذي حاول بث بشرى المحبة وراح يحطم شريعة الغاب...**

**الآن وبعد أن أقفل القبر بالأختام. فقد اقتلعت العاصفة الهوجاء وعاد السكون إلى القصور وإلى الهياكل والأسواق.**
**أغلق القبر وتسللت ظلمة لتغطي المسكونة برمتها...**
**وخيم سكون الموت على الخليقة كلها وكأنها قد ارتعبت لهول ما جرى...**
**وكيف لا ترتعب وقد رأت ظلمة القبر تلتهم بأنيابها نور الأنام؟**
**كيف لا ترتعد وقد رأت الموت يطبق بأسنانه على معطي الحياة؟**
**كيف لا ترتعش وقد رأت الأرض تضم بين ضلوعها رب السماء؟**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ١٩٩٠/٤/١٥.

وخيل للكون أن الظلمة قد أطبقت على النور،
وظنت البشرية أن اليأس قد طغى على الرجاء،
وتصور الشيطان أن الموت قد قضى على رب الحياة.

كانت تلك اللحظات التي قضاها يسوع في القبر لحظات مصيرية،
وكانت لحظات حاسمة في تاريخ المسيحية... فالمسيحية ليست
سوى المسيح، ولو استقر المسيح في ظلمة القبر، لأصبح
قبره مقبرة المسيحية بأسرها.

أجل كان قبر المسيح أخطر بقعة في الكرة الأرضية...
لأن الضيف الذي حل فيه لم يكن آمال أم فقدت وحيدها،
ولم يكن عزاء أمةٍ خسرت زعيمها
لكنه قبر احتوى بين ضلوعه مشتهى جميع الأمم،
وملتقى آمالها، واحتضن بين ذراعيه رجاء البشرية
ومعقل حماها واعتمادها.

حقا كانت الساعات التي قضاها يسوع في القبر قصيرة الأمد،
ولكنها كانت بالمقابل خطيرة الأثر، فلو طالت مدتها لاستطاعت
يد الظلم أن تتربع على عرش العدالة. فهناك على الجلجثة صلب
ثلاثة، فمنهم كان أقدس القديسين ومنهم من كان شر المجرمين،
وعلى الجلجثة علق نور الأنوار جنباً إلى جنب مع دامس الظلام،
هناك ارتفع رب الحياة والخلود ليرتفع بقربه أبناء الموت والفساد.
فلو بقي ثلاثتهم في القبر، لقلنا على العدل السلام.

ولكن قد قام المسيح مبرهناً للعالم أن الظلم وإن انتصر ساعة،
فإن العدل إلى قيامٍ الساعة...
قام المسيح مظهراً أنه وإن استوى الأبرار والأشرار عند الموت،
فسوف يتميزون في القيامة...
قام المسيح وأقام معه المسيحية الراقدة المستضعفة...
مبيناً أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها.
ومن يطالع تاريخ الكنيسة يرى أن الكنيسة كثيراً ما دفنت
تحت التراب، وكثيرا ما اضطهدت من الطغاة، وكثيراً ما
ديست بالأقدام ولكنها خرجت من معاركها هذه منتصرة.

ألم تضطهد الإمبراطورية الرومانية أتباع المسيح؟
ألم تطاردهم في كل مكان؟ ألم ترمي بهم أمام الوحوش
لتتسلى بمنظرهم وهم يصارعونها فيصرعون؟

حقا حاولت هذه الإمبراطورية أن تقتل المسيحية في مهدها،
كما قتلت ربها إذ كان بعد في مقتبل عمره، وتوارى
المسيحيون في الكهوف كما توارى جسد
المسيح خلف الصخور، ولكن فجر المسيحيون
بوجودهم غياهب الظلام وسطع نورهم في أرجاء الأمبراطورية
كلها وانتصر على جحافل الوثنية والجاهلية والظلام.

انظروا إلى ما حدث في الدول الشيوعية من انقلابات،
أو لم يدّع فلاسفتهم أن الله قد مات، وأن الإنسان
قد استولى على عرش مولاه، أو لم تحاول تلك الحكومات
من أن تحد من حركة المسيحيين هناك. ورغم هذا وذاك
راح المسيحيون يجتمعون في الكنائس والساحات، راحوا
يحملون بأياديهم الشموع والأزهار، معلنين أن النور لأقوى
من الظلمة وأن الحياة لأقوى من الممات.
وانتصروا، ومن باحات الكنائس سطع نور الحرية،
ومن على المنابر دوت أحداث تنادي بالديموقراطية،
ومع رنين الأجراس انتشرت بشرى انتصار المسيحية.

قولوا هذا أيضا للدول الغربية...
التي سرقت من المسيحية لونها وأفقدتها طعمها وسبت منها قوتها،
قولوا لها أن المسيحية وإن غطت في سباتها فلا بد من أن
تقوم، لا بد من أن تنهض لا بد من أن تنتصر...
قولوا هذا للدولة العبرية التي راحت تمس الممتلكات المسيحية
قولوا لها أنها قد تحتجز البناية لساعات وأيام،
وأنها قد تحتل الأرض لسنين وأعوام ولكن لا بد للحق
من أن ينتصر، ولا بد لرايات العدل من أن تعود لترفرف...

الغريب في قصة القيامة أيها الأحباء- أن الحكومات والأعداء
قلما يستهترون بقوة المسيحية... لذا أرسل الرومان

ثلة من الجنود ليحرسوا القبر، ولم يهدأ
للكتبة بال إلا بعد أن ختموا القبر بالشمع.

أما التلاميذ فكانوا غير متوقعين القيامة قط
هكذا هم تلاميذ المسيح أمسِ وهكذا هم اليوم
يؤمنون بكل شيء إلا بمسيحيتهم.
يتبعون كل فلسفة إلا فلسفة دينهم.
يخدمون ويتبرعون لكل المؤسسات إلا لكنيستهم.

مسيحيو اليوم يعيشون وكأن مسيحهم ما زال في القبر...
تراهم بالخوف مكبلين... وعن بعضهم مشتتين،
تراهم على أنفسهم منطوين وعن عالمهم منزوين
مسيحيو اليوم يحيون وكأن مسيحهم ما زال ميتاً في الأرض...
ليس لهم من عمل سوى أن ينعوه ويحنطوه ويرثوا لحال أنفسهم
ولكنهم فقدوا ملوحتهم، فقدوا هويتهم وفقدوا رسالتهم.

ولكنه قد قام... فأعاد جمع التلاميذ كما تجمع الدجاجة فراخها...
قام المسيح وحطم الأقفال التي حبس التلاميذ أنفسهم خلفها...
قام المسيح فتلاشى الخوف في نفوس أتباعه...

قضى على خوفهم من مواجهة العالم... قضى على رهبتهم من حمل
الصليب... وأعاد لهم نبضهم..أعاد لهم ملوحتهم... أعاد لهم قوتهم
وأعطاهم هوية جديدة وبشارة فريدة وقوة غريبة.

لقد قام المسيح فلننهض نحن من سباتنا.
قام المسيح فلنطرح عنا أكفاننا.
قام المسيح فلنجدد مع إشراقة الربيع حياتنا.

حقاً لقد قام المسيح من بين الأموات، ووطئ الموت بالموت
ووهب الحياة للذين في القبور فالمسيح قام... حقاً قام.

**آمين**

# أوسلو

**لوقا ٢:٧-١٤**

كان ذلك قبل ما يربو على الألفي عام... الوقت ليل والظلمة قد خيمت فوق مروج بيت ساحور... الناس نيام والسكون يخيم على الأزقة والطرقات، لا يُرى في الدجى سوى ألسنة لهيبٍ متصاعدة، التف حولها مجموعة من الرعاة راحوا يصطلون بنارها، وبينما هم يتسامرون ويتجادلون بأمور الساعة، كان بال الرعاة مشغولا بموضوع قديم جديد- موضوع فلسطين على مر العصور والأجيال - ألا وهو مفهوم السلام. لقد عاش الرعاة تحت نير الاحتلال الروماني ، ذاقوا منه الأمرين وخسروا أبناءهم بل وصودرت ممتلكاتهم وقطعانهم وفرضت عليهم أحكام صارمة. لا عجب أن يحلم الرعاة بالسلام في مثل هذه الحالة.

تطلع الرعاة للسلام كونهم ملوا الحرب والقلائل وحالة عدم الاستقرار، وتاقوا للسلام كي يتخلصوا من نير الذل والسيطرة الأجنبية. تعطشوا للسلام آملين بان تزدهر تجارة الماشية التي يشتريها جموع السواح ليقدموا قرابين في الهيكل. في هذا ساد الاتفاق بين الرعاة، لكنهم اختلفوا حول السبيل الأمثل للوصول إلى السلام: أحدهم وكان ينتمي إلى طائفة الغيورين قال: إن السلام لا يأتي الا بالكفاح المسلح ضد قطعان الرومان وجنودهم. ونادى آخر كان ينتمي إلى مجموعة الفريسيين: إن الاحتلال هو عقاب الهي نتيجة ابتعاد الشعب عن الشريعة وإن السلام لا يتحقق إلا بالرجوع إلى أحكام الله. وثالث أصر على أن الوضع صعب وأن ما من منقذ سوى ملكٌ قويٌ ومسيح منتظر وحاكم عادل. أما الرابع وكان من الصدوقيين فقد طالب بالواقعية ورأى أنه ما من بديل إلا القبول بخطة السلام الرومانية والتعاطي معها قدر الإمكان. وفجأة وبينما هم يتسامرون ويتحاورون فإذا بملاك الرب قد ظهر بهم...

بهذه الكلمات أرادت الملائكة أن توضح للرعاة وللعالم أجمع طبيعة السلام الحقيقي، واليوم في حوارنا عن السلام نتأمل في هذه الأنشودة ونستخلص منها العبر والدروس.
لذلك دعنا نمعن النظر في ثلاث من الجمل التي نقلها الملائكة للرعاة:-

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الميلاد بتاريخ ١٩٩٤/١٢/٢٥.

## ١. ها انا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب

بهذه الكلمات أرادت الملائكة أن توضح بأن السلام الحقيقي إنما هو السلام الذي يشمل الجميع ويعني جميع أفراد الشعب دونما تمييز أو تفريق. فالسلام لا يمكن أن يقصد به فرص استثمار للأغنياء واستغلال الأيدي العاملة الرخيصة للفقراء مما يزيد الفجوة بين الغني والفقير. بل هو سلام للغني وللفقير يضمهم ضمن طبقة وسطى تخلو من الغنى الفاحش والفقر المدقع. فالسلام مرهون بالتطورات الاجتماعية. والتطورات الاجتماعية مرتبطة بالسلام. والسلام الحقيقي هو السلام الذي يضم بين ذراعيه المرأة والرجل ويضعهم على قدم المساواة في الأجر وفي الحقوق والواجبات.

فرحٌ عظيمٌ يكون لجميع الشعب... للمسيحي والمسلم على السواء لا يفرق بينهم في الحقوق السياسية أو المدنية أو الاجتماعية. فرح عظيم يكون لجميع الشعب أي للطفل كما للشيخ. فيوفر للطفل طفولة سعيدة. ويحفظ لهم مناخاً صحياً للتعليم والنضج والإبداع. وهو سلام للمسنين يوفر لهم حياة كريمة ومخصصات للشيخوخة ورعاية خاصة. فالسلام والعدالة الاجتماعية مقترنان لا يفترقان. السلام الحقيقي هو سلام لجميع الشعب بكافة فئاته وأحزابه. فلا يمكن أن يكون سلام الحزب الواحد. أو الشيعة الواحدة. بل سلام الشعب كله.

تابع الملاك قوله للرعاة...

## ٢. لقد ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب

لم يهبط رئيس السلام من السماء بمظلة. بل ولد ولادة. ولد بعد فترة حمل استمرت تسعة أشهر وفي هذه إشارة إلى أن السلام لا يقدم للإنسان على طبق من الفضة. ولا يدلى له بحبال ذهبية أو لا يسقط عليه فجأةً من السماء. بل يولد مارا بفترة مخاض صعبة وطويلة. يولد وقد تحف به المخاطر من كل حدب وصوب. لا يأتي السلام في ليلة وضحها بل هو يحتاج إلى وقت ويمر بمراحل صعبة وخطرة. ولكن ما أن يولد إلا وينسى الإنسان أحزان الحمل ومتاعبه.

السلام اليوم مهدد كما كان الطفل مهدداً من قبل جحافل هيرودوس. يتكلم السياسيون اليوم عن السلام قيمته مليارين سنويا. مع أن التسلح يكلف منطقيا ٤٦ مليار كل سنة. السلام مهدد من قبل التسلح. فما من سلام إلا

وقد وضع حدا للتسلح وفتح مجالات للتعاون والتنمية الحقة. يولد السلام كطفل صغير، فهو بحاجة إلى العناية والرعاية حتى يشتد عوده وتنتصب قامته وتخشن أظفاره... لا بد أن يصان السلام كما يصون الإنسان حدقة عينه، أو كما يرعى الطفل فيقدم له ويضحى في سبيله بالغالي والنفيس.

عندما نفكر بالسلام نفكر عادة بأشياء كبيرة وبفلسفات معقدة، نظن السلام عاصفة هوجاء تقتلع كل شيء في طريقها محدثة تغيراً هائلاً في العالم، نظنه كما هائلا. ولكن الكتاب المقدس يتكلم عن سلام يولد حقيراً ويلتف باقمطة ويرقد في مذود حقير. علينا أن لا نبحث عن السلام في الأشياء الكبيرة، بل في الأشياء الصغيرة، يبدأ السلام في البيت، بين المرأة والرجل وبين الوالدين والأبناء يبدأ السلام في الشارع، في أنظمة السير وأنظمة الطرقات.
يبدأ السلام بمظهر المدنية وجدران بيوتها.

السلام هو ميلاد فكر جديد في عالم قديم، إنه ميلاد وتربية جيل جديد يهتم بالبناء، إنه جيل لا يعيش على التغني بأمجاد الماضي والتراث، بل جيل يعتني بصغائر الأمور ويهتم بالأطفال كيف تشب وتنمو، وعلى أي القيم تتربى وما المبادئ التي تزرع في قلوبها.

أنشودة الملائكة التي دوت في قضاء بيت لحم كانت:

٣. المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة. . .

هذه الأنشودة تؤكد أن إعطاء المجد لله وإقامة السلام على الأرض وجهان لعملة واحدة، ومشكلة مجتمعنا هي أننا فصلنا الدين عن السياسة فصلا كاد يكون تاما، وأبعدنا الوطنية الحقة عند دربنا، فأضحت وطنجية ومتاجرة ومزايدة ولم تعد على الإطلاق ، مكارم أخلاق، وما كان أن تمسكنا بالدين أو العداوة والخصام والأحقاد، ونسينا أن الإيمان ما هو إلا تسامح وإخاء وانفتاح على الآخر.

السلام الحقيقي هو السلام الذي يصالح الدين والسياسة بحيث تصبح حقائق العدل تمجيدا لله، ويصبح الإيمان بالله محركا لصنع العدل والسلام. تتحدث أنشودة الملائكة عن سلام على الأرض وليس السلام في الخيال، وعاش شعبنا يحلم بسلام خيالي، سلام يأتي راكبا على فرس أبيض، يقضي على أعدائنا ويحررنا، منقذاً إيانا من كل ظلم، وهكذا جد أبناء شعبنا بالكتابة عن السلام،

هنا نعتني بالسلام وننشد من أجل السلام ونكتب عن السلام، وظننا أننا بذلك قد عملنا ما علينا، ونسينا أن السلام لا بد أن يصنع على أرض الواقع، لابد أن يكون السلام ملموساً، فهو بناء وترميم، وتجارة واستثمار، إبداع وتعليم، بنية تحتية وشبكة اتصالات ملموسة وليس خطابات. من ناحية أخرى يعيش شعبنا مصلوباً على خشبتين، فأذناه تسمع بشرى السلام عالية تصدح عبر كل تلفاز ومذياع، أما عيناه فلا ترى من السلام غير أشلاء أموات.

تقول الملائكة: إن السلام الحقيقي لا يمكن أن يكون حبراً على ورق، أو عظات على المنبر، أو اجتماعات في دورات مغلقة، بل هو سلام ملموس على أرض الواقع، يراه الإنسان بعينيه المجردة ويلمسه بقلبه ويتحسسه بيديه الاثنتين. السلام يصنع ولا يأتي بحركة سحرية، هذه هي بشارة الميلاد فبالمسيح صنع الله سلاماً مع العالم، ودعانا لنكون صانعي سلام فندعو أبناء الله. فالمسيح هو ابن الله لأنه صنع السلام ولم يتكلم عنه وليتنا بدورنا نقتدي برئيس السلام فنصنع السلام في بيوتنا ومدارسنا، في مدننا ومؤسساتنا فندعى حقا أبناء الله.

أعاد الله علينا هذا العيد وقد تحقق فعلا السلام الحقيقي والعدل والأمان،
وكل عام وأنتم بخير...

**آمين**

# تسونامي

**مزمور ٤٦: ١-٣**

**أيها الأحباء في الرب،**

**في هذا الأحد نقيم صلاة خاصة لضحايا الكارثة في اليابان. فما من إنسان راقب التلفاز في الأيام الأخيرة إلا وانفطر قلبه لرؤية حجم هذه الكارثة هناك... فأولاً ضرب زلزال بقوة ٨,٩ على مقياس ريختر شمال شرق اليابان، وبعده بنصف ساعة جاءت أمواج تسونامي وكأنها جيش جرار وحصدت معها الأخضر واليابس، وبعدها بأيام فإذا بالمفاعلات النووية في تلك المنطقة تنفجر وتتسرب إشعاعات أمواج الجاما... والحصيلة مخيفة: ما يزيد عن ١٨ ألف بين قتيل ومفقود... مئات بل آلاف المساكن دمرت بالكامل... والإشعاعات النووية أثرت على المأكولات ولوثت المياه والوضع هناك ما زال هشاً... فمئات الزلازل ما زالت تضرب المنطقة... وإمدادات الغذاء ما زالت مفقودة... الطرق ما زالت مقفلة... وخطر انفجار أحد المفاعل النووية ما زال موجوداً... في هذا الأحد نريد أن نفكر كيف يتعامل المؤمن مع الكوارث! وهناك ثلاثة أمور هامة في هذا الشأن:**

١. **واجه الكوارث بالعلم...**

**المؤمن لا بد وأن يراقب ويدقق ويبحث ويتعلم ليفهم ما يجري حوله... المؤمن الحقيقي لا يضع رأسه في الرمال كالنعامة... ولا يريد أن يرى أو يسمع أو يفهم... بل الإيمان الحقيقي ينفتح على العلم... الزلازل ظاهرة مفسرة علمياً... ليست هي غضب إلهي كما يحاول بعض الأصوليين تفسيرها... وكما فعل أحد الوزراء اليابانيين مؤخراً... ولا هي حركة غامضة يصعب تفسيرها... بل الزلازل هي تحركات في الصفائح التكتونية في باطن الأرض... وفي كل منطقة تتلاقى فيه صفحتان معاً تكون تلك المنطقة منطقة زلازل من الدرجة الأولى... اليابان تقع على حافة إحدى تلك الصفائح... لذلك فهي معرضة دائماً للزلازل... ولكن مرة كل مئة سنة إلى مئة وخمسين سنة تحدث زلزلة كبرى... الشيء نفسه ينطبق على منطقتنا أيضاً... المنطقة بين الصفيحتين هنا تمتد من البحر الأحمر جنوباً**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/٣/٢٠.

وحتى تركيا شمالاً... بينما يمر صدع آخر عبر نابلس وحيفا إلى البحر...أي أن وادي عربة ووادي الأردن هو الحد الفاصل بين الصفيحتين... وهذا يعني أن الأردن موجودة على صفيحة وفلسطين على صفيحة أخرى... وبينما تنزلق صفيحة الأردن باتجاه الشمال تنزلق الصفيحة التي تقع عليها فلسطين إلى الجنوب... أي أن عمان مثلاً وقبل مئات آلاف السنين كانت تقع إلى الجنوب مكان البتراء... وبيت لحم كانت إلى الشمال مكان نابلس... نحن لا نشعر بهذا الحراك لأنه يحدث عبر مئات آلاف السنين... مع كل زلزلة كبرى تتحرك الجغرافيا بضعة سنتيمترات أو أمتار... ويعتقد بأن الزلزلة الحالية التي ضربت اليابان حركتها مسافة أربعة أمتار من مكانها...

نرجع إلى فلسطين إذ سيأتي يوم ستنسلخ فيه الأردن جغرافياً عن فلسطين وستتحرك كل منهما بإتجاه آخر... هذا سيحدث طبعاً بعد ملايين السنين وليس على زماننا... ولكن على زماننا يتوقع أن تحدث زلزلة كبرى مرة أخرى... إذ تحصل هذه الزلازل الكبرى مرة كل مئة إلى مئة وخمسين سنة، وحصلت آخر زلزلة بهذا الحجم عام ١٩٢٧ والتي خلفت آلاف القتلى ودمرت عشرات المنازل... العلم يساعدنا أن نفهم ما يجري من حولنا... وبالتالي نفهم القواعد العلمية التي تسير هذا الكون... فتماماً كما أن هناك قواعد للغة هناك قواعد للزلازل... ولذلك طور اليابانيون والأمريكان أنماطاً جديدة من هندسة البيوت التي تقاوم الزلازل... ففي اليابان كما في كاليفورنيا، كل بيت يصمم لا بد وأنه يبنى بطريقة مقاومة للزلازل... في الواقع لم تدمر بيوت في اليابان بسبب الزلازل... بل ما دمر كان بسبب أمواج التسونامي الهائلة... وللأسف في فلسطين وإسرائيل والأردن لا توجد بعد قوانين لإجبار السكان على بناء بيوت مقاومة للزلازل... وهذا شيء لا بد أن يحدث وهو في غاية الأهمية خاصة لمنطقتنا المعرضة للزلازل...

٢. **العلم مهم جداً لفهم وتفسير الظواهر ولكنه وحده لا يكفي...**

فبالإضافة إلى العلم فإن الإنسان بحاجة إلى الإيمان... فالكوارث الطبيعية لا تخاطب عقل الإنسان فحسب، بل وجوده كله يهتز باهتزاز الأرض... الهزة التي ضربت اليابان كانت أقوى بآلاف المرات من الهزة الأخيرة التي ضربت منطقتنا. من رأى أمواج تسونامي تخترق كل التحصينات تقتلع الأخضر واليابس وكأنها جيش جرار... وما من أحد رأى ذلك بأم عينيه - وبالأخص من عايشه - إلا وارتعدت فرائضه... كوارث مثل هذه تعيد إلى الأذهان كم هو مسكين هذا الإنسان... بعقله يفهم ما يجري من حوله... ولكن أمام الكارثة هو ضعيف... لذلك فإن الكوارث الكبرى تنطبع في ذاكرة الشعوب... ففي الذاكرة الفلسطينية كثيراً

ما نتحدث عن سنة الجراد ١٩١٥ ... أو سنة الثلجة الكبيرة... أو سنة الزلزال... إن إلقاء القنبلة الذرية على اليابان مثلاً يدفع بذاكرة هذا الشعب ليعيد التفكير فيها من جديد... وهذا ما سيحصل عادة جراء مثل هذه الكوارث... الكوارث تعيد الإنسان إلى البدايات... كل شيء يصبح بدائي... عندما يفقد الإنسان كل شيء... فإنه يهيم يبحث عن كسرة خبز أو نقطة ماء ولا يجد... فأمام الكارثة يظن الإنسان أنه هالك لا محاله... وأنه ما من منقذ له أو مساعد... لا أدري إن كنتم تذكرون حرب الخليج الأولى عندما ساد الخوف قلوب الناس من احتمال أن يضرب صدام صواريخ تحمل أسلحة كيماوية... وكان يمكن أن يموت الجميع بكبسة واحدة من عنده... والخطير هو كونك تدرك أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً حيال موقف كهذا... هنا يأتي دور الإيمان... إن الله لم يترك العالم ولم يترك الإنسان... بل هو معنا في أحلك ظروف حياتنا... هذا ما اختبره إمام المغنين، وما رنمه أبناء تورح بعدما ضرب زلزال هائل مدينة القدس في القديم فراحوا ينشدون: " الله ملجأ لنا وقوة... عوناً في الضيقات وجد شديداً... لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الأرض، ولو انقلبت الجبال إلى قلب البحار... الله في وسطها فلن تتزعزع..." لا شيء أيها الأحباء يستطيع أن يرجع إلى النفس هدوءها إلا الإيمان الحقيقي... إن الله لن يتركنا... وإنه معنا راعٍ... حامٍ.. ومخلص... هذا هو قلب الكتاب المقدس... هذه هي البشارة السارة... إن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحسانه فلا يزول... وعهد سلامه لا يتزعزع... هنا وبالإيمان استطاع الإنسان أن يطور قوة أقوى من الزلازل... إذ استطاع أن يكتشف أن الله هو الوحيد الذي يمكن أن نعتمد عليه... لأن محبته أزلية لا تتزعزع... ويمكن أن نتكل عليه ١٠٠٪.

### ٣. فبالإضافة إلى العلم والإيمان فإن الإنسان بحاجة إلى العمل لمواجهة الكوارث...

والله أعطى الإنسان هذه المقدرة العجيبة... فما أن تمر الكارثة إلا ونرى الإنسان يقوم مرة أخرى.. ينهض... ينفض عنه الغبار... ويبدأ مرة أخرى عملية البناء... الفلسطينيون طوروا مثل هذا النمط... فبعد كل حرب... بعد كل انتفاضة نبدأ من جديد... لا نيأس... كذلك الأمر مع اليابانيين... لقد بدأوا بإعادة البناء... وفي أكثر الأحيان فإن منكوبي الكوارث بحاجة إلى مساعدة من الخارج... هذا ما حصل معنا... هذا ما حصل مع أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية... هذا ما يحصل مع اليابان اليوم... مع أن اليابان تعتبر من أغنى الدول في العالم... إلا أنهم بحاجة إلى مساعدة... لذلك فمن واجبنا أن نساعدهم... لذلك فتقدمة هذا الأحد ستخصص لإرسالها إلى الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في اليابان كي تستطيع بدورها أن تساعد المنكوبين... في الأيام الأخيرة بقيت على اتصال دائم مع أصدقائنا

هناك... أسأل عن حالهم... أصلي من أجلهم... وأتابع الرسائل التي يبعثون بها... واليوم سنجمع التبرعات من أجلهم... هذا أقل ما يمكن أن نفعله... إذا بالعلم والإيمان والعمل نستطيع أن نجابه الكوارث. "الله يبعدها عنا".

آمين

# تفجيرات للكنائس

## متى ١٤ : ٢٢-٣٢

في المسيحية هناك رموز كثيرة استخدمت للتعبير عن جوهر هذه الديانة... من هذه الرموز مثلاً السمكة... من يتجول في هذه المدينة ويتمعن في الملصقات التي على بعض السيارات سيلاحظ أن بعض السيارات مثلاً تضع المسبحة كإشارة لحركة داخل الكنيسة الكاثوليكية... وهناك سيارات أخرى تضع إشارة السمكة... والبعض لا يدرك ماذا تمثل السمكة... ولكنها رمز من القرون الأولى كانت تستخدمه الكنيسة عندما تجتمع سراً في المغر تحت الأرض حيث كانت ترسم هذا الشعار للدلالة على أن هذا الموقع هو موقع مسيحي... وذلك لأن كلمة سمكة باليونانية أو "أنسطوس" تمثل الأحرف الأولى للشهادة المسيحية: " يسوع المسيح ابن الله المخلص". وكان المسيحيون الأوائل كثيراً ما يستشهدون بسبب هذه الشهادة المسيحية. ومن الرموز الأخرى هو رمز السفينة... فإذا تأملت اليوم بشعار مجلس الكنائس العالمي مثلاً أو غيره من هذه المجالس تراها ترسم سفينة في شعارها أو ختمها... والسفينة هي رمز للكنيسة المسيحية... فالسفينة مكانها البحر وليس الشاطئ. وعلى الشاطئ ليس للسفينة أية أهمية سوى تنزيل الركاب والأحمال أو تحميلها... فمكان السفينة الحقيقي في البحر كما أن مكان الكنيسة هو في العالم... والناس بحاجة إلى الكنيسة في هذا العالم كما هم بحاجة إلى السفينة لإجتياز البحار والسفر و التنقل... ولكن التواجد في البحر ليس دائماً للراحة والاستجمام. بل قد يكون أحياناً محاطاً بالمخاطر... فالبحر تعصف به الأمواج و تضرب دفة السفينة وقد ينقلب رأساً على عقب. أو قد يغرق ويدفن في المياه الداكنة كما حصل مع العديد من الملاحين. ومن منا لا يعرف قصة سفينة التايتنك. وهذا ما حصل مع التلاميذ في بحيرة طبريه... فقد أمرهم يسوع أن يركبوا البحر بقاربهم... وكان الوقت ليلاً... وما أن وصل القارب إلى منتصف البحيرة إلا وهبت ريح قوية... وتقاذفت الأمواج السفينة... وكانت الرياح مضادة لحركة سيرهم... أحياناً كثيرة هذا ما يحصل مع الكنيسة... أحياناً تعيش الكنيسة في حالة من السلام في هذا العالم... فالشمس مشرقة... والأحوال طبيعية وميسرة... والأسماك تملأ

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/١/٣٠.

الشباك... ولكن في أوقات أخرى... تكون الكنيسة محاصرة بأمواج عاتية تضرب دفتها... وأحياناً تواجه رياح عاتية مضادة... ربما تكون سياسية أو اقتصادية وأخرى نتيجة صراع قوي داخلي... فالكنيسة في مصر تعيش مثل هذه الحالة... فالتفجيرات التي تعرضت لها كاتدرائيتها هي مثال حي على تلك الأمواج التي قد تضرب دفتها... فالأوضاع السياسية المضطربة في مصر تشكل أيضاً حالة عدم استقرار لا يعرف المسيحيون مداه أو ماذا يخبئ لهم المستقبل... في مثل هذه الأحوال قد يتساءل البعض أين هو المسيح مما يحصل... هل ترك كنيسته تصارع الأمواج وحدها؟ هل حقيقة أنه لن يترك الكنيسة التي افتداها بدمه؟ وقد يرى يسوع البعض وثيقاً بحضوره... ويقول البعض الآخر أن هذا الإيمان هو محض خيال ليس إلا... ويسمع البعض الآخر صوت الراعي يقول: لا تخافوا أنا هو... فمن شاهد تسجيلات التفجيرات في كاتدرائية جميع القديسين - عندما سمع المصلون صوت الانفجار يهز كنيستهم، وبينما ساد الرعب صفوفهم... وراح البعض منهم يتدافعون إلى الأمام حرياً- كان صوت الراعي هناك يقول: ما تخافوش... ما تخافوش... ما تخافوش... ما تخافوش... فعبارة لا تخافوا تعني للبعض السكينة... وعزاء النفس والروح المعذبة الخائفة والمضطربة... تساعدها أن تكمل مسيرتها في هذه الحياة بدون تعقيدات... للبعض الآخر كبطرس مثلاً... فعبارة لا تخافوا تعني شيئاً أكثر... تعني "لا تخافوا" أن تركبوا الموج... لا تخافوا أن تخاطروا ... لا تخافوا أن تأخذوا دوراً ريادياً... أحد الأسئلة المهمة المطروحة اليوم على المسيحيين في مصر: ما هو موقفهم لما يجري؟!؟ هل يقبعوا في البيوت خوفاً على أرواحهم، ويستمروا في الصلاة والتعبد؟ أم هل ينزلوا إلى الشارع ويركبوا الموج كما فعل بطرس؟ ومن يدري إن كان اتجاه الرياح سيتغير أم لا؟ وهل هو أمان أن يركب المؤمن الموج؟ أم أن هذا قد يقوده إلى حتفه؟ وماذا لو ركب الإخوان المسلمون هذه الموجه لاحقاً وأداروها لصالحهم؟ أسئلة حقيقية تجول في عقول المسيحيين في مصر وهي تشبه إلى حد كبير الأسئلة التي مرت على بال بطرس وأخافته... ففقد توازنه... وسقط وكاد يغرق... حتى الكنيسة ما دامت في هذا العالم فهي غير مؤلهة... قد تفقد توازنها... قد تشك... قد تسقط... قد تأخذ قرارات خاطئة... ولكن يسوع لا يتركها... الحمد لله أننا لا نؤمن بالسفينة أو بالكنيسة... ولا نؤمن ببطرس: أي بالقيادات الكنسية... بل نحن نؤمن برب الكنيسة... الذي لا يتركها أبداً... لا يتركها في هذا العالم وحيدة... ولا يتركها في خوفها وشكها واضطرابها... بل يمد يده إليها... قد نشك أحياناً كثيرة بقدراتنا على التغيير... وقد نشك في إيمان إخواننا... وقد نفقد الأمل في الكنيسة ومؤسساتها... ولكن لا يمكن ابداً أن نفقد إيماننا بمخلصنا ... برب الكنيسة...

في نهاية القصة، بما أن السفينة وصلت إلى البر... ونزل التلاميذ منها... لم يملكوا وسعاً إلا أن يسجدوا للمسيح... لا لبطرس... ولا للسفينة... بل للمسيح معترفين:« بالحقيقة أنت ابن الله ».

في هذا الأسبوع سنجتمع معاً لنفكر في مسار هذه الكنيسة... هناك عمدة جديدة... هناك مجمع جديد... هناك مسيرة جديدة... هل سنصل إلى الوجهة المطلوبة... هل سنصل بهذه السفينة إلى بر الأمان... هل نستطيع أن نقود دفتها في بحر مضطرب الأمواج؟ هل نستطيع أن نمشي على الماء... أن نخاطر.. أن نركب الموج... أم سنخاف... سنرتعد... سنشك؟

ولكن يبقى شيء واحد أكيد:
لا وجود للكنيسة ولا للمؤمنين من دون ربهم...
فهو عماد هذه الجماعة...
وهو أساس وجودنا...
وله وحده المجد والسجود إلى أبد الآبدين.

آمين

# جولياني و فيتوريو

**متى ٢٨: ١-١٠**

وأخيراً أسكت صوته... وسفك دمه... وصار عبرة لمن اعتبر...
جاء جولياني مير خميس إلى مخيم جنين... أراد أن يقاسم أطفال المخيم عيشهم... أرادهم أن يعبروا بالدراما عما يجيش في صدورهم... فأسس في قلب المخيم عام ٢٠٠٦ مسرح الحرية! ولكن في الشرق الأوسط ، الحرية تهمة مميتة... لذلك اغتالت خمس رصاصات جولياني في ٢٠١١/٤/٤

أجل أخيراً أسكت صوته... وسفك دمه... وصار عبرة لمن اعتبر...
جاء "فيتوريو أريغوني" إلى غزة عام ٢٠٠٩... قدم على متن أحد القوارب بهدف فك الحصار عن غزة... أراد أن يقاسم أهل غزة حصارهم... جاء متضامناً كجزء من حركة غزة الحرة... وراح ينادي ألا يغلق العالم عينيه عما يجري هناك... وإلا فقد البشر إنسانيتهم... ولكن الإنسانية مفقودة في غزة... لذلك شنق فيتوريو بعد عشرة أيام من جولياني.

أجل أخيراً أسكت صوته... وسفك دمه... وصار عبرة لمن اعتبر...
يسوع أيضاً ترك بيت أهله... جاء إلى عالمنا هذا كي يقاسمنا الشقاء... جاء متضامناً مع الخطاة... جاء يبشر المساكين... وينادي للمأسورين بالحرية... ولكن الحرية تهمة أمنية... لذلك اعتقل... وسجن... وحوكم... ومن ثم صلب في القدس خارج الأسوار بعد حوالي سنة ثلاثين ميلادية... هناك علق كالمجرمين...
انظروا إلى دماه كيف قطرت من جنبه
واسمعوا صوت أنين صاعد من قلبه
يا ترى لماذا فعلوا ذلك هل لكم علم به؟
يا ترى لماذا فعلوا ذلك ؟ وأي جريمة ارتكبها؟
وأي تهمة ألصقت به؟

التهمة كانت ذاتها لجولياني... لفيتوريو... وليسوع... كلهم كفروا...
جولياني كفر عندما جمع أطفالاً وشباباً من الجنسين... جمعهم معاً ليتعلموا

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في أحد القيامة بتاريخ ٢٠١١/٤/٢٤.

التمثيل... هو اعتدى على شرع الله... نادى بالحرام والاختلاط... لوث فكر الشباب إذ علمهم أن يعبروا عن مكنونات النفس!
وفيتوريو صليبي كافر... ومهما تضامن مع شعب غزة... فإن دمه مهدور وما من حماية له عند الحركات السلفية...

ويسوع؟
كافر أيضاً! جاء يتحدى الشريعة الموسوية... راح ينادي بالتحرر من الفرائض البشرية! عاش ينادي بديانة إنسانية: السبت وجد من أجل الإنسان... لا الإنسان من أجل السبت! فكأنه وضع يده في عقر خلية دبابير دينية... لسعته وأردته قتيلاً... يا ترى لماذا؟ ومن هي الجهة التي حكمت عليه؟ في الحالات الثلاث لجولياني... لفيتوريو... وليسوع... في الحالات الثلاث من أصدر حكم الإعدام كانت الجهات الدينية...

**متى ٢٦ : ٦٥**
« فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه، قائلاً:
قد كفر! ما حاجتنا بعد إلى شهود! ها قد سمعتم تجديفه. فبماذا تشيرون؟ فأجابوا: "إنه مستحق الموت!"»
في الحالات الثلاث، الحكم يصدر عن جهة دينية... تأخذ القانون بيدها... هي التي تقرر... هي التي تحاكم... هي التي تنفذ... وهي التي تعدم! والسلطات السياسية؟ في الحالات الثلاث تغسل يدها من عملية القتل: "أنا بريء من دم هذا البار..." هنا يطلقون اسمه على أحد الشوارع... وهناك على أحد القوارب... وهناك يضمون يافطة على صليبه: يسوع الناصري ملك اليهود! في الحالات الثلاث السلطات السياسية تهادن السلطات الدينية... إنها تخاف من مدها الأصولي... لذلك فهي تسمح لها بحرية الحركة... تغمض عينيها عن أيديولوجية التفكير الذي تنادي به... ولكن ومن جهة أخرى وأمام الرأي العام تغسل أيديها... توصي بفتح تحقيق في الجريمة...! أما حقيقة الأمر فهناك في العالم العربي تحالف غير معلن بين الدين والدولة لقمع الحريات... بكم الأفواه... ولتقييد كل الحركات والمبادرات... وكأن شرقنا لم يتغير كثيراً رغم مرور آلاف السنين! تصوروا أيها الأحباء لو انتهت قصة المصلوب كقصة جولياني وفيتوريو لكان عالمنا بائساً... يائساً... لا مستقبل له... ولكن وفي مثل هذا اليوم... قبل ألفي عام إذ بزلزلة عظيمة حدثت... ففكت الأختام... ودحرجت الحجارة... وقام المصلوب من بين الأموات... لا عجب إذ أن القيامة ركن رئيسي لإيماننا... لأنه لو لم يقم المسيح... لبقينا أسرى للشريعة... لو لم يقم المسيح... لكنا بعد أسرى

ظلمة القبر... وراء جدران محكمة الإغلاق... لا نقوى على التنفس... ينقصنا النور والهواء الرطب والنسيم العليل! ولكن في مثل هذا اليوم هبت علينا رياح جديدة... معها انقضى عهد العبودية... وانبلج فجر جديد أضاء بأنوار الحرية... لو لم يقم المسيح... لبقينا نجتر ثقافة الموت والكراهية ولأصبحنا كالطفيليات ننقض على كل ما هو نضر... يبشر بالخضرة... ويحمل براعم فتية... ولكن في مثل هذا اليوم قام رب البرية... قام محطماً القيد... مفجراً الصخر... معلناً أن اللاهوت يعلو على صوت الحرية.

لو بقي المسيح في القبر... لكانت الغلبة حقاً للبطش السياسي وللقمع الديني... ولأمسينا مستعبدين بعد أن جعلنا الله أحراراً...

لو بقي المسيح في القبر... لكان حالنا كالتلاميذ خائفين... مهزومين... وبلا رجاء... ولكن بقيامته... فقد جعل منا رسل بعث وتجديد وإبداع... وأعطانا بشارة خلاص من الخوف... وبشرى ثقافة تؤسس على الحرية... صراع الإصلاح مع روما تمحور حول الحرية... حرية الضمير... حرية المؤمن... الصراع اليوم في العالم العربي هو على الحرية... حرية التعبير... حرية الإعلام... ودولة الحريات المدنية... فالصراع اليوم في فلسطين يقوم على الحرية... الحرية من الاحتلال... حرية المعتقد... والتعددية السياسية والدينية.

فبالقيامة جعل المسيح من الحرية أسمى القيم الإنسانية... والعبرة من وراء القيامة هي أن يتوق الإنسان إلى الحرية وإنها لأقوى من القيد وأقوى من القبر بل وأقوى من الموت. لقد حرركم المسيح فكونوا بالحقيقة أحراراً.

# حرب الخليج الأولى

**لوقا ٢ : ٨-١٤**

كيف عدت إلينا يا عيد؟

ومالي أرى ملامحك وقد تغيرت؟؟؟
مالي أرى أحوالك وقد تبدلت؟؟؟
مالي أرى نظراتك وقد تغيرت؟

في مثل هذا اليوم تعود بي الذكرى إلى أيام الطفولة التي مضت...
إلى أيام كنت أيها العيد تأتي إلينا مثقلاً ببشائر الفرح والخير
كنت تأتي إلينا بشجرة خضراء نتسابق إلى تزيينها...
كنت تأتي إلينا بهدايا نفرح باستلامها...
كنت تأتي إلينا بموكب البطرك فنتزاحم للاصطفاف لرؤيته.

في مثل هذا العيد أتذكر سنينا دراسية خلت.
كنا نقضي أسابيع أربعة نستعد فيها لإلقاء قصة الميلاد...
كم كنا نفرح مع الرعاة؟؟؟
كم كنا نطرب على سماع أنشودة الملائكة؟؟؟؟
كم كنا نبتهج لرؤية طفل المغارة مقمطا مضجعا في المذود؟؟؟

كيف عدت الينا يا عيد؟؟؟
في كل عام كنا نقرأ قصة رعاة في حقول بيت ساحور
متبدين وعلى رعيتهم ساهرين...

أما هذا العام فلا نطالع إلا قصص جنود في صحاري
الخليج متمركزين وبمدافعهم وصواريخهم مدججين...
في كل سنة كنا نسمع صوت ملاك الرب مطمئنا إيانا
وقائلا: لا تخافوا... فها أنا أبشركم بفرح عظيم...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الميلاد بتاريخ ١٩٩٠/١٢/٢٥.

أما هذه السنة فلا نسمع سوى صدى أصوات السياسيين
تثير أعصابنا تبشرنا تارة بحل سياسي وسط
وتارة أخرى بهجوم كيماوي وشيك...

حتى أنشودة جند الملائكة...
التي لطالما طربنا على إيقاعها:
المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة...
حتى هذه الأنشودة حرفتها السياسة وتبدلت كلماتها فأصبحت:
المجد للجبروت والقوة وللغرب السلام وللعرب التعاسة.

كيف عدت إلينا يا عيد؟؟؟
لقد غبت عنا مدة ثلاث سنين، وهذه السنة لم تصل إلينا بعد؟
هل أخافتك أزمة الخليج؟
أم أنك ستحتفل مع الجنود الغربيين هناك؟؟؟
وكيف ستحتفل مع جنود
أفكارهم راحلة إلى عائلاتهم؟؟؟
كيف ستحتفل هناك مع جنود يتمنطقون بأمتعة للغاز بدل الهدايا؟
ينصبون المدافع بدل أشجار الميلاد؟؟؟

احتفالك هناك يثير ثائرة الأصوليين الذين يقولون أن
الأمريكيين ينجسون مياه الخليج...احتفالك هناك يثيرنا نحن
المسيحيين الفلسطينيين - فيحملنا على القول : بأن هؤلاء الجنود لا يدنسون
السعودية بقدر ما يدنسون اسم المسيح ملك السلام وفادي العالمين.

تعال وعد الينا يا عيد...
تعال الينا يا طفل المغارة فنحن في أمس الحاجة اليك...
أنت ترى الخوف يحيط بنا، والقلق يعصف بأفكارنا...
فأسمعنا صوت الملاك المشجع المطمئن القائل: لا تخافوا

أنت ترى الظلمة تحدق بنا... ترى اليأس يكبل تطلعاتنا...
فأضئ علينا يا من أضاء مجدك حول الرعاة...
أضئ في نفوسنا شمعة رجاء وقنديل أمل
ليبدد الظلام الحالك من حولنا.

تعال الينا يا من صرت بميلادك طفلا ورمزا للبراءة...
تعال وازرع في عالمنا المتناحر غرسا من براءتك.

لقد صرت وأنت الإله العظيم طفلاً صغيراً،
فعلمنا أن نرجع ونصير كالأطفال لنحظى بملكوتك.

تعال الينا أيها الإله المتجسد...
فلقد صرت وأنت الإله الجبار بشراً سوياً
نزلت من عليائك إلى حضيض عالمنا.
ولما لم تجد لك موضعا مع البشر ولدت في مذود بين البقر...

انتشلنا من وحل الحيوانية العالق بحياتنا
وارفعنا اليك لنصير بدورنا بشراً
بكل ما في الكلمة من معنى وجمال وقوة.

أرسل ملائكتك إلى هذه البقعة من عالمنا.
واجعل أصواتهم ترتفع فوق ضجيج أرتال الجنود
المتمركزة في خليجنا...واجعل أناشيد السماء
تعلو على صوت طبول الحرب التي تدق في عالمنا.

أشركنا إلهي اليوم بجوق الملائكة...
وعلمنا أن نعطي المجد لك وحدك لا لجيوشنا وجبروتنا
وعلمنا أن نكون صناع سلام وعدل على أرضنا
وأرنا الطريق التي تقود إلى إدخال الفرحة في قلوب الناس من حولنا...

يا طفل المغارة وسع المغارة
وطني بردان رجّعله الطهارة
ليرجع منارة في عتم الزمان
من دفا عينيك امسحو بالإيمان
وبشر أهالينا بميلاد الأمان
يا يسوع يا يسوع

آمين

# حصار بيت لحم

**مزمور ٢٧**

أربعون يوماً مرت منذ التقينا للمرة الأخيرة
أربعون يوماً هي الفترة ما بين القيامة والصعود
وهي مدة قضاها التلاميذ الأوائل خلف الأبواب المغلقة
والنوافذ الموصدة بسبب الخوف...
وهي مدة قضيناها نحن تحت الحصار...
كانت فيها جيوش الاحتلال جاثمة على صدورنا...
تدمر شوارعنا... تحيط بكنائسنا وترعب أطفالنا...
أربعون يوما هي الربيع الذي سُرق منا...
اجتيحت مدننا أواخر الشتاء وقد كنا بمعاطفنا وكنزاتنا...
وخرجنا منها بالأمس بملابس الصيف القصيرة والخفيفة...
وكأننا قد انتقلنا بلمح البصر من شتاء إلى الصيف...
أجل إنه الربيع الذي سرق منا...

لقد أضعنا رؤية الحنون الأحمر يكسو حقولنا...
وافتقدنا خضرة المروج وعنفوان الحياة تدب
في بساتيننا بجبالها ووديانها...
لقد سرقت منا المشاوير والرحلات
وقضي لنا ألا نتمتع بخيوط الشمس الربيعية
فبقينا أسرى بيوتنا بتلفازها ومذياعها تزيدنا عذابا على عذاب.

أتينا هذا الصباح لنبدأ هذه الخدمة المقدسة بتلاوة
مزمور نحبه ونقدره ونجله...
الرب نوري وخلاصي ممن أخاف. الرب حصن حياتي ممن أرتعب...
مزمور نحبه ولكننا إن قرأناه اليوم نراه فجأة غريبا عنا... بعيداً عن تجربتنا
وكأنه لا ينطبق علينا أو على بشر مثلنا...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٢/٥/١٢.

أوَ لم تسمعوا صاحب المزمور يقول:
« عندما اقترب إلي الأشرار ليأكلوا لحمي مضايقي وأعدائي عثروا وسقطوا.." أما نحن فلا بد من أن نعترف...بأن دبابات الاحتلال قد احتلت مدن الضفة الغربية في ساعات قلائل، أسرع جداً مما احتلها في حرب الأيام الستة...
ولم يعترض أي شيء طريق مدرعاتها وآلياتها...

وسيسجل في التاريخ أنه (إذا استثنينا مخيم جنين) أن قوات الاحتلال لم تفقد سوى جنديين اثنين في حربها هذه مما سيفتح شهية الاحتلال على أن يعيد الكرة من جديد، فهي حرب غير مكلفة بشرياً، وما يعنيهم هو الخسائر البشرية.

أجل ما أبعد ألفاظ صاحب المزمور عن واقعنا:
أوَ لم تسمعوه يقول:
«إن نزل علي جيش لا يخاف قلبي...
إن قامت علي حرب ففي ذلك أنا مطمئن...».
نسمع إلى هذه الكلمات فتنتابنا الدهشة:
أحدهم يقول: إن معنوياته لعالية...وإنه لرجل مقدام...
ونقول لقد ولت أيام عنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي...
وفي زمن الحرب الإلكترونية لا تحسب العواطف...
هذه الحرب الإلكترونية عشناها صغاراً وكباراً، فالطائرات بدون طيار التي تئز ويدوى صوتها في فضاء مدننا لدليل على هذه الحرب الإلكترونية... والرشاش الآلي الذي ثُبّت فوق الرافعة والذي أطلق النار على أحد الشبان أمام باب كنيسة كاترينا الراعوية كانت تسيره كاميرا إلكترونية...

"إن نزل علي جيش لا يخاف قلبي...
إن قامت علي حرب ففي ذلك أنا مطمئن...".
نسمع هذه الكلمات ونتساءل:
أليست هذه كلمات إنسان يستخف بالحرب وأوجاعها...
كانت هذه الكلمات تذكرنا بخطب وشعارات بعض القيادات السياسية والأجهزة الأمنية التي كانت تقول:
إننا مستعدون لأي اجتياح وأننا سنجعل مدننا مقبرة لهم؟
أوَ ليست هذه كلمات شاب طائش لم يختبر شيئاً من الحياة
أو رجل في سن اليأس يكابر ويفاخر ويفاشر ليبرهن على رجولته
أمام حفل من النساء؟

لا يا صاحب المزمور...نحن نخاف الحرب...
كما نرهب شعاراتها...
لأن الحرب بشعة... وقحة... وخطيرة، خطيرة جداً...
لا نفرح بسماع بعض الشبان على الفضائيات ينادون بها...
وكأنها قطعة من الحلوى العربية...

لا يا صاحب المزمور... نحن نخاف الحرب...
لأن الذي لا يخاف لا يخيف...
الحرب مدمرة لا تفرق بين أخضر ويابس...بين صالح وطالح...

لا يا صاحب المزمور ...نحن نخاف الحرب...
لا عن رغبة في الإستسلام بل عن حكمة وبعد نظر وروية...
إننا نرى في الحرب عنجهية...
ونقولها لشعوب منطقتنا الإسرائيلية، والفلسطينية والعربية...
لقد أثبتنا ذلك لبعضنا البعض:

لذا يستطيع شبابنا أن يحولوا مقاهيهم إلى مقابر...
ويستطيع شبابهم أن يحولوا شوارعنا إلى مزابل...
فالحرب مكلفة وقد عرف صاحب المزمور هذه الحقيقة:
لذلك نسمعه يقول: إن أبي وأمي قد تركاني...
من رأى بأم عينيه الرجل سامي عابدة، جار هذه الكنيسة،
يجتاز شوارع هذه المدينة، يمسك بكل عربي وأجنبي،
بكل مراسل وصحفي يهزهم ويقول:
إن أخي وأمي قد تركاني...قتلا في بيتنا، وظلّا هناك خمساً وثلاثين ساعة ينزفان دماً...!

من رأى سامي وسمع أناته يدرك كم هي بشاعة الحرب... وويلاتها.
من نظر إلى أطفالنا وأدرك كم حرموا من العلم ونوره، يعرف كم هي مكلفة الحرب، لأنها تقرن بالتخلف والجهل والظلام...
من شاهد عائلات تفتقر إلى لقمة الخبز وإلى مصدر الرزق
وإلى كرامة العيش تقف طوابير أمام شاحنات المؤن
يفهم كم مهينة هي الحرب لكرامة الإنسان،
اللهم إلا إلى تجار الحرب القلائل...

أجل، يا صاحب المزمور...نحن نخاف الحرب
اللهم إلا في حالة واحدة نحن لا نخافها...
الحرب لا ترهبنا إذا اكتوينا بنارها فتعلمنا كطفل أن نحظر نارها...
الحرب نار مستعرة، والأبلى من ذلك أن يصب العرب وأمريكا
بزيوتهم فوق هذه النيران لأسباب هم يعلمونها،
ولكننا نحن الذين نكتوي بنارها...
فهل تعلمنا؟
إن فهمنا أن الحرب ليست بعرس، كلما صفق لنا العرب
على شاشات التلفاز قمنا لنرقص على وقعها، أو كلما دفع
اللوبي الصهيوني ثمنها قام الإسرئيليون باختيار العروسين
وتزيينهما لحفلها.

أجل، يا صاحب المزمور...الحرب لا تخيفنا...
لأنها لا ولن تستطيع أن تفرقنا عن الله...
« إن أبي وأمي قد تركاني...والرب يضمني...»
حتى زمن الحرب نقول: والرب يضمني...
ألم نلمس حضور الرب المقام بيننا حتى وسط القصف،
ومنع التجوال؟ ألم نشعر بيده الرحيمة تضمنا؟
بالأمس قابلت العديد من أبناء هذه الكنيسة وكلهم قالوا لي:
"لقد اشتقنا للكنيسة! "تقنا للترنيم"!
ننتظر على أحر من الجمر كي نجتمع معا، نصلي معا، نهلل معا!
أجل، الحرب لم تستطع أن تبعدنا عن مخلصنا،
لذلك نهتف: الرب نوري وخلاصي ممن أخاف...

الحرب لا تخيفني...لأنها لا تستطيع أن تبعد الله عني...
بل بالعكس الحرب زادتنا اشتياقا إلى الله، زادتنا تمسكنا
بالفادي، زادتنا قناعة بعظم إيماننا!
الحرب لا تخيفنا، بل على العكس...
لقد قربتنا من بعضنا البعض...
فاجتمعنا من بقاع الأرض كلها...
تذكرني هذه الحرب بقصة مؤثرة سمعتها من سيدة مسيحية
في لبنان تدعى ديانا حداد...
التقيت بها في أوائل الثمانينيات في ألمانيا...

قالت لي ديانا:
كان ذلك صباح الأحد... صباح عيد القيامة... والحرب اللبنانية
كانت في أوجها... اجتمعنا للصلاة... اجتمعنا لنعيّد...
وراحت القنابل تتساقط حول الكنيسة... وراح الرصاص يئز
ويصوت في فضائها... وشعرنا بالموت يقترب منا...
وكانت الجوقة ترنم: المسيح قام من بين الأموات وداس الموت بالموت
ووهب الحياة للذين في القبور...
وظل الرصاص يطلق والقنابل تسقط وأصوات الإنفجارات تتعالى
ورحنا نرتل: المسيح قام من بين الأموات وداس الموت بالموت
ووهب الحياة للذين في القبور...
أجل الحرب لا تخيفنا لأن ليس لها غلبة على فادينا وبالتالي علينا.

أجل يا صاحب المزمور...
الحرب لا تخيفنا لأنها لن تستطيع أن تسلب منّا
حلم الحرية...حلم الاستقلال...حلم الخلاص...
الحرب لن تستطيع أن تسرق منا رؤيتنا المستقبلية ...
فالحرب دمرت شوارعنا وسنعيد إعمارها...
سنستبدل بيت لحم ٢٠٠٠ ببيت لحم المستقبل
الحرب اقتلعت أشجارنا فسنزرع أشتالاً...
الحرب لن تستطيع أن تشوش على مخططاتنا...

قد تؤخرها بضعة أشهر ولكنها لن تحطمها...
الحرب لن تسلبنا تطلعاتنا للعيش بسلام مع جيراننا.
الحرب لا تحقق أهدافها لذلك هي لا تخيفنا...
سنبقى نزرع ونحصد... نبني ونعمر نعلّم ونثقف...
نرسم أقواس قزح في الفضاء...

أجل، يا صاحب المزمور، الحرب لن تخيفنا...
بل لقد علمتنا ألا نترك شوارعنا مرعى لطخيخة الأعراس
أو: مرتعا للأوباش.
بل علينا أن نمسك نحن بزمامها...
لن نترك مستقبلنا في أيدي غير المثقفين...
بل سنشمّر عن سواعدنا ونتحمل مسؤولية...مستقبل قرانا ومدننا...

أجل الحرب علمتنا أنه لن تقوم لأمة قيامة إلا بالاستقامة
ولن يكون مستقبل دون عدالة، وحكم قانون،
الحرب زادتنا إصراراً على ألّا نترك الساحة لغيرنا
بل لا بد من أن ننخرط كلنا في بناء وطن جديد.
لا يمكن أن نقبل بأن تكون السياسة تياسة...
ولن نرضى بأن تجلب لنا الفوضى تعاسة...
بل السياسة هي عدالة، تخطيط، وتنظيم،
إنها مسؤولية ونحن مدعوون إلى أن ننخرط بها كلنا.
فالسلام عملية تراكمية...بناء حجر على حجر...
النهضة عملية تراكمية...لن نسمح لأحد بالتشويش عليها...
التقدم عملية تراكمية...لا يمكن أن تتقدم أمة
خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف...
الحرب لن تخيفنا، لأننا انكوينا بنارها،
وتعلمنا منها، وتمسكنا بحلمنا، وحملنا
مسؤولياتنا، وتعمّق إيماننا.
أين شوكتك يا حرب؟
أين براثنك؟
أين غلبتك؟

شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح

# حملة الرصاص المصبوب

**أشعياء ٥٤: ٧-١٠**

لفت نظري في أحد الأيام ابن وابنه...
الابن يبلغ حوالي السنة من عمره... يتعلم المشي...إنه في خطواته الأولى...
كان الأب يمسك بيد ابنه الصغير ليعلمه المشي...
وبين حين وآخر يترك الأب يد ابنه ... فيرتبك الابن ويخاف... ويصرخ...
ومن شدة هلعه يسقط على الأرض...
ومن ثم كنت أسمع صوت الأب يقول لابنه : لا تخف أنا هنا... أنا معك...

هذا هو التشبيه الذي يستعمله أشعياء في قراءة اليوم: للحيظة تركتك...
بالنسبة لنا نحن نضحك على الطفل...
نعرف ما يريده الأب... ونعرف في قراءة نفوسنا أننا نتحدث هنا عن شئ تافه...
فما قيمة ترك الأب لابنه للحيظة إذا ما قيست بحياة الطفل الذي سيبلغ ويعمّر وسيمر بلحظات عصيبة جداً...
ترك الطفل للحيظة يبدو تافهاً ولكن بالنسبة للطفل في تلك اللحظة هذا شيء مصيري... لا يستهان به...
وكأنه نهاية العالم...
وعلى فكرة إذا تكرر قد يؤثر سلباً على نفسية الطفل وثقته بنفسه وبمن حوله...

بالنسبة لشعب العهد القديم هذه اللحيظة كانت السبي البابلي...
عندما دمرت جيوش البابليون مدينة القدس دمرتها ولم تبق فيها حجراً على حجر... بل وجمعت أفراد الطبقة المتعلمة والأستقراطية ونقلتهم إلى بابل...
ولم تبق في القدس الا العراة والفقراء والبائسين والذين لا حول لهم ولا قوة...
هذه التجربة كانت تجربة قاسية جداً بالنسبة لشعب العهد القديم... أحسّوا أن الله تركهم ... وكأنه تقهقر وخاف واندحر أمام جحافل البابليين...
أحسّوا أن الله هرب وتركهم وحيدين بلا حليف أو معين...
لحظة صعبة جداً ظلت عالقة في صفحات الكتاب المقدس...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢٨.

لابد أن سكان غزة في هذه الأيام يعيشون حالة شبيهة جداً... فالقصف المدفعي وطائرات الأباتشي والأف ١٦ تقصف أطراف القطاع بلا هوادة...
شعب بأكمله( ١,٥ مليون ) بلا كهرباء منذ مدة وبلا بنزين منذ أشهر...
وبلا مواد أساسية للحياة...

٦٦ قتيل خلال ٣ أيام... الأغلبية من بسطاء الشعب...
من المساكين الذين كانوا في المكان الخطأ في الوقت الخطأ...
لابد أن السكان هناك يشعرون أن العالم قد تركهم...
العالم العربي تركهم... هذا إن كان في الحقيقة معهم يوماً ما...
والعالم الغربي لا يأبه بهم ولا بحقوقهم الأساسية...
والأمم المتحدة تشجب على مأساتهم وكلما ساءت أوضاعهم ازدادت التبرعات التي يجمعونها باسمهم...
والعالم الإسلامي يتفرج عليهم ويستعملهم مادة للقطاته المتلفزة التي لا تؤثر إلا في العواطف ولكنها لا تسد رمقاً ولا تغير حالاً...
بل وحتى سكان الضفة الغربية قد ملوا الحديث عن غزة رغم الإضراب الذي يريد أن يظهر العكس للخارج على الأقل...
سكان غزة في هذه الأيام يفهمون معنى كلمات الله للمسبيين:
للحيظة تركتك...

المهم في هذه الكلمات هو القائل :
الله يقول لشعب العهد القديم أنه تركهم للحيظة...
هذه أصعب اختبارات الأنسان...

بالنسبة لأهل غزة أن يُتركوا من قبل الشعوب العربية والإسلامية والغربية فريسةً سهلة لإسرائيل هو شئ مؤلم ولكن في النهاية استطاع هذا الشعب أن يتأقلم مع هذا الواقع...
وأن يترك أبناء الضفة أخوانهم في غزة أمر صعب ولكن هذا الآخر أيضاً مقدور عليه... ولكن أصعب شئ عندما يحس شعب أو إنسان أن الله قد تركه...

هذا أصعب ما في الحياة...
المسبيون في بابل شعروا أن الله نفسه قد تركهم وحيدين...
إنه شعور صعب جداً...
إذا شعر أهل غزة بأن الله قد تركهم... فهذا شئ مرعب... أن تتركهم فتح أمر

صعب... أن تلعب بهم حماس أمر صعب... ولكن اذا شعروا أن الله قد تركهم فهذا اختبار قاسٍ جداً...

لا أعلم إن كان أحد منا على الصعيد الشخصي قد اختبر يوماً مثل هذا الاختبار... كلنا اختبرنا كيف تركنا بعض الأصدقاء ... الذين كنا نظنهم أصدقاء العمر... ولكنهم تركونا وراحوا لحالهم...
ولكنا اختبرنا كيف تخلى عنا الأقارب... في الأوقات التي كنا بحاجة إلى وقوفهم معنا... تركوا وزعلوا...
بل وقد يكون بعضنا قد اختبر أنه ترك من قبل أبنائه
ومن هم من لحمه ودمه... سواء أهاجروا... أو استقلوا ... أو انفصلوا... أو... أو...

هذه تجارب صعبة ... ولكن لا أعلم إن كان أحد منا قد ظن يوماً أن الله قد تركه... هذا اختيار صعب جداً...
ربما لم نشعر يوماً بمثل هذا الشعور...
ولكن يسوع شعر بمثل هذا الشعور...يسوع اختبر هذه الوحدة القاتلة...
هذه اللحظات الأليمة التي نعجز عن التعبير عنها...
فهناك على الصليب عاش يسوع أحلك اللحظات...
فقد خانته الجموع الكثيرة التي راح يشفيها ويعظ بها ويعلمها... وصرخت الجموع أصلبه أصلبه بعد أن كانت قد هللت له يوم دخوله القدس...
بل وحتى تلاميذه... تركوه على الصليب وحيداً...
بطرس خاف على نفسه فأنكره...
والآخرون تواروا عن الأنظار وهربوا بجلدهم...
وبقي على الصليب وحيداً اللهم إلا من امرأتين ويوحنا...
وأمام الصليب شعر يسوع أن الله قد تركه فصرخ:
الهي الهي لماذا تركتني...
أين أنت يا الله... لماذا تحجب وجهك عني...
لماذا تسلمني إلى أعدائي... لماذا تسمح بهذا العذاب؟ بهذه الآلام؟ بهذه الأوضاع؟ بهذا الظلم؟ بهذا التبجبح للقوي؟
ويعترف الله لمسببين : نعم تركتكم...

مارتن لوثر تحدث هنا عن الله الخفي، أي أن الأنسان يشعر أحياناً وكأن الله قد اختفى من الوجود... ما يدور في العالم من أحداث لا يمكن تفسيرها أو فهمها أو شرحها بل غموض في غموض...

أجل الله يتركنا أحياناً ولكن للحيظة...
ولكن عمل الله الأبدي والأزلي هو أنه معنا...
كل الأيام وحتى انقضاء الدهر... أنه معنا منذ الأزل وإلى الأبد...

وهنا يستخدم الله تشبيهاً جميلاً عن عنايته بالبشر وهي من أجمل الآيات التي كتبت في الكتاب المقدس...
«لأن الجبال تزول والآكام تتزعزع وأما أحساني
فلا يزول عنك وعهد سلامي لا ينقطع قال راحمك الرب...»
هذه اللحظات الصعبة التي قد نمرّ بها ... يشبهها أشعياء بالزلزلة... قد تحدث... وهناك مئات الزلازل الخفيفة في كل سنة تحدث في منطقتنا لا نشعر بها لخفتها... ومن ثم هناك كل بضعة أشهر زلزلة أكبر ٣-٤ درجات على مقياس ريختر نشعر بها بعضها يخيفنا والبعض الآخر لا نعيره اهتماماً...

ولكن كل مئة سنة تحدث زلزلة مخيفة تبلغ قوتها ما بين ٧-٨ درجات... آخر زلزلة من هذا النوع حدثت سنة ١٩٢٧... وينتظر أن تحدث الزلزلة القادمة في هذا القرن في الخمسين سنة الأخيرة...

في الطريق إلى عمان بعد الجسر يرى الأنسان كيف أن الجبال تزعزعت وتحركت من مكانها... لحظات مخيفة في حينها يظن الإنسان أن العالم منته لا محالة... وأن نهايته قريبة... ولكن هذا يحدث للحيظة... ثوان معدودة لا تزيد أية زلزلة عن دقيقتين... ولكن عهد الله هو أبدي...

الحياة تستمر ... والإنسان يلعق جرحه... ويلملم الأشلاء... وينظف الركام ... ويبدأ من جديد ... لأن الله يعطينا هذه المقدرة ... هذا السلام ... هذه النعمة... هذه القوة...

قد يتركنا الله للحيظة ... فنسقط كالطفل الصغير... المرتعب...
ولكنه يبقى كالأب الحنون خلفنا ... جنبنا... لا شئ إلا لمحبته وإحسانه...
ولأن علاقته معنا هي علاقة حب وغرام لا ينتهي أبداً

**آمين.**

# سلام زائف

**يوحنا ٢٠: ١٩-٢٩**

بعد موت المسيح أمسى حال التلاميذ مخجلاً ومترديا...
وما إن قبض الجنود على يسوع إلا وتفرق تلاميذه،
وتشتتوا كما تشتتت الأغنام بعد مقتل راعيها.

ما إن صلب المسيح إلا وهرب أتباعه واختفوا في الظلام...
ما إن أغلق قبر السيد بالأختام إلا وانزوى أتباعه في منازلهم
محكمين خلفهم إقفال الأبواب.

حال التلاميذ بعد صلب السيد كان أشبه بحال العديد من الناس
زمن حرب الخليج، عندما راح العديد يغلقون على أنفسهم الأبواب،
ويسدونها بإحكام، ويجلسون هناك يأكلهم الخوف ويكبلهم القلق.
هكذا جلس التلاميذ في عليتهم وأقفلوا بابها بإحكام،
وقبعوا هناك في الظلام، إذ كانوا يخشون أن يكتشف اليهود
مكانهم فيطاردوهم ويلقوا القبض عليهم بل وقد يصلبوهم.

الكنيسة بلا المسيح تمسي دائما كنيسة مكبلة بالخوف،
منطوية على نفسها...
منزوية على عالمها...تعيش في الكتمان
وتصير مع مرور الوقت في طي النسيان.
الكنيسة لا يخاف أفرادها إلا على أنفسهم وعلى أرواحهم وعلى مراكزهم،
الكنيسة بلا المسيح تضحي كنيسة بلا شهادة بلا هوية وبلا رسالة.

أما يسوع فلم يترك كنيسته على حالها
كما لم يتركها سجينة خوفها...
بل في اللحظة التي قام المسيح ودحرج الحجر عن باب القبر،

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في أحد الفصح بتاريخ ١٩٩١/٤/٧.

فقد حطم في اللحظة ذاتها
الأقفال التي حبس التلاميذ أنفسهم خلفها...
قام المسيح واحترقت الأسوار التي قبع أتباعه خلفها...
قام المسيح وظهر لأتباعه القلقين، فتلاشى الخوف من نفوسهم...

قال لهم يسوع: سلام لكم...سلام لنفوسكم...سلام لأرواحكم...
سلام لعلاقاتكم بعضكم ببعض...
وما أن نطق بها حتى تلاشى الخوف من وسطهم
تلاشى خوفهم من مواجهة العالم...قضى على خوفهم من حمل الصليب
وتغلب على خوفهم من أن يشهدوا للمخلص الحبيب.
قام المسيح فأقام معه كنيسته بعد أن كاد الموت يشل حركتها...
قام فأعاد لها الحياة...أعاد لها النبض..
أعاد لها هويتها وبشارتها وغيرتها...
وأعطاها رسالة سماوية لعالم عاش في غياهب الجاهلية.

من خلف الأبواب الموصدة يعطي المسيح المقام لتلاميذه مهمة جديدة...
حسب إنجيل متى كان نص هذه المهمة: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.
وحسب إنجيل مرقس...اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.
وحسب إنجيل يوحنا...كما أرسلني الآب أرسلكم أنا.
من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت.

كما أرسلني الآب أرسلكم أنا...
بعد القيامة أصبح المسيح حيا في كل تلميذ من تلاميذه...
والتلاميذ أصبحوا سفراء الله على الأرض...
من خلالهم سيأتي المسيح إلى العالم...
من خلالهم سيمنح العالم مغفرة الخطايا.
ولكن التلاميذ كانوا بحاجة إلى قوة لينفذوا المأمورية الموكولة إليهم.
لذلك نجد المسيح ينفخ فيهم نسمة من روحه الخالدة.
ويطلب منهم أن يقبلوا هذا
الروح المعطى لهم. وحلول هذا الروح فيهم
يذكرهم كيف أن الله في الخليقة الأوليقد نفخ روح الحياة في الإنسان
جاعلا إياه كائنا حياً.
واليوم وبعد القيامة فالمسيح ينفخ في تلاميذه الروح القدس

فيصبحوا خليقة جديدة.
الروح القدس هذا يغير التلاميذ. والتلاميذ الخائفون يصبحون شجعاناً والكسالى يصبحون نشيطين واليائسون يصبحون فرحين.
اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه غفرت له. ومن أمسكتموها أمسكت.
من يومها أصبح الاعتراف بالخطايا أحد أركان الخدمات الأحدية...
فالإنسان يعترف بخطاياه. لأن الله قد أعطى كنيسته مهمة ومسؤولية مغفرة الخطايا.

هناك الكثير من الخائفين. الخائفين من عظم خطاياهم. المقيمين حول أنفسهم جداراً سميكاً كي لا يخترقه أحد ويرى خطاياهم. هناك الكثير من الناس القابعين في ظلمات زنزانات الخطية. يظنون أن الخطية قد انتصرت عليهم. ويظنون أن المسيح بعيد عنهم لا يستطيع الوصول إليهم وإنقاذهم.
لهؤلاء يأتي المسيح ويقول لهم من خلال الصلاة: سلام لكم...
لا تخافوا ولا تجزعوا. يا أبنائي مغفورة لكم خطاياكم.
ومن يؤمن بهذه الكلمات ينال غفران الخطايا...

الشيء الجميل في المسيح أنه يربط بين السلام وغفران الخطايا..
فالسلام بين الله والناس يقوم على التوبة والإيمان وغفران الخطايا...
وكذلك الحال في السلام بين الإنسان وأخيه الإنسان. إذ أنه لن يقيم بمعزل عن الإعتراف بالخطايا وطلب المغفرة.
هذه المعادلة أصبحت في هذه الأيام أمراً منسياً. قلما يتحدث عنها الإنسان:
ففي أثناء القصف على بغداد وفي اللحظات التي كانت فيها أرواح العراقيين تزهق راح الحلفاء يتحدثون عن النظام الجديد والسلام في الشرق الأوسط. وها هم اليوم يأتون إلى بلادنا ويتحدثون عن السلام. كما أن الآثام التي اقترفوها في العراق لم تحدث أبدا.

ما من سلام يقوم على جثث البشر. ما من سلام يقوم على الدمار
السلام مربوط بالتوبة وبتغيير المسار وبتغيير السياسة. وبتغيير السلوك.
غفران الخطايا يتبعه إرادة جديدة لترك الخطية ولبناء عالم البر. غفران الخطايا ينتج عنه ثمار المحبة وطول الأناة والصلاح. ليت الله يدخل نفوسنا الخائفة. وبيوتنا المضطربة. وجموعنا القلقة. ويعطينا سلامه ويملؤنا من روحه ويغفر لنا لنغفر نحن للآخرين. ونحيا حياة البر والقداسة.

**آمين**

# عدم استقرار

**لوقا ٢: ١٠-١١**

فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ:
« لاَ تَخَافُوا ! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:
أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. »

**قبل عدة أيام اجتمعت مجموعة من الشخصيات الشرق الأوسطية تتحدث عن همومها واهتماماتها... وتتحدث عن آلامها وآمالها... وتفكر في حاضرها ومستقبلها...**

**ومع أن المواضيع تشعبت وتشابكت... والأحوال تنوعت وتلونت...**
**إلا أن موضوعاً واحداً ووحيداً كان وبلا منازع الحاضر الغائب في جلستهم:**

**أجل كان الخوف من القاسم المشترك بينهم...**
**ففي لبنان خوف من فراغ دستوري وغياب رئاسي...**
**وفي العراق هلع من تناحر طائفي واقتتال داخلي...**
**وفي الخليج هاجس من نمو لعنصر أجنبي على حساب المحلي...**
**وفي مصر خوف من مد أصولي...**
**وفي فلسطين رعب يُروع نظام فصل عنصري...**
**على الرغم من أحاديث سلام وهمي...**

**أينما نظرت أرى خوفاً وهلعاً ورعباً...**
**وليس هذا بموضوع شرق أوسطي... بل هو موضوع يلف الكرة الأرضية برمتها...**
**ففي هذه القارة خوف من إرهاب... وفي تلك القارة من الأرض قتال... وفي الثالثة فقر وجهل متراكمان...**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/٢٤.

الخوف هو سمة هذا العصر...بل سمة من سمات الإنسان في أي عصر أو مكان... وكأن الإنسان مجبول بالخوف لا بالتراب. والمثير حقا أن الخوف يسيطر على الإنسان، زمن اليأس كما زمن اليسر والنجاح:
فإن هبط سعر الدولار خافوا من انهيار الأسواق ... وإن ارتفع سعر اليورو قلقوا من تراجع التصدير وتأثيره على الاقتصاد... وها هي الفتاة العزباء تخشى أن يفوتها قطار الزواج... أما المتزوجة فتخشى أن يهجرها زوجها ويبهر بغيرها من النساء...

وها هو المريض يرتعب أمام مرض عضال لا يرحم... أو موت محقق لا يبطئ... بينما للصحيح هاجس أن يأتيه الدور... على غير ميعاد... والفقير يحمل هماً كيف يقتات من معاش لا يكفي حتى للكفاف ... بينما الفتى قلق من غريم منافس، أو من انهيار في البورصات والأوراق...

أجل... أينما لمحت عيني رأيت خوفاً... وكلما تمعنت بين الأسطر أبصرت هلعاً وخشية وارتباك...
ويبدو لي أن حال البشرية اليوم هو كحال الرعاة الخائفين في القديم...
لذلك دعونا نتأمل في بشارة الملاك لهم:

« لاَ تَخَافُوا ! فَهَا إِنَّا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ:
أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. »

لم أفهم أيها الأحباء مغزى بشارة الملاك كمَا فهمتها في الأسابيع الأخيرة... في ذلك الاجتماع الذي ضم شخصيات شرق أوسطية... والتي جمع الخوف بينها. تحدثت أيضا امرأة تونسية من خلفية إسلامية كانت قد تنصرت - وإذا تنصرت امرأة أصبحت في خطر - ولكن وبعكس باقي الشخصيات لم أسمع في كلامها لهجة خوف ولا رعب بل أمن وإيمان وأمل.

في ذلك الاجتماع فهمت معنى بشارة الميلاد... فالخوف لا يرتبط بالواقع بقدر ما يرتبط برؤيتنا للواقع وبنظرتنا للأمور وبإيماننا في الحياة ... لقد رأيت الخوف يكبل أيدي الكثيرين... ويدفع للهجرة بآخرين... وأبصرت الخوف ينغص حياة الغني كالفقير... والغربي كالشرقي والمريض كالصحيح... ونظرت بشراً منهمكين في البحث عن سراب لا اثر فيه للخوف وعن شراب سحري يقي من الرعب... ويجعل الحياة في نعيم، ولها جنة على الأرض...

هناك هاجس اسمه الخوف يعيش في عقل الإنسان...
يسيطر على تفكيره ويشل حركته وينغص عليه عيشته...
أظن أنك تدرك عما أتحدث...
وأجزم أنك تعرفين ماذا أقصد...

كلنا نعيش أسرى هذا الخوف... وكلنا رهائن هذا الرعب... هذا الخوف هو الوسواس الذي يعيش في صدور الناس... ولكن مهلا... ففي مثل هذا اليوم قبل ألفي عام نطقت السماء لأهل الأرض " لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ.

أيها الأحباء...
لا خوفَ من الخوف بعد اليوم...
الخوف لم يعد يخيفنا... فقد سيطرنا عليه... لأن المخلص قد حررنا...
فهنا في هذه المدينة الوادعة وتحت نير الاحتلال الروماني... ولدت بشائر الحرية والخلاص... وهنا من رحم عتم الليل... بزغ فجر الضياء... وفي روابي هذه الصحراء فجر الله ينابيع المياه... وفي هذه الأرض القاحلة زرع اشتال أمل ورجاء...

لذلك لم يعد الخوف يخيفنا... بل قد تقهقر وملم صفوفه واندحر إلى الوراء... حتى الخطية لم تعد تقض مضاجعنا... بل فقدت سيطرتها علينا... وأصبحت بلا حول وبلا حياة...

هذا لا يعني أن الله يقينا المرض أو الخطر أو الأتعاب... بل سنبقى معرضين للمخاطر والتجارب والضيقات... ولكن إذ تجسدت الكلمة لم نعد وحيدين مع خوفنا.. لأن عمانوئيل قد ولد. فقد صار الله رفيقاً لنا... يشعر معنا في ضعفنا وخوفنا وضيقنا... قد نجتاز المياه... ونشعر بتيارات الأنهار تحاول أن تسحبنا ولكننا نكتشف أنه معنا لذلك فالأنهار لا تغرقنا... فقد نكتوي بالنار... ولكن لأنه معنا فاللهيب لن يفحمنا.

لذلك لا تيأس ولا ترتعب  لا ترهب الهلاك
فأنا مأوى الورى  يسوع لن ينساك

هذا ما تعلمناه في كنيسة الميلاد أيها الأحباء... وهذه هي الآية التي خطت على غطاء المذبح في الصدارة :

لاَ تَخَافُوا ! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ

فلقد علمنا الميلاد ألا نقضي حياتنا متسمرين أمام الخوف... مرتعدين ننتظر الفناء... ولقد أرادنا الله ألّا نسمح لكل ريح تهب أن تلعب بنا تارة نحو اليمين وتارة نحو اليسار وألا نرتعش أمامها كأوراق الصفصاف أمام تيارات الريح العاصفة.

لذلك ترانا لا نضيع الوقت نبكي على الاحتلال أو نلغي الزمن أو ننتظر حلولاً لسلام عادل وشامل ودائم قد يخلف الميعاد.. حقا هناك تحديات جمة تحيط بنا... تحديات تحاول أن تخيفنا وتعيق عملنا... هناك احتلال يقضم أرضنا وجدار يدمر مستقبلنا... ولكن كل هذا لن يخيفنا ولن يثنينا عن هدفنا...

إذا خلصنا الكلمة فقد أمسينا شهوداً لرجاء حي لا يعرف اليأس أو القنوط أو الاستسلام.

إذا زارنا الله ونصب خيمته في ربوعنا... فلن نخاف من طريقنا مهما وعرت لأن عمانوئيل معنا في حلّنا وترحالنا.

أيها الأحباء، أيها المستمعون...
من قلب مدينة بيت لحم...
ومن مهد السيد المسيح عليه السلام...
ومن جوار المذود التي تجسدت فيه الكلمة...
ومن فلسطين المحتلة نقول لأخوتنا في المشرق والمهجر:

لا تخافوا... لا تسمحوا للخوف أن يكبل عقولكم وقلوبكم وأياديكم...
بل كونوا شهود حياة في عالم الموت
ودعاة رجاء وسط اليأس
وصناع عدل وسلام زمن القهر
فلقد حرركم طفل بيت لحم. حرركم من الخوف...
فكونوا بالحقيقة أحرار.

**آمين**

# في مواجهة الموت

تحتفل الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر من كل عام بعيد الإصلاح. وفي مثل هذا العيد تقف الكنيسة وقفة إجلال وإكبار لذلك المصلح الكبير الدكتور مارتن لوثر الذي حمل مشعل الإنجيل عاليا ليبدد ظلام القرون الوسطى عن أوروبا معلنا عن إشراق فجر جديد في تاريخ الكنيسة المسيحية. ويصادف هذا العام مرور أربعمائة وخمسين عاماً على وفاة المصلح مارتن لوثر. ففي صبيحة الثامن عشر من شهر شباط سنة ١٥٤٦ توفي مارتن لوثر عن عمر يناهز ثلاثاً وستين سنة.

وبهذه الذكرى لا بد من أن نقف لحيظة نتأمل فيها حياة هذا المصلح من نهايتها. فالإنسان لا يعرف حقيقته إلا ساعة موته. وإن أردنا أن نفهم حياة إنسان على حقيقتها فما من سبيل أفضل

من أن نتأمل مماته. فكما أن الصليب هو مفتاح حياة الناصري، كذلك كان الرّقاد هو مفتاح حياة مارتن لوثر. كيف ذلك ؟

لم يواجه مارتن لوثر الموت مرة واحدة، بل إنما تقابل معه مرات ومرات. وأمام شبح الموت هذا كان لمارتن لوثر مواقف لا تنسى. ونستطيع أن نحصي على الأقل أربع مرات تقابل فيها مارتن لوثر مع الموت وجها لوجه وتعارك معه فانطلقت شخصيته وامتحن معدنه وبان صدق دعوته.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الإصلاح في الذكرى ٤٥٠ سنة على وفاة المصلح مارتن لوثر بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٣١.

١. المرة الأولى كانت عام ١٥٠٥ وكان لمارتن
لوثر من العمر فيها اثنان وعشرون عاماً. كان
المصلح ما زال في ريعان شبابه، وقد أنهى
لتوه رسالة الماجستير في العلوم
وانخرط في دراسة القانون وتدريس الفلسفة.

في ذلك العام توفي – فجأة ودون سابق إنذار–
أحد أقرب أصدقائه إليه، وأحبّهم إلى قلبه، فتسلل الخوف
إلى قلب مصلحنا وراح يسأل نفسه ماذا سيكون
مصيره لو انقضت حياته بهذه السرعة وبدون سابق إنذار،
فراح شبح الموت يلاحقه ليل نهار ويطرد النوم من عينيه.
وفيما كان سائراً في الغابة وهو في حالة نفسية مضطربة
يفكر في سر عدو الإنسان المخيف هذا، إذ بصاعقة
رهيبة تباغته ولم تبعد عنه سوى بضع
سنتمترات، فألقى بنفسه على الأرض وخيّل
له أن يد الموت قد طالته أخيراً فصرخ مستنجداً
بالقديسة حنة ونذر أنه إن سلم من خطر الموت فسيهجر
العالم ويصير راهباً.

هذه كانت مقابلة مارتن لوثر الوحيدة قبل اكتشافه
مغزى الإنجيل الجديد وبشرى التبرير بالإيمان وجاءت
هذه المقابلة قبل اثني عشر عاما من انطلاق شرارة الإصلاح.

وإذا تساءلنا عن موقف لوثر أمام الموت قبل الإصلاح نقول:
إن مارتن لوثر كان يرتعب من الموت، يهرب، يستنجد، كان كثير الهلع
يرتجف، يخاف على حياته، وهذا هو نفس موقف
مارتن لوثر من الله قبل الإصلاح، فقد كان الشاب اليانع

مارتن لوثر يرتعد من الله، يموت خوفا منه، وكان يسأل
دوما: كيف أنجو من عقاب الله، وكيف أحظى بإله رحيم
ومن ينقذني من الهاوية.
فأمام شبح الموت تظهر
علاقة الإنسان بالله على حقيقتها.

٢. أما المرة الثانية التي تقابل فيها مارتن لوثر مع الموت فكانت بعد الإصلاح بأربع سنوات وذلك أمام مجمع فورمس الشهير في ١٥٢١/١/٢٨. فقد عقد هذا المجمع بناءً على رغبة البابا بهدف التخلص من مارتن لوثر بأية وسيلة. لم يكن هذا مجمعاً بقدر ما كان جلسة محاكمة للمصلح وآرائه. ولقد حضر هذا المجمع عدد كبير من الملوك والأمراء وما يربو على الخمسة آلاف مشاهد.

في هذا المجمع طلب السفير البابوي من الملوك والأمراء محاكمة مارتن لوثر لأن مؤلفاته تحوي من الأخطاء والأضاليل ما يكفي لحرق مئة ألف هرطوقي. وكان هذا بمثابة حكم بالأعدام على مارتن لوثر. وأنهى السفير البابوي كلامه بأن توجه إلى مارتن لوثر قائلا:-

«يا مارتن، هل تعرف بأن هذه الكتب- مشيراً إلى حوالي عشرين مجلدا موضوعة على طاولة- هي من تأليفك؟ وهل أنت مستعد أن تسحب هذه الكتب وما تحتويها؟ أم أنك تصر عليها؟ فأجاب مارتن لوثر على السؤال الأول بالإيجاب. أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني، فقد طلب مهلة للتفكير في الإجابة عليه. وأعطي لوثر هذه المهلة على أمل أن يتراجع عن أفكاره وينجو من الموت المحتم.

في ذلك اليوم صلى مارتن لوثر صلاة تعتبر من أجمل مؤلفاته قال فيها: « رباه، ما أفظع هذا العالم. فقد فتح فاه ليبتلعني أنا المسكين إذا أنا اتكلت على قوة هذا العالم فقط، فشلت وضاع كل شيء. لقد صدر علي الحكم...ولكنني لن أتركك ولو احترق جسدي ولو قطعت إرباً إرباً. إن القضية ليست قضيتي، بل قضيتك...أنت اخترتني لهذا العمل وأنا أعرف ذلك يقينا. قف يا إلهي إلى جانبي من أجل خاطر يسوع المسيح ابنك الحبيب. فهو قوتي وحصني الحصين. آمين. »

في اليوم الثاني استأنف المجمع أعماله وسأل سفير البابا لوثر إن كان سيدافع عن كتبه ومعتقداته أم يتخلى عنها.

فأجاب لوثر، لا أستطيع أن أخضع إيماني لا للبابا
ولا للمجامع، لأن البابوات والمجامع تخطئ، وكثيراً ما
تناقض قراراتهم بعضها البعض. ولكن إذا أثبتم لي في الكتاب المقدس
وبالحجة والمنطق بأن ما كتبته هو خطأ
فسأتراجع وإلا فلن أستطيع أن أتصرف ضد ضميري.
وبعد أن وجه نظره إلى من حوله قال بشجاعة وثبات:
«هذا هو موقفي الثابت ولا أستطيع أن أتراجع فليساعدني الله. آمين.»

يا للبر: لوثر قد تغير. الإصلاح لم يغير الكنيسة إلا بعد أن غير
لوثر نفسه. لم يعد مارتن يخاف الموت.
«أين شوكتك يا موت؟ أين مخالبك يا هاوية؟.»

الموت فقد أنيابه. لوثر تأصل في الإنجيل
وثبت فيه فلم يعد يزعزعه الموت. هذا هو موقفي الثابت.
من يستطع أن يصمد أمام حكم الإعدام هذا الصمود
لا بد وأن يكون مستنداً إلى صخر الدهور.

٣. المرة الثالثة التي تقابل فيها لوثر مع الموت كانت
بين أعوام ١٥٢٥ – ١٥٢٨. حيث كانت هذه الأعوام صعبة
في حياة المصلح. فأوجاع ناجمة على حجارة في الكلى راحت
تنخر جنبيه. والطاعون راح يحصد العديد من
جيرانه وأصدقائه بل وحتى طال أفراد عائلته.
بل وراح أتباع البابا يحرقون أتباع لوثر في الأسواق
العامة. إذن ها هو الموت يحيط بالمصلح.
في هذاالوقت بالذات كتب مارتن لوثر ترنيمة الإصلاح الشهيرة التي تقول:
«الله ملجأ لنا الأعداد ١+٣+٥+٦
إذا كانت هذه الترنيمة هي رد المصلح على الموت،
على الطاعون والاضطهاد والمرض.

ترنيمة نشتمّ منها رائحة النصر. ولوثر
لم يعد يخاف أي شيء. لماذا؟ لأنه واثق
بأن الله معه. وإن كان الله معنا فمن علينا:
وكأن لسان حالنا يقول مع الرسول بولس:

لأنني متيقن أنه لا موت ولا حياة، لا علو ولا عمق
لا رياسات ولا سلاطين تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع.

٤. أما المرة الرابعة والأخيرة والتي تقابل فيها لوثر مع الموت
فكانت عندما اقتربت منيته. فأصاب أتباعه الخوف
عندما اقترب شبح الموت من زعيمهم. أرادوا الاطمئنان
فسألوه: «هل تريد أن تموت على عقيدتك، أم تريد
أن تتراجع؟ لقد اقتربت من المثول أمام سيّدك؟
وستقف أمام الدّيّان، فراجع نفسك؟ ولكن مارتن بقي ثابتاً
يتحلى برباطة جأش، وعلى فراش الموت نظم قصيدة أخرى شهيرة تقول:-
«بسلام وفرح أنا أسير على هدى الله
قلبي ونفسي مطمئنة تحظى بسلام
وكما وعدني الله فإن موتي لن يكون أكثر من رقاد.»

ثم تمتم قائلا:
«أيها الآب في يديك أستودع روحي، وأسلم الروح.»

حياة المصلح لن نفهمها إلا إذا فهمنا هذا الصمود أمام الموت
وهذا السلام أمام المنيّة. الإصلاح لن نسبر غوره
إلا إذا أدركنا هذا الثبات وسط الزلازل.

ما أحوجنا إلى روح الإصلاح أيها الأحباء،
فقد أصبحنا نغير معتقداتنا وكنائسنا كما نغير ملابسنا
أصبحنا كسفينة تائهه تلاطمها الأمواج المزبدة
تلعب بها يمنة ويسرى، تقذفها حيناً هنا وحيناً
هناك، ونسينا أن الذي يبقى رهينة للأمواج
سيتعب ولن يصمد أمام شبح الموت، بل سيبقى
الخوف والهلع يحيطان به، لن تجد الطمأنينة طريقا إلى قلبه،
لأن قلبه يتعلق بما يفنى ولم يكتشف بعد أن الارتباط
بالله أقوى وأحلى من أي شيء آخر.

الله ملجأ لنا وقوة على الدوام
عون شديد ثابت في الضيق حصن وسلام

الله وسط شعبه حصن فلا نلقى ضرر
يرعى الكنيسة التي قدسها فادي البشر
يعينها الإله تشبع من رضاه
مسيحنا الجليل يلبسها الإكليل
في وقت اقبال السحر

لو أن دنيانا امتلأت أبالسة تنوي الخصام
فلن نخاف شرها إذ عوننا فادي الأنام
إبليس خصمنا قد دين وانهزم
مهما بنا غدر سلاحه انحطم
حطمه الفادي المجير

# كيف عدت إلينا يا عيد

**غلاطية ٤: ٤-٧**

منذ مئات السنين اعتاد عيد الميلاد أن يأتي ليزور مدينة بيت لحم...
في كل عام وفي الموعد المحدد كنا نرى المدينة تستعد لاستقبال ضيفها العزيز...
فترفع الأعلام... وتضيء الأنوار... وتُنصب الأشجار وتزين الطرقات...
وكلما قربت ساعة وصول الضيف كلما ازدحمت شوارع المدينة
بالسكان والزوار والسياح.

هذا هو عيد الميلاد كما اعتدنا أن نراه كل عام.
أما هذا العام، فلم يأت موكب الميلاد لزيارتنا...
انتظرناه كالمعتاد لكن دون جدوى...
ترقبناه لكن دون أي أثر يذكر... للسنة الثالثة انقطع العيد
عن القدوم إلى مدينتنا!

حيرة اخذت تدب في قلوبنا... قلق راح يشغل تفكيرنا...
لماذا لم يأت عيد الميلاد لزيارتنا؟
ألعله نسينا؟
أتراه ضل طريقه إلينا؟
أم أنه قد تأخر عنا في بولندا أو المانيا الشرقية فقرر الاحتفال هناك أمام بوابة براندنبرغ، حيث سيفرح لمرأى الإخوة يتعانقون بعد غياب طويل وحيث سيرقص طربا على أنغام صيحات الحرية المتدفقة من أفواه الطرفين؟؟

أيها الأحباء، لقد أتى عيد الميلاد لزيارتنا... مر كعادته أمام بلدتنا...
لكنه لم يستطع التعرف على طرقاتها...
فطرقات بيت لحم المكتظة... أصبحت خالية،
وشوارعها المضاءة أضحت مظلمة، ومتاجرها الفرحة...
راحت تنوح لقلة مرتاديها.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد الميلاد بتاريخ ١٩٨٩/١/٢٥.

سكون غريب راح يخيم على بيت لحم... ولكنه ليس بسكون المغارة،
بل هو سكون الحرب والظلم والاضطهاد...
لقد أتى عيد الميلاد الينا ...توجه كعادته إلى مدينة بيت ساحور...
قصدها ليسهر مع الرعاة المتبدين الساهرين... قصدها ليطرب
على أنغام جند الملائكة المرنمين ... المجد لله في العلى وسلام للعالمين.

بحثَ موكب الميلاد عن الرعاة فلم يجدهم، سأل عنهم فقيل له بأن هيرودس قد أصدر أمراً باعتقالهم... استفسر عن مواشيهم فأخبروه بأن رجال الضرائب قد اقتحموا حظيرتها وصادروها...

انتظر أن يسمع ترنيمة جند الملائكة...فلم يصل إلى أذنيه سوى ضجيج جنود الاحتلال المتمركزين على أسطح المنازل...وكأنهم قد وقفوا هناك ليمنعوا جند الملائكة من اختراق المنطقة العسكرية المغلقة، خوفا من أن يعرب هؤلاء عن تضامنهم مع بلدة الرعاة.

قد لا نستطيع، أيها الأحباء، الاحتفال هذه السنة بعيد الميلاد،
قد لا نزين الأشجار وقد لا نضيء الطرقات ...ولكننا لا نقدر
في مثل هذا اليوم إلا أن نذكر طفل المغارة ...لا بد من أن نذكره
لأن في ميلاده لنا عزاء وفي ذكراه لنا أمل ورجاء...

فلقد ولد يسوع في أيام هيرودس الملك... ولد في بيت لحم
مع أن نجمه أضاء في المشرق...أضاء معلنا عن ولادة ملك جديد
يكون اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام...

وما أن ولد يسوع في بيت لحم، وأصبح مولد الملك الجديد على مرأى ومسمع من هيرودس إلا وتسرّب الخوف إلى نفسه... فلقد رأى في ولادة الطفل الصغير نهاية لمطامعه التوسعية... فخاف على منصبه... خاف على كرسيّه وخاف على مملكته... خاف أن يطالب هذا الطفل بوطن وبحكومة
هكذا هو أمر كل طاغية ... لا يخاف من شيء مقدار خوفه من الأطفال...

ولهذا كان لابد لله من أن يظهر كطفل صغير وضيع...
إذ قد اختار الله الضعفاء ليخزي بهم الأقوياء،
واختار الأطفال ليهزم بهم الأبطال!

وهكذا أصبح الإله العظيم طفلاً حقيراً.
وهكذا أضحى الإله القوي طفلاً صغيراً أعزلاً...
مع ولادة طفل بيت لحم أحس هيرودس بأن أيامه قد أضحت معدودة.
لذا أصدر أمراً جنونياً يقضي بقتل جميع الأطفال من ابن سنتين فما دون في بيت لحم وفي كل تخومها... وراح جنوده ينفذون الأوامر...

راحوا يقتلون الأطفال الأبرياء... فسقط منهم عشرات بل مئات ومئات...
حينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل: صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير...راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين...

راحيل، تلك الأم القابعة على مشارف بيت لحم، راحيل هذه
وإن ماتت فما زالت ترى ... ما زالت تسمع ما يحيط ببلدتها...
راحيل ورغم موتها ما زالت تذرف الدمع ساخناً.
ما زالت تبكي... فلذات أكبادها... ما زالت تبكي
مصير أبنائها الذين ما فتئوا يسقطون يومياً فوق تراب بلدتها.

وسط أصوات عويل راحيل هذه، ولد المسيح...ولد في بلدة هي ليست بلدته.
ولد فلم يجد منزلا يأويه، ولد ولم يجد إلا التراب ليفترشه، وزيتونة يلتحفها وحجراً ليسند إليه رأسه.

ولد كطفل مهجّر/ وما أن رأت عيناه النور، ومرت على ولادته أيام قلائل إلا واضطر إلى أن يرحل... اضطر إلى أن يهرب... اضطر إلى أن يلجأ إلى البلدان المجاورة، فتشرد في بقاع الأرض يطلب ملجأ وملاذاً... يومها أصبح الله طريداً لاجئاً مهجراً ومشرداً...

أترون أيها الأحباء، كم هي قريبة قصة الميلاد من واقعنا،
ألا تشعرون كم هي حية وكأنها كتبت على زماننا،
أتحسون كم هو قريب طفل المغارة من شعبنا... حتى أننا نخاله واحداً منا ... طريداً كأبنائنا... مهجراً كإخوتنا ولاجئاً كجيراننا؟؟؟

حقا فلقد ولد لنا ولد وأعطانا الله ابناً...
إنه منا وفينا، منا وإلينا، شاركنا مصيرنا...وقاسمنا تهجيرنا...

لو أتانا الله على شكل طاغية لكرهناه، ولو أتانا في ثياب ملك
لخفناه وتملقناه، ولكنه أبى إلا أن يأتي إلينا على شكل طفل حقير ضعيف
أعزل مهجر، فعرفناه وأحببناه وصدقناه...
قصة الميلاد تزفّ الينا بشرى ميلاد الطفل الوضيع،
ولكنها تخبرنا أيضا عن موت هيرودس الطاغية الخبيث،
قد يتجبر هيرودس، قد يسجن ويعذب، قد يغتصب ويدمر...

لكن أيامه معدودة، وسنيّه محدودة... هيرودس حكم ثلاثاً وثلاثين سنة
ومات ...هتلر حكم اثنين وعشرين سنة ومات...تشاوشيسكو
حكم خمساً وعشرين سنة ومات..هؤلاء جميعهم شَردوا، وظَلموا، وقتلوا
لكنهم لم يستطيعوا أن يملكوا إلى الأبد...أما طفل المغارة
فشُرّد وظلم وصلب ولكنه حي إلى الأبد...

مات هيرودس ورجع الصبي إلى وطنه...رجع ليعلم وليبشر
عاد ليشفي ويجبّر...عاد ليبني صرح ملكوت الله...

أيها الأحباء عندما يولد الطفل في قلوبنا ...ويملك الرب
على ضمائرنا يموت هيرودس في نفوسنا...
يموت خوفنا من جبّره ... ويموت قلقنا لشخصه
عندما يولد الطفل في عقولنا ... ويملك على حياتنا
ننهض ونبني صرح دولتنا ... ننهض ونعطي
ونبشر ... ننهض ونعلم ونجبّر...

ليت الرب يولد فينا هذا الصباح، فيموت هيرودس،
وننهض لنبني ملكوت العدل والسلام.

# زلزلة

**متى ٢٨-١-١٠**

أيها الأحباء في الرب،

في معرض سرده لقصة القيامة، ينفرد البشير متى
بذكر الزلزلة العظيمة التي حدثت في صباح الأحد.
"وإذا زلزلة عظيمة حدثت-لأن ملاك الرب نزل من السماء
وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه."
زلزلة عظيمة حدثت يوم الأحد،
وكأن الأرض لم تقو على أن تحتفظ بجسد يسوع بين ضلوعها،
ولم تقدر على أن تحوي رفات المخلص في ثناياها،
فانتفضت، ارتعشت، تزلزلت...
وكيف لا تنتفض وقد دفن في أديمها معطي الحياة..
كيف لا ترتعش وقد لامست بعناصرها رب العباد...
كيف لا تتزلزل وقد أسجي في باطنها نور السماء...
"أجل، وإذا زلزلة عظيمة حدثت... "

أيها الأحباء في الرب،

نحتفل اليوم وللمرة الأخيرة في هذا القرن، نحتفل بعيد القيامة.
وإذا كان أحد القيامة هو يوم الزلزلة الكبرى،
فلقد كان هذا القرن العشرين وبحق قرن الزلازل...
وما أكثرها من زلازل...
أو لم تكن الحربان الكونيتان زلزلتين إذ حصدتا من
الأرواح معا ما يزيد عن مئة مليون نسمة،
حصدتهم آلة الحرب وعتاد الدمار. زلزلة وأي زلزلة
أو لم تكن القنبلتان الذريتان اللتان ألقيتا على هيروشيما

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في عيد القيامة بتاريخ ١٩٩٩/٤/٤.

وناغازاكي زلزلتين أكلتا الأخضر واليابس، ودمرتا
الأرض والزرع والإنسان. زلزلة وأي زلزلة
وماذا نقول عن زلزلة العقد التاسع من هذا القرن،
عندما انهار - ودون سابق إنذار- العملاق الشيوعي...
وانزاح الستار الحديدي وانهار جدار برلين...
زلزلة وأي زلزلة...
وماذا نقول عن الزلازل الشرق أوسطية
واندحار القومية العربية... أجيال وأجيال
اعتزت بلغة الضاد...وتغنت بكنعان وقحطان...
وسكرت على أناشيد الوحدة والعروبة والقومية...
وإذ بها تفيق فجأة على أصوات حرب الخليج،
لتجد العرب وقد راح يأكل بعضهم لحم الآخر،
ولتكتشف بأن العروبة لم تكن إلا أفيوناً، أو كذبة ملفقة،
أو حلماً من أحلام اليقظة...زلزلة وأي زلزلة.
وماذا عن زلازل الدين والتدين؟
لقد تنبأ الفلاسفة بأن الأديان ستصبح من مخلفات
القرن العشرين، وبأن ما من مكان لها في الألفية الثالثة...
ونادوا بأن الله قد مات، وبأن العلم قد اعتلى
عرش الإله، حتى نجيب محفوظ في رواية "أولاد حارتنا"
كان قد تأثر بهذه الأفكار...

ولكن فجأة وقبل أن تغرب شمس هذا القرن
فإذا بالأديان تنزع عنها كفنها...وتضعه جانبا...
وتنهض بعد أن دبت دماء جديدة في عروقها...
فها هي شبّابة تصدح بالإسلام حلاً...
وأخرى بالهندوسية مذهباً...
وأخرى بالأرثوذكسية سبيلاً...
زلزلة وأي زلزلة...

وينقصنا الوقت إن تحدثنا عن زلزلة البيولوجية الحديثة...
وكيف يتلاعب الإنسان بكروموسومات الحياة وبخرائط الوراثة..
ويعيد رسم الجينات. زلزلة وأي زلزلة...
لا عجب إذاً أن يكون الخوف سمة هذا العصر..

أمام هذه الزلازل والبراكين يشعر الإنسان وكأن الأرض
تتمايل تحت أقدامه... يشعر بأنه مسكين، ورقة
في مهب الريح... وكأن ما من شيء يركن إليه... ما من شيء
يمسك به... ما من شيء يستند إليه.
أجل أينما صوّبت بصرك، سترى
أجساداً منهوكة...وعقولاً مضطربة
أعصاباً متوترة...نفوساً مريضة...
وقلوباً حائرة.

أجل الأغلبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية لخائفون...
في صربيا وكوسوفو يخافون الحرب..
في إسرائيل وفلسطين يخافون السلم...
في العالم الإسلامي يخافون الضعف...
وفي العالم العربي البطالة...
فالخوف أكبر عدو للإنسان...
زلزلة القيامة تحرك فينا هذه الزلازل مجتمعة...
إنها تثير زوبعة داخل نفوسنا...
تصيرنا أشباه أموات...

ولكن وفجأة ومن القبر نسمع بشارة القيامة...
لا تخافا أنتما...
العالم يخاف ولكن لا تخافا أنتما...
العالم يرتعد ولكن لا داعي أن ترتعدا...
الكون يتمايل ولكن لا ترهبا بل اثبتا...
إنكما تريدان يسوع المصلوب...
تبحثان عن الماضي، تريدان أن ترجعاه،
تنظران إلى الخلف، تودان لو استطعتما أن
تمسكا عقارب الزمن بأيديكما فلا تهرب منكما...
إنكما تريدان يسوع المصلوب...
تريدان أن يبقى كل شيء على حاله...
لكن الكل يمضي ويزول، لا شيء يبقى لا يحول
لا يبقى عشب في الحقول والزهر أيضا للذبول
أم تأتي وأخرى تذهب...

ممالك تصعد وأخرى تهبط...
اكتشافات، اختراعات ...حروب ... زلازل...
كلها لا تخيف، لأن يسوع الناصري قد قام...
قام مفجراً القبر... مكسراً القيد ... مزلزلاً الأرض...
محولاً القبر المعتم إلى نور وضّاء...

إنه قد قام من الأموات... وها هو يسبقكم إلى الجليل...
إنه قد قام... فلا تبحث عنه في أنقاض القرن العشرين...
لقد سبقكم إلى القرن الجديد...هناك تجدونه...
إنه قد قام ...فلا تمسك بقشور الحياة والإيمان،
فتكون كمن يسعى ليمسك الماء الحي في بئر متشققة...
المياه الحية تزبد وتتحرك وتحيا وترفض أن تسجن
في المستنقعات ... المسيحية هي مياه حية، لا مياه نتنة.

إنه قد قام من الأموات...لقد سبقكم...
إنه يجري أمامكم ... لا تخف أن تتقدم... لا تخف
أن تتغير ...لا تخف أن تنطوي ...إنه أمامكم...
لا تبحث عنه في الخلف...فمن يضع يده على المحراث وينظر
إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله..
إنه قد قام من الأموات ... لقد سبقكم...
فدع الموتى يدفنون موتاهم... كفاك ندباً...
كفاك بكاء على الأطلال...كفاك هجاء للزمان...

بل قم ...قف ...انهض أيها المائت...انفض عنك الأكفان
قم احرث المستقبل... ابذر الكلمة...اغرس شتل الإيمان...
لا تخف الزلازل... لا تخش البركان...
قم قم واشترك في عمل الرب المقام...
قم، قم حول المقابر إلى أراض خصبة...
حول الأرض المعتمة إلى سماء زرقاء...
إذ قد غلب الحمام... منتصراً على الجحيم
تخفق فوق رأسه الأعلام... سائرا في موكب النصر العظيم
هللوا...هللوا... هللويا... الرب قام.

# انتفاضة الأقصى

**لوقا ١٤: ٢٥-٣٣**

في هذا الأحد، ونحن نعيش تحت الحصار، ارتأيت أن أختار قراءة معينة لنتأمل فيها، وليس هذا من طبعي، فعادة ما أعظ عن القراءة المعينة، ولكن يبدو لي أننا كشعب فلسطيني بحاجة إلى كلمات توجهنا في خضم معركتنا هذه. وفي القراءة هذه عبر ودرر علنا نستطيع أن نسبر غورها.

دعونا نفكر أولا في المشهد...
يسوع في طريقه من الجليل إلى القدس، لا نعرف موقعه أو المكان الذي قال فيه هذه الكلمات... ولكنه في الطريق، يسير في مقدمة موكب كبير... جموع كثيرة كانت تسير معه ووراءه... وكأنه كلما دخل قرية كانت جموع أخرى تلحق به، بعضها يدري ماذا يفعل، والبعض الآخر ربما رأى هذا عرساً للرقص فيه، أو مظاهرة للاشتراك فيها.
كانت هذه فرصة أخرى سانحة ليسوع لينصب نفسه ملكا على الجموع، خطبة حماسية واحدة وسترفعه الجموع على الأكتاف وسيهتفون له بأنه المسيح المنتظر والمخلص الموعود.
كانت هذه فرصة سانحة ليسوع ليداعب عواطف الجموع ويحرك الأدرينالين في عروقها فتهبّ تتوثب وتتوعد...
ويلتفت يسوع إلى الجموع، فيهتفون له ويحيونه بترديد الأهازيج، ثم يهدأون ينتظرون أن يسمعوا منه كلمات رنانة ليست كالكلمات...
ورويدا رويدا يفتح يسوع شفتيه قائلا...
إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وأقرباءه وأولاده وأخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذا...
يا للمصيبة... أي كلمات هذه؟ التي يصرح بها يسوع ، لقد سقط يسوع في امتحان القيادات الجماهيرية، لقد قال الشيء الخطأ في المكان الخطأ... فبدل أن يعبئ الجماهير، ها هو يضعف من حماسها...
وبدل أن يحثها على التماسك والتعاضد والوحدة الوطنية والتلاحم والتكافل

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٠/١٠/١٥.

وكل هذه المفردات التي نسمعها صبحاً ومساء، هاهو يقول... إن كان أحد لا يبغض أباه وأمه...
أجل سقط يسوع في امتحان القيادات الجماهيرية...فبدل أن يؤجج العواطف الملتهبة، وأن يردد شعاراً صغيراً وبسيطاً يصبح أنشودة الجماهير
هاهو يدخل في الفلسفة
بل ويشكك في وحدة العائلة والحمولة والمجتمع.
بل يشكك الإنسان حتى في نفسه...
والمظاهرة ليست الوقت المناسب للتشكيك في الذات، بل في دعم المعنويات، وحشد الطاقات النفسية أيضا.
البعض يظن أن يسوع لم يكن يوما سياسيا بل فيلسوفا... لذلك لم يستغلّ أبدا طاقات الجماهير...والكنائس الحرة تفتخر بأن يسوع لم يكن سياسيا ولم يفهم يوما في السياسية لأنه ابن الله المخلص ... وهذا هذيان. والبعض الآخر كثيرا ما يقارن بين النبي محمد السياسي والعسكري ويسوع. فالأول يهتم بالأرضيات والآخر بالسماويات. وهذا أيضا هذيان. فيسوع سياسي ولكن من نوع آخر...بعكس الكثيرين من السياسيين فهو...

١. لا يثق كثيراً بالجماهير وبغضبها وبأهازيجها...لقد كان يعلم أن الجماهير سريعا ما تنقلب، كالرياح كثيرا ما تغير اتجاهاتها ... يوما تصرخ ... أوصنا في الأعالي... ويوما آخر أصلبه أصلبه ... اليوم تغني لانتفاضة قومية، ومرة أخرى لانتفاضة وطنية، وثالثة لانتفاضة دينية.

٢. يسوع لم يهتم بنفسه وبمجده، لم يطلب أن ينصب ملكاً، بل على العكس رفض هذه التجربة مرات كثيرة... مرة يوم جربه الشيطان في البرية، ومرة أخرى عندما حاولت الجموع أن تختطفه لتنصبه ملكا، كما فعلت مع داود، مرة أخرى يوم دخل القدس من بواباتها الذهبية.
مجداً لنفسي لست أطلب... ولكنني أطلب مجد أبي...
في مدرسة يسوع نتعلم معنى القيادة الحقيقية...
فأغلب السياسيين يرون في الجماهير سلماً للارتقاء إلى السلطة...
أو ورقة رابحة في المفاوضات، أو مدعاة لتمرير سياسات...
أو وسيلة لتحقيق غايات.

٣. يسوع يركز على الفرد...إن كان أحد لا يأتي إلي...
على الفرد ألا ينقاد وراء الجماهير انقياد الغنم وراء التيس...

بل إن يسوع القائد يريد من الفرد أن يفكر في مسيرته وفي توجهه...
في عواطفه وفي علاقاته وفي تصرفاته...
يسوع يريد أن يجعل من المفعول به الإنسان الذي يتحول إلى
إنسان فاعل، هو يتخذ قراراته عن قناعة...
يسوع يريد أن يحول الإنسان الذي ينقاد وراء غريزته وعاطفته إلى إنسان واع لما يفعل...وكمسيحيين يجب أن يكون هذا هو الهدف من وراء مدارسنا...الاهتمام بالفرد كي يستطيع أن يكون قادرا على اتخاذ القرارات، وكي يصبح فاعلا لا متفرجا تلعب به أهواء الوعاظ...المشكلة الحقيقية كما أراها هي مشكلة تربوية...كم من أجيال وأجيال خرجنا كان الإمام أو المعلم يأم فيها، فإذا بها تقف مكتوفة الأيدي تعيد وتصرخ ما يقال لها وكأنها صدى لغيرها ليس إلا... جماد لا أكثر ولا أقل... وكل منا ما زال متاثراً بهذه التربية التي شربنا من حليبها أطفالا وشبابا... هذا هو دور الكنائس الوطني في فلسطين والعالم العربي والإسلامي... هذا الدور ينبع من إيماننا ولا خلاص لهذا العالم إلا به وبنا ...
هذا العالم العربي ما زال يتخبط في غياهب الجاهلية، وإن كان قد أقلع عن وأد بناته، فها هو يئد كل يوم، أبناءه ودماءهم تصرخ...
بأي ذنب نقتل؟

٤. قلت يسوع سياسي ولكن من نوع آخر...فبعكس الكثير من السياسيين فهو... يفكر... يخطط... يحسب قبل أن يقدم على أية خطوة... «ومن منكم وهو يريد أن يبني برجاً لا يجلس أولاً ويحسب النفقة، هل عنده ما يلوم لكماله؟... وأي ملكٍ إن ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب،لا يجلس أولاً و يتشاور: هل يستطيع أن يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي عليه بعشرين ألفاً؟»
الجماهير لا تريد، أيها الأحباء، أن تجلس، أن تفكر، أن تخطط...
الملك الذي يملك فقط عشرة آلاف فرد عليه أن يحسب حساباته
قبل أن يلاقي الجيش الآخر الذي يتفوق عليه في العدة والعتاد...
وإن أرسل رسولاً يدعو للصلح تظنه الجماهير قد استسلم،
وتنسى أن الصلح هو سيد الأحكام...

ولو كان العدو الذي نقاتله يفوقنا بالأعداد فقط لقلنا أن معنويات الشعب ما زالت عالية ومرتفعة وتعني الكثير... ولكن الملك الآخر لا يتفوق علينا بالأعداد فحسب بل بالعدة والعتاد أيضاً، وقد دخلنا عالما لم تعد معنويات الشعوب تصرف في أي مصرف كان، لأن معدات العدو يتحكم بها عن بعد فلا ساحة ولا معركة ولا قراقع سيوف ولا خيول...ولا يستطيع الملك الأول أن يطلب من الملك

الثاني أن يقاتل فقط بنصف عتاده، بل على الملك الحكيم أن يحسب حساباته وحسابات عدوه جيدا...

وأقول أننا كشعب عربي وفلسطيني، لم نتعلم من أخطائنا في الماضي ...في حرب الأيام الستة ... وأصبحت الأغنية الوحيدة التي نرددها «الأمة العربية من المحيط إلى الخليج»، ودوت أصوات الجماهير في سماء الشرق الأوسط تردد كذلك... «الأرض بتتكلم عربي...الأرض الأرض»..
ودخلت الجيوش العربية بقيادة قائد أثار حماسها إلى معركة لم تحسب حساباتها، فاحتُلت الضفة الغربية، والجولان وسيناء، وصارت الأرض التي تتكلم العربية، تتكلم العبرية، والروسية وينقصني الوقت للتحدث عن حرب الخليج الثانية وعن أم المعارك، وعن طاقات المنطقة التي أهدرت...

جماهيرنا ما زالت جاهلة أيها الأحباء،
وغالبية أئمتها ومثقفيها جاهلة أيضا لم تتعلم الحساب في السياسة
لذلك ومنذ مئات الأعوام ما زلنا نتغنى بانتصاراتنا ونحن نسير
من نكسة إلى نكبة...

المنكوب، والضعيف يستطيع أن يخطب بعطف المجتمع الدولي والعربي،
ولكن المطلوب هو أن يصبح هذا المنكوب الذي لا حول له ولا قوة
إلى فاعل، مقاتل يخطط ويحسب قبل أن يتحرك.
ما أحوجنا أيها الأحباء إلى أن نتتلمذ جميعا في مدرسة
يسوع السياسي المحنك والمخلص.
ربما نحن طلاب نحضر محاضرات ليسوع المعلم،
نجلس في مقاعد الكنيسة الأحد تلو الآخر،
ولكننا ما زلنا بعيدين عن أن نصبح تلاميذه،
يفهمون فلسفته وسفراء ينادون بهذه الفلسفة الفريدة.
ليتنا نحمل الصليب ونسير وراءه فنكون حقاً تلاميذه.

# منشور

كان ذلك في مثل هذا اليوم من عام ألف وخمسمائة وسبعة عشر...
المكان مدينة Wittenberg في مقاطعة سكسونيا الواقعة الآن
ضمن حدود المانيا الشرقية... كانت الشمس في ذلك النهار قد عادت
لتجمع أشعتها المبعثرة وراح الظلام الدامس يخيم على شوارع المدينة
وأزقتها... غط الجميع في نوم عميق فخلت الطرقات من المارة
وخيمت على البلدة سحابة من الصمت والسكون.

وفجأة سمع صرير باب ضخم يفتح، تسلل منه راهب بدين
راح يقطع الطرقات المقفرة راكضاً باتجاه مركز المدينة...
اقترب الراهب من ساحة المدينة ومر من أمام تلك البئر الجاثمة
هناك ليقف أخيرا أمام كتدرائية المدينة العظيمة. جثا الراهب
عند درجات الكتدرائية وبعد أن رسم علامة الصليب على صدره
صعد تلك الدرجات الأربع ليقف أمام بوابة الكتدرائية.
وهناك وبينما أنفاسه تتراكض ودقات قلبه تتسارع مد الراهب
يده في جيب سترته ليخرج منها منشوراً كبيراً كتب باللغة
اللاتينية ...أمسك الراهب بذلك المنشور بيده اليسرى بينما
امتدت يده اليمنى لتثبت ذلك المنشور على باب الكتدرائية.

بقي الراهب منتصباً في مكانه لبضع ثوان وكأنه أراد التأكد من أن
المنشور قد ثبت في مكانه ولن يتزعزع. وبعد أن ألقى عليه
نظرة أخيرة نزل درجات الكتدرائية واختفى في ظلام الليل ليعود
من حيث أتى...

لم يطل ظلام تلك الليلة إذ سرعان ما بزغت شمس الحادي
من نوفمبر مبشرة بحلول عيد جميع القديسين.
وتوافدت جموع الحجاج المسيحيين من كل حدب وصوب إلى مدينة

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإيجيلية اللوثرية في عيد الإصلاح بتاريخ ١٩٨٨/١٠/٣١.

Wittenberg لتشترك في صلاة العيد في كتدرائية المدينة...
وما أن وصلت طلائع الحجاج إلى باب الكتدرائية حتى فوجئوا بذلك
المنشور المعلق هناك...

قرأ الحجاج المنشور بل قل لقد التهموه التهاماً فسرى في
نفوسهم سريان النار في كومة قش... وتناقلت الألسن خبره
فذاع وشاع وانتشر... وبين ليلة وضحاها وبلا تلفاز
ولا مذياع ولا جرائد سرى ذلك المنشور الغريب، منشور
الراهب مارتن لوثر...

أجل، أيها الأحباء، لقد بدأ الإصلاح بمنشور واحد علقه الراهب
الكاثوليكي مارتن لوثر على أبواب كنيسة Wittenberg...
منشور واحد غير تاريخ الكنيسة وتاريخ أوروبا بل وكل تاريخ العالم...
منشور واحد أخاف حكام روما أكثر من مئة جيش ومئة كتيبة...
منشور واحد ارتعب منه باباوات روما أكثر مما قد يرعبهم ألف حصان بألف فارس.

لكن لماذا كل هذا الخوف والرعب من ذلك المنشور؟
خافت روما منشور ذلك الراهب لأنه دعا فيه إلى انتفاضة شعبية
عارمة...أجل نادى لوثر بضرورة حدوث انتفاضة في حياة الأمة وانتفاضة
في حياة الكنيسة وانتفاضة في حياة الفرد.

فالأمة كل أمة بحاجة مستمرة لأن تنفض عن ظهرها معالم الظلم
والجهل والطغيان... الأمة كل أمة بحاجة ماسة لأن تنفض عن
نفسها روح التعصب والضغينة والأحقاد...

والكنيسة كالأمة بحاجة دوماً إلى انتفاضة وإصلاح...
ما أشقى الكنيسة التي تظن أنها قد وصلت وصارت تناطح السحاب،
ما أشقى كنيسة تعيش في وادي الأحلام فتظن أنها لم تعد بحاجة
إلى إصلاح...

فالكنيسة ستظل بحاجة إلى إصلاح بعد إصلاح، ما دامت على هذه الأرض
كنيسة القرون الوسطى كانت بحاجة إلى إصلاح وكنيستنا اليوم بحاجة إلى
إصلاح كهنتنا وأنا منهم بحاجة إلى إصلاح...

شعبنا وأنتم جزء منه بحاجة إلى إصلاح، مؤسساتنا ومدارسنا وشبيبتنا كلها بحاجة إلى إصلاح...
كنيستنا بحاجة إلى انتفاضة لتنفض عنّا خطايا عديدة، فنتخلص من رواسب الصراعات الذاتية المختلفة والأحقاد الحزبية المختلفة والضغائن الطائفية المختلفة. ليس عيبا أن ننتمي إلى كنيسة بحاجة إلى إصلاح، لكن العيب كل العيب أن نبقى كما نحن وحيث نحن رافضين إجراء تعديلات وإصلاحات.

وأخيرا نادى لوثر بضرورة حدوث انتفاضة مستمرة في حياة كل فرد، لذلك كتب في الحجة الأولى من منشوره بأن الله يريد أن تكون حياة المؤمن حياة توبة مستمرة. فالتوبة هي انتفاضة، فيها ينفض المؤمن عن قلبه شوائب الخطية.

أيها الأحباء، من منّا يتجرأ أن يدعي أنه لم يعد بحاجة إلى انتفاضة روحية؟ من منّا يتجرأ أن يدعي بأنه ليس بحاجة إلى توبة قلبية حقيقية؟

بشارة الإصلاح هي دعوة لكم يا من تعبتم من ثقل خطاياكم،
بشارة الإصلاح هي دعوة لكم يا من يئستم من أفكاركم وحياتكم،
بشرى الإنجيل تقول لكم بأنه ما زال هناك وقت للتوبة،
ما زال اليوم متسع من الوقت لتتخلصوا من ذنوبكم وتنفضوا عنكم أعباءكم.
بشرى الإنجيل تؤكد لنا اليوم بأن الله سيقبل توبتنا إن كانت صادقة،
أجل سيقبل الله توبتنا رغم ضعفنا وآثامنا وذلك إكراما لفادينا
يسوع المسيح، الذي يشفع لنا عند الآب.

في هذا اليوم دعونا نردد مع المرنم قائلين:

| | |
|---|---|
| أتوب فتوّبني | أعود فرجّعني |
| إليك لا سواك | استرني بدماك |
| أتوب أعود أتوب | إليك لا سواك |
| أنت يا من فديت | نفسي بالصليب |
| وعن خطيتي | ذقت الموت الرهيب |
| كيف أنا أحزنت | روحك حبيبي |
| أمامك أعود | ولأجدد العهود |

**آمين**

# هيروشيما والجلاء عن غزة

**أشعياء ٢٩: ١٧-٢٤**

كان ذلك صباح السادس من آب عام ١٩٤٥
في الساعة الثامنة والربع صباحاً، وعلى ارتفاع خمسمائة وثمانين متراً عن سطح الأرض، انفجرت أول قنبلة ذرية من صنع الإنسان فوق قلب مدينة هيروشيما. سحابة سوداء على شكل نبتة الفطر راحت تغطي سماء المدينة وفي ثوانٍ اختبرت البشرية قوة وبطش هذه القنبلة الجديدة والتي تم صنعها في الولايات المتحدة من قبل قلة من العلماء كان منهم ألبرت اينشتاين وعلماء يهود ألمان وآخرين بالإضافة إلى آلاف من العلماء الأمريكيين. كانت القنبلة قد طورت بالأساس للقضاء على الحكم النازي في ألمانيا. ولكن في منتصف عام ١٩٤٥ كانت ألمانيا قد ضعفت كثيرا، فلم يعد داع أن تسقط القنبلة في القارة الأوروبية، فتقرر أن تسقط على مدينة هيروشيما لأن في هذه المدينة كان مقر القوات اليابانية الغازية والتي كانت تحتل كوريا والجزء الجنوبي من الصين. وإن سقوط القنبلة على اليابان، إنما كانت رسالة موجهة إلى روسيا والتي أخافت الولايات المتحدة من أن تبسط سيطرتها على شرق آسيا فأرادوا ردعها.

مع إلقاء القنبلة الذرية انتهت الحرب العالمية الثانية حاصدة أكثر من خمس وسبعين مليون نسمة، لتبدأ معها الحرب الباردة والتي استمرت حتى سقوط جدار برلين عام ١٩٨٩م, ما حدث في هيروشيما يندى له الجبين، صنعت القنبلة جحيما في الأرض إذ بلغت درجة حرارة المنطقة التي سقطت بها حوالي ٥٠٠٠ درجة مئوية ما يزيد عن المئة ألف نسمة أي مثل عدد سكان مدينة بيت لحم تبخروا في خلال ثوان.

في متحف ذكرى السلام في قلب مدينة هيروشيما يرى الزائر عتبة حجرية لأحد البنوك، في ذلك اليوم المشئوم جلس أحد اليابانيين على عتبة البنك ينتظر بفارغ الصبر أن يفتح البنك أبوابه، وعندما ألقيت القنبلة لم يتبق من ذلك الإنسان ومن الكثيرين من أمثاله سوى بقعة داكنة على تلك العتبة، الإنسان

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية في آب ٢٠٠٥.

تبخر لم يبق عظم من عظامه أو سن من أسنانه أو شيء يذكر به أو بحياته. الأنهار السبعة التي تخترق المدينة تلوثت مياهها بالإشعاعات النووية وعندما رمى اليابانيون بأنفسهم في مياه النهر هربا من حرارة الجحيم ماتوا من شدة حرارة المياه ومن تلوثها فطافت جثثهم على سطح المياه

جميع البيوت وعلى مساحة كيلومترين تهدمت بالكامل إلا الربع من البيوت صمدت جدرانها أمام هذا الانفجار الضخم. بقية السكان الذين كانوا في أطراف المدينة أصيبوا بعاهات جسدية ونفسية لا يستهان بها وقضى الكثيرون منهم بسرطان الدم الذي سببه الإشعاعات النووية. حصيدة القنبلة الذرية: تحول البستان الياباني وعرا، وكسرت شوكة الإمبراطورية اليابانية التي راحت تروع جيرانها من كوريين وصينيين، مستعبدة إياهم ومسخرة نساءهم.

من رأى هيروشيما أنقاضاً في أنقاض لما ظنَّ يوماً ان هذه المدينة ستقوم من كبوتها وتنهض من ركامها. من رأى الإشعاعات النووية تلوث الأرض والمياه لما ظن يوماً أن شجراً سينمو بعد ذلك اليوم. ولكن بعد بضع سنوات قامت هيروشيما من بين الركام وتحول مكان الجحيم إلى بستان تجري فيه الأنهار ومكان الأنقاض شيدت ناطحات السحاب. وبدل مقر قوات الاحتلال أنشأت مدن تنادي بالسلام. لقد ذاقت أهوال الحرب واختبرت معنى الدمار فكرست المدينة حياتها للسلام وللقضاء على أسلحة الدمار الشامل وللتخلص من القنابل الذرية والتي يزيد عددها اليوم عن ستة آلاف. هذه الآلاف الستة من القنابل الذرية تكفي للقضاء على الكرة الأرضية لعدة مرات.

إنه لمن الأمر المخيف أن تكون إسرائيل خامس أكبر قوة نووية في العالم وأن تكون القنابل الذرية لا تبعد عن المدينة أكثر من كيلومتر هوائي وذلك لأن موقعها في ديمونة في صحراء النقب.

من رأى هيروشيما يدرك أن لا يأس مع الحياة وأنه مهما قوي طغيان الإنسان واستبداده فإن الميل إلى الحياة أقوى. وحتى لبنان المعاصر والذي دكت قلاعه الحرب الأهلية ها هو ينهض منتصب القامة ومرفوع الرأس. وغواتيمالا التي نستضيف منها اليوم باقة من الشباب، هي أيضا عانت من حرب أهلية لمدة زادت على الثلاثين عاماً دمرت فيها البلاد. ولكنها رويدا رويدا استفاقت من كبوتها وراحت تبني بلادها حجراً ب على حجر وها هم أبناؤها اليوم يتعلمون مهارات صنع السلام.

التحدي الأكبر أمامنا كفلسطينيين اليوم هو غزة. غزة هي التحدي الأكبر فأكثر من ثلثي سكانها من اللاجئين وهي من أكثر الأماكن اكتظاظاً في العالم. هي مدن دمرها الاحتلال فهل ستنهض من ركامها؟ وهل سيستطيع الفلسطينيون أن يبرهنوا لأنفسهم أولا وللعالم ثانياً أنهم على قدر المسئولية وأن بإمكانهم أن يحولوا الوعر إلى بستان. إذا نجحنا في غزة نجحنا في كل مكان! وإن فشلنا هناك سينتهي بنا المطاف إلى مزبلة التاريخ.

كلمات الكتاب المقدس تحثنا على الأمل. مدينة هيروشيما بآلامها تبث فينا آمالا. لبنان وغواتيمالا هما لنا مثال على أن الحرب مهما طالت فمصيرها إلى الزوال. ولكن ما هو دور الإنسان من كل هذا؟

دورنا أولا أن يكون هناك استقلال في القضاء وعدالة في الحكم ومسألة وشفافية في كل المجالات. دورنا ثانياً أن نعمم ثقافة السلم والبنيان لنستبدل بها ثقافة العنف والهدم وسباق التسلح والطغيان.

دورنا ثانيا أن نربي أبناءنا على مخافة الله ومحبته. فالله هو مصدر الأمل وهو منبع السلام وهو الذي يعطينا تلك القدرة لنحول بالإيمان والعمل الوعر بستانا والدمار بنيانا والأرض المحروقة إلى جنات تجري من تحتها الأنهار.

إنما الناس سطور
كتبت
في قلب الله

# الحياة لا تقاس بطولها

**مزمور ٩٠: ١٢**

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم؟
وما لرنينها يتقاطر حزنا وألما؟
ولمَ اجتمع رجالات ونساء محافظتنا اليوم هنا؟
وما بالهم ممتلئين صمتا ورعبا؟
ألعلهم سمعوا بموت فقيدتنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزتنا
فأتوا لأحياء ذكراها الغالية العطرة؟

إن خطبنا بوفاة أختنا أم رامي لفادح وعظيم...
وإن مصابنا بفقدها لجلل كبير...
فلقد امتدت يد المنون إليها وغدرت بها، فخطفت منا أماً رؤوماً
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا، فسرقت منا أختا حنوناً
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من وسطنا عضواً فاعلا في المجتمع
وعلما لوثريا مخلصا وأصيلاً.

أجل أيها الأحباء،
في هذا الأسبوع المنصرم رأينا الموت على بشاعته،
اختبرناه على حقيقته... رأيناه يغافلنا، يخطف منا
فقيدتنا... رأيناه يحصد سنبلة وهي بعد في قمة عطائها...

ونستيقظ اليوم وقد مرت أيام خمسة ولا نكاد نصدق أعيننا
أحقا قد رحلت عنا نورما؟ أحقا قد تركتنا؟
أحقا غابت عن أبصارنا وكأنها حلم ليس إلا!

في الأيام الأخيرة سمعت الكثيرين يقولون: «الحياة فش عليها أسف»
لذلك شبهها الكتاب المقدس بالعشب الأخضر الذي يكسو

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحومة نورما عودة بتاريخ ٢٠٠١١٠١١٦.

جبال البرية القاحلة شرقي بيت ساحور، ذلك البساط الأخضر
الجميل، ذلك المنظر الرائع الذي ما أن يظهر في شباط حتى يجف في أذار....
إن حياتنا حقا "كلمح البصر"، سريعة وفانية
ولكنها لهذا السبب بعينه لمهمة وغالية....
إنها حقا قصيرة ولكنها لذلك قيمة وثمينة....

حقا لقد توفيت الفقيدة وهي بعد في قمة عطائها....
ولكن حياة الإنسان لا تقاس أبدا بطول سنينها....
إنما تقاس بعمق دقائقها....

الإيمان المسيحي أيها الأحباء، إنما يسلط ضوءًا جديدًا
على حياتنا...
فلقد عاش يسوع مخلصنا ثلاثا وثلاثين سنة ليس إلا...
قضى وهو بعد في ريعان شبابه... ولكن السنين هذه على قلتها
كانت كافية لتغمر المسكونة برمتها بالنعمة والرحمة والضياء....

هناك أناس يعيشون طويلا ويعمرون دهرًا،
ولكنهم يحولون الحياة إلى جحيم لا يطاق....
وهناك أناس يحيون لفترة قصيرة، ولكنهم
يحولون الأرض إلى سماء... والجحيم إلى نعيم...
ويفجرون في الأرض القاحلة ينابيع مياه عذبة....
ويزرعون بالإيمان فردوساً وبساتين....

وإننا إذ نحيي في هذا اليوم ذكرى فقيدتنا الراحلة أم رامي...
ونواجه حقيقة الموت،
لا نفعل ذلك لشيء إلا لنفهم لغز الحياة....
فالحياة لا يسبر غورها أحد إلا من زاوية الموت....
تماما كالرواية، لا تفهم إلا من خاتمتها ومن نهايتها....

لذلك صرخ صاحب المزمور قائلا (مزمور ٩٠: ١٢)
علمنا أن نحصي أيامنا، فنؤتى قلبا حكيما....
أو كما قال بولس الرسول...
أن نفتدي الوقت على قصره، لأن الأيام شريرة...

لذلك لا يسعنا في هذا الصباح إلا أن نشكر الله على
حياة الفقيدة الراحلة.... على عطائها... على إيمانها....
وعلى شهادتها، التي وإن ماتت فما زالت حية وبليغة....
لقد افتداها مخلصنا بآلامه، فافتدت بدورها الوقت...
أعطت كما أعطيت، كيلا فائضا ملبداً ومهزوزا.....
أعطت ولم تبخل، شاكرة بذلك الله على عطيته التي لا يعبر عنها....
وإذ نحيي هذه الصلاة التذكارية... إنما نفعل ذلك لا لكي نتذكر
نحن من فقدنا فحسب، بل إنما نفعل ذلك كي نتغير نحن
الأحياء الباقين.....

فالصلاة التذكارية تريد أن تصقلنا نحن المؤمنين....
تريد أن تغيرنا فنكتشف الحياة من خلالها على حقيقتها.....
ونجد الرحيق وسط أشواكها....
ولنبصر نور القيامة يشع علينا عبر آلامها...

الصلاة التذكارية تريد أن تجعل منا رسل بعث وقيامة
في عالم أصبح فيه الموت يحيط بنا من كل حدب وصوب...

الصلاة هذه تجعل منا رسل رجاء في عالم راح يتخبط
في يأس وقنوط....
والذكرى هذه إنما ترينا نور القيامة، نحن الذين
نمر في نفق مظلم لا نرى نهايته.....

إن إيماننا الراسخ هو أن اختنا أم رامي،
قد انتقلت من الموت إلى الحياة....
ومن النفق المظلم إلى الضياء.....
ومن الإيمان إلى العيان.....
لقد غابت عنا ولكنها ستبقى حية في قلب الله....
وستبقى ذكراها حية في قلوبنا .

آمين.

# أمرأة فاضلة من يجدها
# لأن ثمنها يفوق اللآلئ

أختنا الآنسة نهيل (والآنسة نبيهة).
أيها الأحباء في الرب.

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم؟ وما لرنينها يتقاطر حزنا والما؟
ولما اجتمع الحاضرون في هذا المكان؟ وما بهم ممتلئين صمتا ووجعا؟
ألعلهم سمعوا بموت فقيدتنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزتنا. فأتوا لوداعها الوداع الأخير؟

إن خطبنا بوفاة أختنا لفادح وعظيم
وإن مصابنا بفقدانها لعميق وكبير...
فلقد امتدت يد المنون وغدرت بها فخطفت منا مربية فاضلة...
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا وسرقت منا مؤمنة ورعة...
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من كنيستنا ابنة مخلصة.

أجل تركتنا «نعمة» في زمن أضحت فيه التربية سلعة رخيصة.
غادرتنا في وقت أمسى فيه الإيمان نادرًا وثمينا.
ودعتنا في عصر أمسى الصلاح فيه يتيما ووحيدا.
تركتنا في زمن صعب ووقت عصيب فافتقدناها
إذ في الليلة الظلماء يفتقد البدر.

ولدت فقيدتنا في مدينة بيت لحم في سنة ١٩٠٧.
وشبت في بيت جبران اللوثري الأصيل. حيث رضعت الإيمان زاداً.
وتسلحت بالعلم نوراً وتزينت بالأخلاق تاجًا مرصعاً.
ولكن ما أن فتحت أختنا الراحلة أعينها على الدنيا إلا وأدركت

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحومة نعمة جبران جبرائيل بتاريخ ٢١٢ ١٩٩١/١.

بؤس عالمنا وشقائه... فلقد رأت الاحتلال التركي وقد
دمر وطننا وسلبه خيراته، وأبصرت الأمراض والمجاعات
التي راحت تعصف بشعبنا وتقتل أبناءه، بل ورأت بأم عينيها
ويلات الحرب العالمية الأولى فأحست بوحشية الإنسان وقساوته.

هذه مجتمعة جعلتها تفكر في كيفية النهوض بالإنسان من انحطاطه
وفي السبيل الصحيح لتطوير العالم وبنائه.
واختارت الفقيدة العلم سلاحا، فدرست أول ما درست في مدرسة طاليثا قومي
ومن ثم في مدرسة المسز تومسون الأمريكية، ولم تكتف بهذا القدر
من العلم بل سرعان ما التحقت بدار المعلمات حيث حصلت منها
على شهادة التعليم العالي لتصير بذلك من طلائع المعلمات الفلسطينيات
كانت الفقيدة عالمة جليلة، أتقنت اللغة الإنكليزية كما أتقنت
لغتها العربية، بل أذكر أنها قالت لي في إحدى المرات:
أنها كثيراً ما تستمتع بالعظات البليغة وأن ما من شيء يعكر صفوها
سوى الأخطاء القواعدية والنحوية.
واختارت الفقيدة التربية منهجاً...

فلقد أدركت فقيدتنا أن التربية السليمة سواء في البيت أم في المدرسة
هي الأساس المتين الوحيد لبناء عالم جديد وجميل.
وآمنت الراحلة بأن للمرأة دورا رياديا في تربية الأبناء والأجيال
لذلك اهتمت أختنا نعمة بتأهيل المعلمات والأمهات كي يأخذن
دورهن في تربية النشئ وتثقيفه. وكان هذا هو هدفها الصريح المعلن
أثناء عملها في كلية المعلمات كما في جمعية الشابات المسيحية.

واختارت الفقيدة الإيمان رفيقا. وكأنها أدركت أن العلم والتربية
وحدهما ناقصان إن لم يصاحبهما الإيمان.
إذ قد يسئ المرء استخدام العلم لإغراض قد تهدم بدل أن تبني،
وتقتل بدل أن تحيي، لذا وجب على الإنسان أن يرفع بيساره
منار العلم وبيمينه مشعل الإيمان.
كان إيمان فقيدتنا قويا راسخا. فرغم كثرة التجارب والأحزان
والأوجاع لم تفقد أختنا يوما إيمانها بربها وتمسكها به،
بل ظلت مخلصة له في السراء كما في الضراء.
كان إيمانها صلبا مؤسساً على يسوع المسيح صخر الدهور

فلم تستطع أمواج الشك أو القلق من زعزعته،
بل تحطمت هذه الأمواج عند الصليب وتكسرت أمام الجلجثة.

لم يكن الإيمان لفقيدتنا نظرية أو معادلة حسابية، بل كان حياة يومية،
حياة في خدمة الله والإنسان، كان إيماناً جاداً، عاملاً، فعالاً ومثمراً.

اختارت الفقيدة يسوع الناصري رفيقاً في الحياة ومعيناً في الممات،
فلم تألُ يوماً جهداً عن مفاجأته في الصلاة، والتزود
بكلمته ليلاً ونهاراً وخدمة كنيسته صبحاً ومساءً.
وكان لسان حالها يردد دوماً كلمات ترنيمتها المفضلة يقول:

| | |
|---|---|
| يا ترى أي صديق | مثل فادينا الحبيب |
| يحمل الآثام عنا | وكذا الهم المذيب |
| يا لإنعام تسامى | من لدن رب النجاة |
| إننا نلقي عليه | كل حمل بالصلاة |

إمرأة كهذه فاضلة من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ...
هذه الأخت الراحلة وجدها يسوع الناصري،
فضمها إلى رعيته وجندها في صفوفه وها هو اليوم يخطفها إلى ربوعه.
فلا تخافي أيتها الأخت الراحلة...
لا ترهبي ... إذ لن تدخلي عالما مجهولا لديك، بل ستعودين
إلى موطنك السماوي، سترجعين إلى وطنك الأصلي،
ستدخلين بيت أبيك وستسكنين مع المسيح مخلصك،
هناك ستكونين إلى الأبد في قلب الله،
ولكنك ستظلين إلى الأبد في قلوبنا.

ومن على هذا المنبر أتقدم إلى أختنا الآنسة نهيل وإلى جميع أقارب الفقيدة
ومعارفها بأحر التعازي سائلاً الله العلي القدير أن يعزيكم بعزاء القيامة
ويلهمكم الصبر والسلوان.

# إن الحياة جهاد

**أيوب ١٤: ١-٦**

أختنا السيدة جانيت،
حضرات السيدات والسادة وأنسباء الفقيدة،
أيتها الطائفة الحبيبة،

الإنسان مولود المرأة قليل الأيام كثير الشقاء...
بهذه الكلمات لخص أيوب النبي حياته وماته.

الإنسان...ذلك المخلوق الذي ناطح السحاب وغزا الفضاء وفجر الذرة...
الإنسان..ذلك المخلوق الذي ركب البحار وغاص في الأعماق...
ذاك الذي سيطر على الأرض وعلى كل المخلوقات.

هذا الإنسان بعينه هو مولود المرأة قليل الأيام كثير الشقاء...
ليست هذه كلمات طفل ما زال يرى العالم بعيني البراءة والطفولة...
ولا هي كلمات شاب ما زال يعيش نشوة الرجولة والقوة...
بل هي كلمات شيخ خاض غمار الحياة وغاص في أعماقها فاكتشف جوهرها..
اكتشف بأن الإنسان حقا لقليل الأيام وكثير التعب والشقاء...
فأيام الإنسان هي سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة
وأفخر هذه السنين تعب وبلية.

هذه هي حياة الإنسان... تبدأ في المهد ببكاء وصراخ
وتنتهي على فراش المرض بوجع وحشرجة وصياح...
وما بين هذا وذاك، ما بين الطفولة والشيخوخة...
بين الولادة والموت، فإن حياة الإنسان لصراع في صراع...

أجل أيها الأحباء،
إن الحياة جهاد والسير فيها عسير،

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحومة أم زوزو أندوني.

إنها أشبه ما تكون بدرب مليء بالأشواك والعقبات
وجب على المرء اجتيازه والتغلب عليه إن أراد الوصول إلى مراده.
هذا هو جوهر الحياة، يكتشفه البعض فتغتم نفوسهم
وتهن عزائمهم وتخور قواهم... ويراه الآخرون فما
يزيدهم ذلك إلا تصبراً وعزيمة وإصراراً.

لقد كانت فقيدتنا **أم زوزو** من هذا النوع من الناس الذين
اختبروا قسوة الحياة فلم تزدد إلا إصرارا على الجهاد
والنصر والغلبة.

ولدت فقيدتنا في الرابع عشر من كانون الثاني من عام ألف
وتسعمائة وثلاثين في مدينة اللد.
عاشت طفولتها إبان الحرب العالمية الثانية وما أن وضعت
هذه الحرب أوزارها إلا واقترنت فقيدتنا بزوجها السيد أندوني
الحصري، وكأنها أرادت بذلك أن تثبت للملأ بأن الحياة لأ قوى
من الموت وبأن المحبة لأطول عمراً من الحروب.

ولكن ما هي إلا سنين قليلة نشبت بعدها الحرب العربية الإسرائيلية
وحدثت النكبة فشرد الأهل وأصرت عائلة السيد أندوني الحصري
على ترك مسقط رأسها فلجأت إلى بيت لحم ليبدأ مشورهما من جديد
مؤمنين بأن الحياة جهاد وصراع وكد، وأن على المرء ألا ييأس
بل أن يبقى متمسكا بالجد وبالأمل.

وانضمت عائلة السيد أندوني إلى الطائفة اللوثرية في بيت لحم، وانخرط
جميع أفرادها وخاصة فقيدتنا أم زوزو في عمل الكنيسة هنا. فراحت
تعقد اجتماعات السيدات وتقدم من وقتها وجهدها وفنها
لتنمي العمل في الكنيسة... وانتخبت عمدة في هذه الكنيسة
فراحت ترعى شؤونها وتدبر حالها مظهرة للجميع
أن حياة المؤمن كثيراً ما تكون صعبة ولكن بالإيمان وبالعمل
الجاد المخلص يستطيع الإنسان أن يتغلب على المصاعب.

قال لي أحدهم: لقد علمتنا الفقيدة أم زوزو أن بإمكان المؤمن أن
يقتدي بربه يسوع في حياته ويعمل شيئا من اللاشيء شيئا ذا قيمة.

وفي عام ١٩٧٧، خسرت هذه الطائفة عائلة الحصري
بعد أن هاجر أفرادها إلى سان فرانسسكو ليبدأوا هناك
مشواراً جديدا. هناك وفي الغربة ألم مرض صعب
بفقيدتنا أم زوزو وكان الأمل بنجاتها ضئيلاً،
وأشار الأطباء لها أنها لن تعمر لأكثر من
بضعة شهور...
ولكنّ فقيدتنا أبت أن تستسلم للموت، بل تمسكت بالحياة
فراحت تصارع المرض والمنون بإرادة حديدية وبإيمان
عميق فعاشت سنتين كاملتين لتسلم روحها في يدي مخلصها
في الحادي والعشرين من هذا الشهر.

لقد جاهدت فقيدتنا الجهاد الحسن، فواصلت السعي
وحفظت الإيمان وأخيرا أعطي لها أن تدخل إلى راحة
خالقها غالبة منتصرة. ..
وكأنها سارت مع مخلصها درب آلامه فأبصرت أخيراً نور
قيامته المجيدة.
أجل في أسبوع الآلام هذا وبينما تتأمل الكنيسة آلام
مخلصها يسوع المسيح وتستذكر صلبه وموته فإنما
تؤكد تؤمن أن المسيح قد داس الموت بالموت
وأنه قد وهب الحياة للذين في القبور.

فرجاؤنا في المسيح أن الفقيدة أم زوزو قد انتقلت من دار
الفناء إلى دار البقاء ومن عالم الموت إلى عالم الحياة.
لقد أمست فقيدتنا في قلب الله إلى الأبد،
ولذا ستبقى ذكراها في قلوبنا جميعا إلى الأبد.

آمين

# بيتلحمي أصيل

كريمات الفقيد، أقرباءه وأنسباءه،
أيها الأخوة والأخوات الأعزاء...

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم
وما لرنينها يقطر حزنا وألما؟
ولمن سار هذا الموكب المهيب
وما للمجتمعين وقد عمهم الألم قنوطاً وتوجعا؟

ألعلهم سمعوا بموت فقيدنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزنا؟
فأتوا لوداعه الوداع الأخير؟

إن خطبنا بفقدان أخينا ميشيل باسيل لفادح وعظيم...
وإن مصابنا به لجلل ومخيف..
لقد امتدت يد المنون وغدرت بنا فخطفت منا أبا جليلا..
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا ذخرا ثمينا...
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من وسطنا
علما لوثريا بيتلحميا أصيلا!

ولد الفقيد في مدينة بيت لحم عام ١٩٢١،
لأسرة عرفت بأنها من أوائل العائلات البيتلحمية
التي انضمت إلى الكنيسة اللوثرية.

فجده خليل باسيل كان قد انضم إلى الكنيسة اللوثرية
عام ١٨٦٤، وكان أول مدير لمدرسة الكنيسة
في الريف الشرقي (التعامرة) .

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحوم ميشيل باسيل بتاريخ ٢٩|٨|٢٠٠٢.

وقد كان جده هذا متمسكا بعقيدة هذه الكنيسة، ثابتا على
إيمانه، فاضطهد حينها بل وأدخل السجن زورا وبهتانا
عله يترك كنيسته ولكنه قاوم وثبت وصار بحق أحد
أعمدة هذه الكنيسة الصامدة. وقد منحه الإمبراطور الألماني
وليم الثاني إبان زيارته لمدينة بيت لحم عام ١٨٩٨
وسام الدولة من الدرجة الأولى.

أما أبوه توفيق باسيل رحمه الله فقد كان أول مصور في مدينة بيت لحم،
وبقي لسنين طويلة المصور الوحيد في محافظة بيت لحم.
ولد الفقيد ميشيل مع بدء الانتداب البريطاني على فلسطين،
وأدخله والداه أولا في المدرسة اللوثرية في بيت لحم
ومن ثم أرسلاه ليكمل تعليمه في مدرسة صهيون في القدس،
وكانت هذه من أشهر المدارس حينها.

وبعد تخرجه من هناك ارتأى المرحوم أن يرث مهنة
التصوير عن والده، وكان قد تعلمها بالممارسة فأتقنها..

ولكنه كان إنساناً نشيطاً، يحب الحركة ويعمل بلا كلل
أو ملل. فقرر أن يعمل عملاً آخرا إلى جانب
التصوير، فافتتح أول مصنع للشمع في بيت لحم،
وكان الشمع قبلها إما في الأديرة أو في القدس.

وحتى وفاته بقي المرحوم متمسكا بهذه المهنة، وكان يفاخر دوما
بأنه لا يصنع الشمع إلا من شمع النحل ذي الجودة
المميزة وكان المورد الوحيد والرئيس للكثير من الأديرة
والكنائس ليس في بيت لحم فحسب، بل في فلسطين قاطبة.

وبعيد انتهاء الحرب العالمية قرر المرحوم أن
الوقت قد حان ليجد شريكة حياته فاقترن بزوجته
الأولى هدى ورزق منها ببنات ثلاث.

ولكن شاءت الأقدار أن تخطف يد المنون زوجته هدى
منه، فتزوج عام ١٩٦٠ بزوجته الثانية المرحومة ملكة

حيث رزق منها بأطفال أربعة، ولكن شاءت الأقدار أن يفقد
زوجته الثانية بعد صراع طويل مع المرض ليمسي وحيدا مرة أخرى.

في الأسبوع الأخير زرت الفقيد مع أعضاء من عمدة هذه
الكنيسة وكان يعاني من كسر في الحوض،
كان كثير التألم جراء هذا الكسر، كثير التأوه،
وكان حزينا جدا لأن عائلة باسيل ستنقرض
من هذه المدينة بموته ، ولكنه وبالرغم من أحزانه كان حبه للحياة
باديا وجليا...أحب الجمال وأحب الحياة وأحب الناس.

ولكن في الأيام الثلاثة الأخيرة تدهورت صحته،
فرأينا الموت على بشاعته، اختبرناه على حقيقته..
رأيناه يغافلنا ويخطف منا فقيدنا دونما موعد ولا استئذان.

ونفيق اليوم ولا نكاد نصدق أعيننا...
أحقا قد رحل عنا ميشيل ؟
أحقا قد تركنا هذا الفاضل؟
أحقا قد غاب عن أبصارنا وكأنه حلم ليس إلا؟

واليوم، ونحن نجابه الموت وجها لوجه
لا يسعنا إلا أن نشكر الله على حياة فقيدنا الراحل...
على عطائه ...على شهادته التي وإن مات فما
زالت حية وبليغة...

أجل لقد كان المرحوم صانع الشمع،هو شمعة بنفسه...
شمعة احترقت، لا لتندثر بل لتضيء دروب من حولها،
واليوم لن تنطفئ هذه الشمعة لتزول إنما لتضيء من جديد
في عالم النور والبهاء والضياء...

والآن، أيها الأخ العزيز ميشيل...
قد جاء الوقت لكي نودعك...
لن نستطيع السير معك بعد الآن
فتقدم ولا تخف...

فلن تدخل عالماً مجهولاً... بل ستعود
إلى وطنك السماوي كما ترجع طيور اللقلق إلى
موطنها في الميعاد.

ترجل ولا ترهب...
إذ ستنتقل اليوم من عالم الإيمان إلى عالم العيان...
لقد كنت أنت المصور تنظر قبل الآن في صورة تحاول فك اللغز
أما الآن فوجها لوجه ستراه.

ستغيب اليوم عن ناظرينا
لكن لا لتختفي بل لتقيم في قلب الله...
أما ذاكراك فستبقى حية وعطرة في قلوب كريماتك ومحبيك.

فللفقيد الرحمة ولكم من بعده طول البقاء.
وعزاؤنا هو عزاء المسيح. عزاء القيامة للحياة الأبدية.

آمين

# تبسم للحياة

**عقيلة الفقيد أم بندي،**
**الأعزاء أبناء الفقيد، سامية، بندي، باسم وماهر**
**أقرباء الفقيد وأنسباءه،**
**أيها الأحباء في الرب:**

**لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم، وما لرنينها يقطر حزناً وألما؟**
**ولما اجتمع الحاضرون من بقاع الأرض وما بهم ممتلئين صمتاً ووجعاً؟**
**ألعلهم سمعوا بموت فقيدنا؟**
**ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزنا، فأتوا لوداعه الوداع الأخير؟**

**إن خطبنا بفقدان أبي بندي لجلل عظيم...**
**فلقد امتدت يد المنون وغدرت به فخطفت منا زوجاً جليلاً...**
**غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا مربياً حكيماً...**
**هبت علينا رياح الموت...**
**هبت علينا رياح الموت واقتلعت من ديارنا علماً لوثرياً أصيلاً...**

**أتينا اليوم لنودع أستاذاً فاضلاً...**
**لم نأت لنتحسر على أيام خلت أو ذكريات عصفت...**
**ولم نأتِ لننتحب كما ناحت النسوة في القديم أمام القبر الفارغ...**
**إنما قدمنا إلى هنا لنرجع الوديعة الى خالقها...**
**وقلوبنا ثلج شكراً وايماناً ورجاء...**

**أجل لم نأتِ لنتحسر بل لنشكر...**
**فسنّ الإنسان سبعون سنة وإن عمّر فثمانون...**
**فلنشكر الباري على ستة وثمانين عاماً من العطاء...**

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم الأستاذ ميخائيل زبانة بتاريخ ٢١ | ٣ |٢٠٠٨.

أجل لم نأت لنتحسر بل لنشكر ...
لنشكر الخالق على نصف قرن ونيف في قرانٍ مبارك...
من شراكة حقيقية ... ومن زواج مسيحي...

لقد كان المرحوم رجلاً ولا كل الرجال:-
آمن بالمساواة التامة في العلاقة الزوجية ...
وقلما رأيته وحيداً... بل في كل شيء كانت أم بندي سميرته
وشريكته وقرينته في التسوق كما في الزيارات...
في الحِلّ كما في الترحال...

عرفناه رفيقاً.. سواء أكان ذلك حول طاولة النرد، أم في الأمسيات حول كأسٍ صغير يفرح قلب الإنسان...
عرفناه مثقفاً ...يهوى القراءة كما يهوى سماع الموسيقى، وما من حفل موسيقي كلاسيكي أو ديني إلا وكان أبو بندي هناك...
عرفناه ونيساً... يحب زيارة المرضى... لا يألو جهداً في التخفيف عنهم أوجاعهم ... كان أنيس وحدتهم . يسأل عنهم عبر الهاتف بانتظام...
أجل كان الفقيد شريكاً حقيقياً...
فحتى عندما قدم إلى عمان في رحلته الأخيرة هذه...
عز عليه فراق أخيه الأصغر... وكأنه لم يرد أن يسير توفيق وحيداً في طريق الموت ... فشد الرحال معه ونيساً يطرد عن الحمام وحشته...
أجل عرفناه زوجاً حنوناً وأباً رؤوفاً وأخاً مخلصاً وسنداً قوياًعند الملمات ...

ويبدو لي أن المفتاح إلى فهم حياة أستاذنا الراحل إنما يكمن في الأسماء التي اختارها لأبنائه...
فهنا بندي... وكأنه جاء ليذكر المرحوم بأصله وفصله...
فلقد ولد المرحوم لبندي زبانة في الرملة عام ١٩٢٢...
وكان هو البكر التوأم لأخيه جبرا...

هناك وفي ربوع الرملة شب وترعرع ... والتحق بمدرسة شنلر في بيرسالم أولاً ثم في القدس...وعاد إلى الرملة...
ليهجر أبان النكبة عام ١٩٤٨... حيث لجأ إلى رام الله ومن ثم إلى بيت لحم حيث استقر بعيداً عن موطن رأسه...
وها هو اليوم يدفن بعيداً عن ثرى فلسطين في أرض الأردن الشقيق...

وهنا ابنته سامية... أسماها كذلك لإيمانه بسمو الأخلاق...
فلقد رضع الفقيد مكارم الأخلاق في مدرسة شنلر زاداً دسماً... هناك تربى على المبادئ الأخيلية... ولا أذكر يوماً من أيام الأحد غاب فيه عن الكنيسة...
ولم يكن من قبيل الصدفة أن تطلب الكنيسة منه أن يكون واعظاً يئم في الناس عند غياب الراعي وفي الكثير من المناسبات... ولم يكن من قبيل الصدف أن يخدم أبو بندي مربياً في البيت الداخلي... أجل على هذه الأخلاق السامية ربى الفقيد أجيالاً لم تنس يوماً فضله أو علمه أو شهادته...

ثم جاء الأبن الثالث...
ولم يتردد أبو بندي فأسماه باسم... فلقد كان المرحوم باسم الوجه...
باش المحيا... يحب الفكاهة والطرافة... والأهم أنه كان مجبولاً بالتفائل...
فمهما كانت الأحوال... ومهما ساءت الأوضاع... ومهما اسودت الآفاق كان أبو بندي يحافظ على تفائله كمن يجمع عملة نادرة لا تقدر بأثمان...
وكان يقولها دائماً: أنا متفائل!!!

عجبي لك يا أبا بندي... فلقد خسرت الديار
وهجرت الأوطان... وعاصرت عشراً من الحروب المحلية والإقليمية والدولية... ورأيت بأم عينك قضية شعبك تباع في المزادات ورغم كل ذلك بقيت متفائلاً لا تتزعزع...
وربما لم يضاهِ أبا بندي في التفائل أحدٌ سوى إيليا أبو ماضي والذي قال:

هو عبء على الحياة ثقيلٌ — من يظن الحياة عبئاً ثقيلا
والذي نفسه بغير جمال — لا يرى في الوجود شيئاً جميلا...
أيهذا الشاكي وما بك داء — كن جميلاً ترى الوجود جميلا...

أجل كان الفقيد جميلاً... فرأى الوجود جميلاً...
ولا أشك لحظة أن أبا بندي حافظ على هذا التفائل حتى في مواجهته للموت...
وكأنه آمن دائماً أن الكلمة الأولى والأخيرة هي ليست للبشر
بل للرب المقام من بين الأموات...

وآخر الكل أطل الأبن الأصغر فأسماه ماهر...
لا لسبب إلا لأن أبا بندي كان من الرجال الماهرين...
كان ماهراً في دراسته فطلب منه شنلر
أن يصبح أستاذاً في مدرسته في الناصرة ولاحقاً في بيت لحم...

وكان المرحوم ضليعاً في اللغات ... فلغته الألمانية كانت تضاهي لغته الأم ...
أما عن اللغة العربية فحدث ولا حرج...
أذكره بعد كل عظة ألقيها يأتي إلي ويقول:
«اليوم لقيتلك أربعة أخطاء لغوية"... وخوفاً من أن أصاب بالاكتئاب كان يضيف معزياً :" ولكنك أقلهم أخطاء لغوية...»

أجل في اللغات... كما في الترجمة... كما في التأليف كان المرحوم ماهراً مؤمناً أن كل ما عملتم من قول وفعل فاعملوا من القلب كما للرب وليس للناس...

أجل أيها الأحباء....
إذ أتت الساعة كي نودع معلمنا الوداع الأخير...
دعونا نقولها من القلب كما للرب وليس للناس...
«سنفتقدك يا أبا بندي...
ستفتقدك زوجتك وأبناؤك وأحفادك وأحباؤك...
إذ في الليلة الظلماء يفتقد البدر...»
دعونا نقولها وبلا مقدمات...
ستفتقدك الألوف المؤلفة من طلابك الذين زرعت فيهم
حب العلم وبذور الأيمان...
دعونا نقولها وبلا مواربات ...
ستحن الكنيسة لذلك الصوت الدافئ...
الذي كان يجلجل من على المنبر وعظاً... ومن خلف الأرغنِ ترنيماً...
ومن على المذبح صلاة وإرشاداً...
دعونا نقولها وبلا مجاملات...
سنتوق لإطلالة أبي بندي وهو يقطع الطرقات بحثاً عن فاكهة طازجة صبحاً...
أو لعيادة مريض عصراً أو للأشتراك في برامج أجيال...
ولكننا لم نأت إلى هنا لنتحسر بل لنشكر واثقين أن معلمنا الراحل قد انتقل
من الموت إلى الحياة
ومن النفق المظلم إلى رحاب الضياء
ومن عالم الأيمان الى عالم العيان
فتقدم يا أبا بندي ...
تقدم ولا تخف...
فلا هجرة بعد اليوم... بل سترجع إلى موطنك السماوي كما تعود طيور اللقلق
إلى أوطانها في الميعاد...

تقدم ولا تخف...
لقد أحببت دوماً الموسيقى وكأنك تتدرب على لغة الملائكة
والسماء حيث يسبح الفادي بلا انقطاع...

تقدم ولا تخف...
فلن تجد هناك متشائماً واحداً... بل مجموعة فرحة...
بسلام حقيقي...

تقدم ولا تخف...
لن نستطيع أن نسير الميل الأخير معك...
ولكننا نثق أنك في أيدي أمينة... حيث المراعي الخضراء...
حيث ستسكن في قلب الله...
ولكن وعداً أن تبقى ذكراك العطرة حية في قلوبنا أجمعين...

فبالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن سيادة المطران منيب يونان، وعن رئيس وأعضاءالمجلس الكنيسي، وإدارة وأسرة المدارس اللوثرية، وبالنيابة عن أسرة أجيال نعزيكم عزاء القيامة بالحياة الأبدية... فللفقيد الرحمة ولكم جميعاً من بعده طول البقاء...

# تواضع

**عبرا: ١١: ٤**

أختنا السيدة بيرتا، أخوتنا السادة منير وطوني سابا،
أقرباء الفقيد وأنسباءه المحترمين، أيها الحفل الكريم...

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم. وما لرنينها يقطر حزنا وألما؟
لما اجتمع رجالات بيت لحم الآن وما بالهم ممتلئين صمتا ووجعا؟

ألعلهم سمعوا عن موت فقيدنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزنا فأتوا لوداعه ولأحياء ذكراه؟

أيها الأحباء، إن خطبنا بفقدان أخينا البير سابا لفادح وعظيم،
وإن مصابنا به لعميق وكبير...
فلقد امتدت يد المنون وغدرت بنا فخطفت منا أخاً وديعاً جليلاً...
غافلتنا رحى الدهر فدارت علينا وسرقت منا ذخراً ثميناً...
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من وسطنا علماً لوثرياً بيت لحمياً أصيلاً.

أجل لقد رقد عزيزنا ألبير، ولكنه وإن مات فلم يزل يتكلم،
وإن صمت لسانه، فسيرته ما زالت تتكلم،
حتى بعد وفاته ما زالت حياته ناطقة بليغة.

عرفت الفقيد ألبير وتعرفت عليه قبل زهاء السنتين،
كان عزيزنا قد جاء مع زوجته وكريماته من دولة قطر،
ليقضوا إجازتهم في مسقط رأسهم وبين أهلهم وأخوتهم.
كنت قد سمعت عن عزيزنا الكثير،
كيف لا أسمع وهو رجل بيت لحمي أصيل،
كيف لا أسمع وقد نشأ في بيت لحم لوثرياً عريقاً؟

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحوم ألبير سابا.

كان قد تناهى إلى مسامعي أن لعزيزنا في دولة قطر مركزاً
قيادياً عظيماً وأنه يتقلد منصباً حكومياً رفيعاً.

وجاء يوم اجتمعت فيه مع فقيدنا البير.
تحدثت إليه فلم أسمع منه كلمات تنم عن التفاخر،
تأملت بعينيه فلم أجد أي أثر لنظرات التغطرس والتكبر.
فلقد ظل أخونا ألبير رغم علو منصبه إنساناً
في غاية التواضع... بقي عزيزنا رغم سمو مركزه
إنساناً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان،
لم يكن ألبير من أولئك الرجال الذين جلسوا على كراسيهم ليستبدوا
بإخوانهم، ولم يكن من أولئك الناس الذين أساؤوا استخدام
السلطة الموكلة إليهم، بل لقد اقتدى فقيدنا بمعلمه
ومخلصه يسوع فسعى لا ليُخدم بل ليَخدم. وعمل
لا ليأخذ بل ليبذل. آمن بأن الحياة بذل وعطاء،
وأن المسيحية خدمة وتفان.

هناك أمر ثان لفت نظري في فقيدنا الراحل...
فلقد أبى عزيزنا أثناء زيارته للبلاد، أبى طوال مدة إجازته
إلا أن يواظب على الكنيسة، فظل يتردد إليها الأحد تلو الآخر.

لم تكن الإجازة في نظره فرصة للتهرب، بل للتقرب من الله.
لم يكن الإيمان المسيحي حسب رأيه أمرا ثانوياً هامشياً.
بل رأى ألبير فيه أمراً أساسياً، حياتياً ومصيرياً.

أيها الأحباء، اليوم ونحن نحيي ذكرى عزيزنا الراحل، ندرك أنه
وإن مات البير، فلم يزل يتكلم، وإن غاب عن أنظارنا
فإيمانه وسيرته لماثلتان أمام عيوننا.

إنا نشكر الله على حياته، فلقد كانت حياة فياضة، مقدامة
أعطت بكثرة وأنتجت بوفرة.

لقد تمسك ألبير طوال حياته بمخلصه يسوع
فلن يتركه المخلص في ساعة موته وفي محنته،

بل إنا لواثقون بأن أخانا ألبير قد رجع
إلى موطنه الأصلي، عاد إلى وطنه السماوي،
لقد منعته يد الاحتلال من الرجوع إلى وطنه فلسطين،
فمات في الغربة ودفن في غير ثرى بيت لحم،
ولكن ما من قوة تستطيع أن تفصله عن موطنه السماوي
ما من سلطة تستطيع أن تبعده عن قلب الله
وعن رحمته وعن محبته...

أخوتي الأحباء، أهل الفقيد وأقرباءه وأنسباءه،
هذا هو إيماننا، وهذا هو عزاؤنا،
إن المسيح قام من بين الأموات، وداس الموت
بالموت ووهب الحياة للذين في القبور.

آمين

# حياة حافلة

عقيلة الفقيد أم يعقوب،
الأعزاء أبناء الفقيد عيسى،سامي،وفيوليت،
أقرباء الفقيد وأنسباءه،
أيها الأحباء في الرب،

أجراس هذه الكنيسة تبكي اليوم إذ تودع عزيزاً، رأيته يأتي ههنا الأحد تلو الأخر وكأنه كان منها على ميعاد...

أورغن كنيسة الميلاد يقطر اليوم حزناً على عضو راح صوته ولستين عاماً مضت يصرح في أفياء هذا البيت المقدس بلا انقطاع... كلنا: صغاراً، وكباراً قدمنا ههنا لنودع رجلاً جليلاً... أستاذاً فاضلاً... وعلماً لوثرياً أصيلاً...لم نأت ههنا نتحسر على أيام حلت أو ذكريات عصفت، ولم نات لننتحب كما ناحت النسوة في القديم، أمام القبر الفارغ، بل قدمنا ههنا لنرجع الوديعة إلى خالقها وقلوبنا تلهج شكراً وايماناً ورجاءً...أجل لم نأت لنتحسر بل لنشكر، فسن الإنسان هي سبعون سنة وإن عمرنا فثمانون، فلنشكر الباري على سبع وثمانين سنة من العطاء... فلقد ولد الفقيد عام ١٩٢٢ في مدينة الرملة، وانتقلت عائلته بعد ولادته بقليل إلى مدينة يافا، عروس البحر الفلسطينية... هناك وعلى وقع أمواج البحر المزبدة راح ينمو... وفي حارات أحيائها الحجرية راح يلعب... ولكن ما هي إلا سنوات قلائل حتى فقد فقيدنا والدته وأضحى يتيماً بلا قلب يحنو عليه أو حضن يضمه... لذلك لم يجد من ملاذ آمن إلا عند الآب شنلر في مدرسة الأيتام السورية حيث التحق بها عام ١٩٢٨.هناك أنهى المدرسة الابتدائية والإعدادية ليلتحق بدار المعلمين التابعة لها... فلقد رأى فيه شنلر ... طالباً مجتهداً... وتلميذاً موهوباً بل وقائداً مسؤولاً...

وكان المرحوم خريج آخر دفعة في مدرسة شنلر إذ وضعت القوات البريطانية يدها على المدرسة عام ١٩٤٠ وحولتها إلى معسكر للجيش حيثما بقيت

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم فهد أبو غزالة بتاريخ ٢٢ | ٤ | ٢٠٠٩.

هناك لعدة سنوات خلت. وكالعديد من أترابه عمل الفقيد مع قوات الانتداب البريطانية في مجال الترجمة والطباعة.
هناك في يافا تأثر بالقس فريد عودة وبعظاته البليغة حتى ترك هذا أثراً في حياته...

وبعد احتلال يافا عام ١٩٤٥ لجأ الفقيد إلى القدس حيث عمل في جريدة فلسطين وبقي فيها حتى عام ١٩٤٩ حيث دعاه شنلر ليدرّس في مدرسته التي كان قد نقلها إلى بيت لحم بجانب هذه الكنيسة. هنا بدأ المرحوم مع العديد من طلاب شنلر ببناء مدرسة مبتدئين بثمانين طالباً. ورويداً رويداً عمل الفقيد على تطوير هذه المدرسة، حيث استلم ادارتها عام ١٩٦٢ وبقي في منصبه هذا حتى تقاعده عام ١٩٨٠.

ولأنه كان شنلري أصيل فلم يستطيع أن يركن إلى الكسل بل بقي فاعلاً، نشيطاً ومنتجاً... فراح يعلم اللغة الألمانية في مدرسة الرجاء ويقطع المسافات بين بيت لحم ورام الله مستثمراً في الجيل الجديد... كما واستلم برنامج التبني لقرية الأطفال لثماني سنوات...

في هذه الفترة طلب أحد الأشخاص من الفقيد ترجمة كتاب تاريخ الكنيسة في الأرض المقدسة لمؤلفه فريدرشي هاير على عاتقه الشخصي، كما قام بترجمة حجج مارتن لوثر الخمس والتسعين من الألمانية إلى العربية هذا بالإضافة إلى كتاب "أنشودة العذراء تعظم" وكتاب "طريقة بسيطة للصلاة" أيضاً للمصلح مارتن لوثر... كما وقام لسنين عديدة بترجمة آيات كتابية يومية للغذاء الروحي... هذا بالإضافة إلى تحرير مجلة كنيستك وإصدارها فصلياً باللغة العربية...

أجل كان الفقيد في اللغات، كما في الترجمة... مميزاً... في التعليم كما في التربية... كان المرحوم علماً من أعلام عصره...

أجل أيها الأحباء،
حانت الساعة لنودع أستاذنا الوداع الأخير... دعونا نقولها من القلب كما للرب وليس للناس:"سنفتقدك يا أبا يعقوب..."
سأفتقد فيك تلك الأذن التي كانت تصغي لكل كلمة من العظات...سأفتقد لملاحظاتك التي لم تكن تمر عنها شاردة ولا واردة... سأفتقد لذلك الانتماء الذي

لم يعرف يوماً حرداً، أو انسحاباً أو تعالياً بل التزاماً أكيداً حتى ولو على كرسي متحرك...

أجل، دعونا نقولها وبلا مقدمات...
ستفتقدك الألوف المؤلفة من طلابك وأنا منهم الذين زرعت فيهم جذور العلم وبذرة الإيمان...

دعونا نقولها، وبلا مورابات...
ستحن الكنيسة لذلك الصوت القوي... الذي كان يجلجل من على هذا المنبر وعظاً... ومن خلف الأرغن ترنيماً... ومن على المذبح صلاة وارشاداً...دعونا نقولها وبلا مجاملات...سنتوق لمزاج أبي يعقوب... كما سنتوق لبكاء الشيخ طريح الفراش... ولكننا لم نأت إلى هنا لنتحسر بل لنشكر واثقين ونحن ما زلنا في رحاب عيد الفصح، إن أخانا قد انتقل من الموت إلى الحياة، ومن النفق المظلم إلى رحاب الضياء، ومن عالم الإيمان إلى عالم العيان...

فتقدم يا أبا يعقوب... تقدم ولا تخف... فيسوع قد داس الموت وفتح لك باب السماء... وبقيامته قد أنار الخلود... وترك لك عربون رجاء... وها هو اليوم يدنو منك مرحباً يود أن يقودك إلى ديارك الأبدية ، وفي الميعاد المحدد... هناك ستسكن في قلب الله ولكن ذكراك ستبقى حية في قلوبنا أجمعين.

آمين

# حياة في تربية الأجيال

أختنا أريج، أبناء الفقيد وأخوته...
أقرباءه وأنسباءه، يها الأخوة والأخوات الأعزاء...

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم
وما لرنينها يقطر حزنا وألما؟
ولمن سار هذا الموكب المهيب
وما للراجلين وقد عمهم الألم قنوطاً وتوجعاً؟

ألعلهم سمعوا بموت فقيدنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزنا؟
فأتوا لوداعه الوداع الأخير؟

إن خطبنا بفقدان أخينا أبى إياد لفادح وعظيم...
وإن مصابنا به لجلل ومخيف...
فلقد امتدت يد المنون وغدرت به فخطفت منا أبا جليلا...
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا ذخراً ثميناً...
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من وسطنا
مربياً فاضلاً وعلماً لوثرياً أصيلاً.

ولد الفقيد في مدينة بيت ساحور عام ١٩٣٧،
أي بعد الانتفاضة الفلسطينية الأولى وإضرابها الشهير،
وها هو يرحل عنا في انتفاضة أخرى، وكأنه بذلك
يرسم ملامح جيل فلسطينيّ. ولد وعاش وها هو يموت
ولم ير عدلاً ولا سلاماً ولا اطمئناناً.
وشب الفقيد في هذه المدينة العامرة،
يختبر ويلات الحرب العالمية الثانية وعاش النكبة،

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم يعقوب قمصية (أبو إياد) بتاريخ ٧ | ٩ | ٢٠٠١.

وأدرك أن ما من خلاص لهذه الأرض وما من أمل لهذا الشعب
إلا إذا حمل أبناؤه العلم سلاحاً، والقلم عتاداً...
والتربية نبراساً ومناراً.

وما أن أنهى الفقيد مدرسة بيت لحم الثانوية، حتى ليلتحق
بدار المعلمين في الأردن والتي تخرج منها أواخر الخمسينيات
ليعود من بعدها إلى بلدته التي أحبها وإلى مهنته التي
عشقها من تربية وتعليم...

وحتى عندما أراد الفقيد أن يجد قرينة تشاطره الحياة
بأفراحها وأتراحها، ما وقع اختياره إلا على مدرسة شابة
وابنه مدرّس علم فذ وفاضل،
حيث عقد قرانه على زوجته أريج في
هذه الكنيسة عام ١٩٦٠.

وباشر الفقيد عمله معلماً لمادة الرياضيات،
ولكنه كان قد تأثر برياح التربية الأوروبية الحديثة
فكان من أوائل الذين نادوا بإعطاء الطالب قسطاً
لا بأس به من الحرية الفردية...

وقد نبغ الفقيد في عمله، فعين عام ١٩٧٧ مديراً
للتربية للمدارس الإنجيلية اللوثرية، ليكون بذلك أول فلسطيني
يتبوأ هذا المركز.

ولقد ترك الفقيد بصماته على مؤسسات هذه الكنيسة،
فإبان خدمته تم توسيع مدرسة بيت ساحور، وبناء جناح
جديد لمدرسة بيت لحم، وإقامة بيت داخلي عصري،
وتشييد صرح طاليثا قومي الحديث.

وخدم المرحوم الكنيسة ومدارسها في ظل الاحتلال الإسرائيلي،
لكنه أدرك أن النظام التربوي السائد نظام عقيم أكل الدهر عليه
وشرب، ورأى فيه نظاماً يقمع الفكر، ويكبل
الإبداع ويطمس هوية الشعب الديناميكية،

ولا يخرج إلا عملة رخيصة لاقتصاد الاحتلال،
أو شباباً تطلب العلم في المهجر الذي لا عودة منه.
لذا نادى الفقيد بفلسفة تدعو الشعب للوعي والمشاركة...
وكان من أوائل من نادوا بأهمية بلورة منهاج فلسطيني
حديث يفعل الفرد ويخدم المجتمع الفلسطيني ويمده
بالطاقات البشرية المؤهلة والمفعلة.

أجل صارع الفقيد الجهل وكرس حياته لخدمة العلم،
ثم تقاعد عسى أن يجد راحة وطمأنينة، ولكن ما هي إلا
سنين قليلة حتى راح المرض يغالبه ويصارعه،
وما هي إلا أيام قليلة حتى تربص به الموت وصرعه.

أجل...في الأسبوع المنصرم رأينا الموت على بشاعته...
اختبرناه على حقيقته ...
رأيناه يغافلنا، وخلال أيام خمسة رأيناه يخطف
منا فقيدنا دونما موعد أو استئذان.

ونفيق اليوم ولا نكاد نصدق أعيننا...
أحقا قد رحل عنا يعقوب؟ أحقا قد تركنا أبو إياد؟
أحقا قد غاب عن أبصارنا ذلك العالم الفذ والمربي
الفاضل وكأنه حلم ليس إلا؟
في هذا الصباح سمعت الكثيرين يقولون: «الحياة فش عليها أسف»،
فالإنسان كالطير مهما علا وارتفع إلا وتصيبه سهام
المنون لتطرحه أرضا وتتركه عظماً...

إن حياتنا حقا كلمح البصر، سريعة وخاطفة...
ولكنها لهذا السبب عينه لمهمة وغالية...
إنها حقاً قصيرة ولكنها قيمة وثمينة...
فعلى فراش الموت ...يحل لغز الحياة
فالحياة كالرواية لا تفهم إلا من نهايتها...
ولا تفك طلاسمها إلا ساعة الخاتمة...
اليوم، إذ نجابه الموت وجها لوجه...
لا يسعنا إلا أن نشكر الله على حياة فقيدنا الراحل...

على عطائه وعلى شهادته التي وإن مات فما زالت
حية وبليغة...

أجل كان أبو إياد شمعة احترقت، ولكن لا لتندثر،
بل لتضيء لمن حولها، واليوم تنطفىء هذه الشمعة
لا لتفنى بل لتحل في عالم النور والبهاء والضياء...

واليوم إذ سنواري جسد الفقيد التراب،
إنما ليكون حبة حنطة تذرى في الأرض، لا لتموت،
بل لتقوم على رجاء حياة أبدية بلا انتهاء...

والآن يا أبا إياد...
قد جاء الوقت لكي نودعك ...لن نستطيع السير معك بعد الآن
فتقدم ولا تخف...فلن تدخل عالماً مجهولاً لديك
إنما ستعود إلى وطنك السماوي،
كما ترجع طيور اللقلق إلى موطنها في الميعاد...
ترجل ولا ترهب...
إذ ستنتقل اليوم من عالم الإيمان إلى عالم العيان
لقد كنت تجري وراء المعرفة، ولكنك اليوم ستعرف
كما عرفت...
لقد كنت تنظر قبل الآن في مرآة تحاول فك اللغز،
أما الآن فوجهاً لوجه ستراه...
ستغيب اليوم عن ناظرينا...

لكن لا لتختفي بل لتقيم في قلب الله...
أما ذكراك فستبقى حية عطرة في قلوبنا.
فللفقيد الرحمة ولكم من بعده طول البقاء...

## آمين

بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن سيادة المطران منيب يونان وعن مجمع الكنيسة ومجلسها وعن مكتب التربية للمدارس اللوثرية، أتقدم لأريج، ولأبناء الفقيد وإخوة الفقيد بصادق تعازينا...

# خبز أمي

أحن إلى خبز أمي وقهوة أمي ولمسة أمي، أحن إلى حضرة أمي وضحكة أمي وهمسة أمي، أربعون يوما مذ رحلت عني... أربعون يوما مرت مذ غابت عنا فافتقدناها إذ في الليلة الظلماء تُفتقد الأم. أجل، أربعون يوماً مضت ولم يمض يوم إلا وافتقدناها ولم تنقض ليلة إلا وتذكرناها، وها نحن اليوم قد أتينا لنحي ذكراها بالصلاة والترنم والدعاء. لم نأت لنتحسر على أيام خلت أو ذكريات عصفت، ولم نأت لننتحب كما ناحت النسوة في القديم أمام القبر المغلق، بل قدمنا اليوم لنحيي ذكرى عطرة نحييها بالشكر وبالإيمان وبالرجاء.

أجل أيها الأحباء، لم نأت لنبكي بل لنشكر، وهناك الكثير الكثير مما يدعو للشكر وللعرفان وإذ نتأمل في حياة الفقيدة الراحلة لا يسعنا إلا أن نشكر الله على حياتها وعطائها وحنانها، فقد عاشت المرحومة حياة إنجيلية، ليس لأنها درست في المدرسة اللوثرية في بيت ساحور، ولا لأنها تأثرت بالروح الإنجيلية للمرحوم والدها الذي لعب دوراً هاما في صقل هويتها، ولا لأنها قد تأثرت في مطلع حياتها بمبشرين إنجيليين أمثال مس مارغريت ومستر Theis فحسب، بل فوق هذا وذاك لأن حياتها برمتها كانت في الاعتماد على مخلصها. فما زلت أراها ووالدي أمام عيني يمسكون بذاك الكتاب المقدس القديم، ذي الحجم الكبير والوزن الثقيل ينهلون منه إيمانا وتعزية ورجاء.

ومازلت أسمع صوتها الجهوري ينشد الترانيم الإنجيلية بشغف وعنفوان وحماس، سواء أكان ذلك وقت الطبخ أو عبر الهاتف أو في دروس الكتاب.

لقد كانت الترانيم التي حفظتها عن ظهر قلب كالماء للأسماك، بواسطتها تتنفس ومعها تتحرك وبها تحيا، عند الفرح ووقت الحزن كانت الترانيم رفيقتها في حلّها وترحالها.. ومازلت أذكرها تصلي قبل النوم وقبل الأكل وفي الكنيسة هنا، خاصة قبل هذا اليوم من رأس كل عام... خبرتها تصلي زمن اليسر، كما على فراش المرض وإذ قاربت على الممات... أجل مازلت أذكرها تحنن القلوب كي لا

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحومة بديعة الراهب بتاريخ ٢٠٠٦/١٢/٣١.

تقسو، وتخاطب الأرحام كي لا تحقد، وترجو الألباب بألا تنتقم وكان لسان حالها يقول: من يصنع الخير لا يندم ولا يصغُر ولا ينقص بل يكبر على الأحقاد ويسمو على الأعداء.

أجل لم نأت ههنا لنتحسر، بل لنشكر... لنشكر الله على حياتها ومثالها ولننظر إلى مماتها بعيون الإيمان إذ لم ترحل الفقيدة عنا قبل موعدها، كما لم تتأخر عن موعد سفرها بل غادرتنا في الموعد المحدد وفي الميعاد، تركتنا بعد أن رأت أبناءها وقد اشتد عودهم وأبصرت أحفادها وقد أطمئنت على مستقبلهم. لقد أحبت الفقيدة الحياة بالرغم من كثرة أتعابها وأمراضها... وآمنت أن في الحياة ما يستحق الحياة وبقيت تصارع المرض حتى آخر رمق في حياتها وحتى عندما أوشكت حياتها على الغروب بقيت تقول: «أنا منيحة... أنا أحسن... نشكر الله...» ولكن في الأشهر الخمسة الأخيرة، اكتشفت الفقيدة أن أفخر سنيّ الإنسان حقاً لتعب وبلية. فروويداً رويداً راحت تفقد النظر وشيئاً فشيئاً راحت تخسر السمع وأكثرُ الكل عانت من مرض عُضالٍ سرق منها نظرتها وقوتها وعنفوانها وجعلها طريحة الفراش لا تقوى على الحركة... رويداً رويداً راحت الحياة تفقد بريقها ومعناها ولونها... ورأينا التي أحبت الحياة تكتشف أن الحياة كعشبٍ يبزغُ ثم ينشف شيئاً فشيئاً راحت الفقيدة تحزم أمتعتها وكأنها مسافرة تستعد للرحيل.

وراحت - وهي التي عشقت الحياة - تبصر والدها وقد عاد يدعوها لأن تعود كما تعود طيور اللقلق إلى أوطانها في الميعاد... وتركتنا وكانت آخرُ كلمة نطقت بها على الهاتف لأختها: «وأنا أيضا أحبك». وركبت قطار الموت وعلى وجهها ابتسامة عريضة وتركتنا خلفها على الرصيف وقد اغرورقت أعيننا بالدموع.
ولكننا لم نأت ههنا لنحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم، بل على العكس تماما إنما أتينا لنشهد لرجاء القيامة بالحياة الأبدية، لقد كانت الأسابيع الأربعة الأخيرة في حياة المرحومة أسابيع لا تعوض، ففي الكثير من الأمسيات وبعد أن يترك الضيوف والأقارب، كنا نجتمع وأختي حول فراش الوالدة، كانت هي تمسك بيدها اليمنى وأمسك أنا بيدها اليسرى، كنا نقضي زُهاء ساعة في قراءة المزامير في الترانيم وفي الدعاء، لقد لفظت أنفاسها ونحن على هذا الحال، نرافقها بترانيم قيامة وبعثٍ وإيمان ورجاء.

في هذه الأمسيات اكتشفت وللمرة الأولى روحانية إنجيلية تجابهُ الموت بعيون الرجاء وتتحدى القبر بنور القيامة والضياء وتعلو على المرض والوجع بقوة رب

الحياة. أجل أيها الأحباء. كتابنا المقدس وترانيمنا وروحانيتنا كلها تشهد لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات. لن أرتل بعد اليوم ترنيمة الأدفنت كالسابق. بل هناك وعلى فراش الموت سمعتها وكأني أسمعها للمرة الأولى:-

هوذا ابن الله يأتي نفسي كوني بانتظار
وإذا في القبر بت ليلة يأتي النهار

هناك ونحن على موعد مع الموت. فهمت كلمات الترنيمة فهماً جديداً:

الليل منته دنا النهار وكوكب الإصباح حيانا
ومجد وجه الرب قد أنار إقباله في المجد قد حانا

أجل. قاب قوسين من القبر. هناك فقد الموت شوكته والقبر صولته والمرض سلامته. لذلك أردنا للجنازة ألا تكون جنازة. بل أردناها أن تكون احتفالاً بقيامة قبل موعدها بقليل. لذلك اخترنا ترانيم قيامة وبعث ورجاء. ورنمنا...

يا أمه الحنون علام ذا الأنين
فنوره المبين في القبر ضاء

ولا أراها من قبيل الصدفة أن تكون الترانيم المفضلة للمرحومة هي ترانيم تشهد عن هذا الرجاء. وتقول كلمات هذه الترنيمة:-

أيها السياح قولوا أين أنتم ذاهبون

وتأتي الإجابة

نحن في الأسفار نسعى نحو فادينا الحنون
فوق سهل وجبال صوت أفراح الخلود
حيث في الفردوس نجني كل أثمار الوعود

وفي الأيام الأخيرة راحت الفقيدة تخاطب من سبقوها إلى هناك قائلة:

أيها السياح هلا تصحبونا في الرحيل

وأنصت فسمعتهم ينادونها...

أقبلوا يا قوم أهلا أقبلوا نحو السبيل
أقبلوا أهلا وسهلا إن فادينا يقول
أيها القوم تعالوا نحو مجد لا يزول

بهذا الرجاء الذي تسلحت به المرحومة نحي هذه الذكرى واثقين أن أم متري قد انتقلت من ظلمة الليل بإحياء النهار ومن أرض الوجع إلى رحاب السلام، ومن سياق الإيمان إلى حيث العيان.

وإن غابت عن الأنظار فقد أضحت في قلب الله، أما ذكراها فستبقى حية في قلوبنا أجمعين.

# سائحة

أخونا جورج، الأخوات نادية وليلي،
أقرباء الفقيدة وأنسباءها،
أيها الأحباء في الرب،

لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم، وما لرنينها يقطر حزنا وألما؟
ولمَ اجتمع الحاضرون في هذا المكان المقدس؟ وما بهم ممتلئين صمتاً ووجعاً؟
ألعلهم سمعوا بموت فقيدتنا؟
ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزتنا، فأتوا لوداعها الوداع الأخير؟

إن خطبنا بفقدانها لجلل وعميق...
فلقد امتدت يد المنون وغدرت بنا فخطفت منا مرضة فاضلة
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا مؤمنة ورعة...
هبت علينا رياح الموت...
هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من بستاننا ابنة لوثرية مخلصة...
أتينا اليوم لنودع أختا فاضلة...
لم نأت لنتحسر على أيام خلت أو ذكريات عصفت...
ولم نأت لننتحب كما ناحت في القديم النسوة أمام القبر الفارغ...
بل قدمنا هنا لنرجع الوديعة إلى خالقها...
وقلوبنا تلهج شكرا وإيماننا ورجاء...

ولدت الفقيدة في مدينة بيت جالا عام ١٩٠٣.
ورأت عيناها النور إبان حكم العثمانيين...
وعندما اعتلى حزب تركيا الفتاة الحكم عام ١٩٠٧
وأمر بتجنيد المسيحيين وتحضيرهم وقوداً للحرب العالمية الأولى
التي كان يخطط لها...هاجر الكثير من المسيحيين الفلسطينيين
تجنباً من هذا الواقع المرير
وفي نفس العام ركبت المرحومة مع والدها وعائلتها البحر

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحومة وديعة الصوص - أم جورج زوجة بشارة دقماق بتاريخ ٣٠ | ٧ | ٢٠٠٥.

واستقلت من يافا باخرة أقلتهم إلى أوروبا ومن هناك
إلى كولومبيا، حيث أمضت المرحومة بضع سنين...
ولكن لم تكن كولومبيا الأرض الموعودة، فقررت العائلة
الرجوع إلى الوطن...وأدخلت الفقيدة إلى مدرسة طاليثا
قومي في القدس الغربية...مكان الهمشبير اليوم...هناك رضعت
الإيمان زاداً...وتسلحت بالعلم نوراً وتزينت بالأخلاق تاجاً مرصعاً...

وضاقت الحال مرة أخرى بعائلة الفقيدة، نتيجة لاندلاع الحرب العالمية الأولى،
فقرروا الهجرة ثانية لكن لا ليبقوا طويلا بل ليعودوا إلى أرض الوطن، إلى حكم
الانتداب البريطاني، عام ١٩٢٧ وليستقروا أخيرا في موطنهم الأصلي، بيت جالا.

هنا وفي بيت جالا تعرفت الفقيدة على رفيق دربها، ابن شنلر،
المرحوم بشارة دقماق... حيث تزوجها عام ١٩٣٨ قبل أن تبدأ
الحرب العالمية الثانية بقليل...
ورزقت منه بخمس أطفال... توفي منهم في الصغر اثنان وهما سمير وريما...
ليبقى جورج ناديا وليلي قرة لعيونهم...

وما أن وضعت الحرب العربية الإسرائيلية أوزارها...
حتى انخرطت الفقيدة في العمل ممرضة مع الاخاد
اللوثري العالمي في عياداتهم في كل من الخليل وبيت لحم،
لتضمد جراحات المرضى، ولتطبب اللاجئين والمشردين
مقتدية بمخلصها الطبيب الكبير يسوع المسيح...

كان إيمان فقيدتنا قوياً راسخاً، فرغم كثرة التجارب
والأحزان والأوجاع، لم تفقد أختنا يوما إيمانها بربها
وتمسكها به، ... بل ظلت مخلصة له في الضراء كما في السراء...
في المرض والصحة، ما دامت حية...
كان إيمانها صلباً، مؤسساً على يسوع المسيح صخر الدهور...
فلم تستطيع أمواج الشك أو القلق من زعزعته،
بل تحطمت هذه الأمواج عند الصليب وتكسرت عند تل الجلجثة...
لم يكن الإيمان لفقيدتنا نظرية أو معادلة حسابية،
بل كان حياة كنسية... فانخرطت الفقيدة
في عمل لجنة السيدات مع زوجة القس شديد باز حداد

وكرست صوتها الرخيم لفاديها فراحت تنشط
في جوقة الكنيسة، كما وراحت ترنم منفردة...
والكثير ما زالوا يذكرون كيف كانت الفقيدة تحيي ليلة الميلاد
بترنيم في "الدجى والسكون" باللغات الثلاث التي أتقنتها
العربية والإنجليزية والألمانية بجانب اللغة الإسبانية

لم نأت هنا لنتحسر بل أتينا هنا لنشكر...
لنشكر الله على حياة الفقيدة وعلى عطائها المتميز...
لم نأت هنا لنتحسر، بل لنقبل هذا الموت الجلل بإيمان ...
فالكتاب المقدس يقول إن حياة الإنسان هي سبعون سنة
وإن كانت مع القوة فثمانون سنة...
ولكن عندما يغدق الله على أخت ببضع سنين بعد المئة...
ويشبعها في طول الإيمان... عندها وجب الشكر الجزيل.

أجل لم نأت هنا لنحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم...
بل على العكس تماما أتينا متسلحين برجاء القيامة للحياة الأبدية...
ولا أراها في قبيل الصدفة أن تكون إحدى ترانيم الفقيدة
المفضلة تلك الترنيمة التي تقول:
أنا لست إلا غريباً هنا فدار السما موطني

أجل، تلك الفقيدة التي هاجرت مرتين ورجعت، إنما اكتشفت
أن الإنسان على هذه المعمورة لسائح غريب... وأن الحياة
لدرب وطريق... وأن الهدف لا يمكن أن يكون إلا الرب المسيح...
والآن إذ أتت الساعة لنرجع الوديعة إلى باريها...
الآن إذ حانت ودقت ساعة الوداع الأخير...

نقول لأختنا الراحلة...
يا أم جورج...تقدمي على هذه الطريق ولا ترهبي
لا تخافي، إذ لن تدخلي عالما مجهولا لديك،
اليوم ستعودين بعد حل وترحال لموطنك السماوي...

اليوم وبعد قرن ونيف سترجعين كما تعود طيور اللقلق
إلى أوطانها في الميعاد...

اليوم ستدخلين بيت أبيك السماوي...
وستسكنين مع المسيح مخلصك...
هناك ستكونين إلى الأبد في قلب الله،
ولكن ذكراك ستظل حية في قلوبنا على مر الزمان...

فللفقيدة الرحمة ولكم جميعاً، الأخ جورج والأخت نادية وليلي،
وعائلة الصوص ودقماق... لكم جميعاً من بعدها طول البقاء...
الرب أعطى والرب أخذ...فليكن اسم الرب مباركاً...

# صحفي مخضرم

في التاسع من حزيران من عام ألفين سقط المرحوم نبيل خوري على أرض مطار بيروت قادماً من باريس، بعد أن أصيب بجلطة دماغية أدخلته في غيبوبة سريرية دامت زهاء العامين.
وفجأة صمت ذاك اللسان الذي لطالما خاطب الملايين...وعلى غير ميعاد سقط ذاك اليراع الذي عبر عن آلام وآمال العرب من المحيط إلى الخليج...
وتوقف في الثالث من شهر أيلول قلب «نبيل» عن النبض ويداه عن الحراك والدم في عروقه عن الجريان...
إن خطبنا بوفاة صحفينا نبيل لفادح وعظيم...
وإن مصابنا بفقدانه لجلل عميق...
فلقد امتدت يد المنون لتغدر بنا ولتخطف منا صحفيا نبيلا...غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا أديبا كبيرا...هبت علينا رياح الموت واقتلعت من وسطنا علماً لوثرياً عربياً أصيلاً.

ولد الفقيد عام ألف وتسعمائة وأربعة وثلاثين في مدينة القدس، وكان أبوه المرحوم الياس شحادة الخوري معلماً في دار الأيتام السورية، أو بما كان يعرف بمدرسة شنلر، إلا أن العائلة سرعان ما نزحت من القدس إلى بيت ساحور حيث تسلم والده أولاً إدارة المدرسة اللوثرية هناك، ومن ثم رعاية هذه الكنيسة في بيت لحم.

وشب نبيل في مدينة بيت ساحور ودرس في المدرسة اللوثرية هناك لينتقل بعدها إلى مدرسة صهيون، فكلية الأمة ليتخرج أخيراً في مدرسة الفرندز.

وقد عرف عن الفقيد حبه للمطالعة،
لقد آمن ومنذ نعومة أظفاره أن خير جليس في الزمان كتاب...
لذلك كثيراً ما كان يتسلل إلى مكتبة والده لينهل من معينها علماً ومعرفة وثراء...

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم نبيل خوري بتاريخ ٢٠٠٢/١٠/٢٠.

ومن كثرة حبه للكتاب قرر أن يمتهن الصحافة ...فدرسها في مصر أولا ثم انتقل إلى لبنان حيث بدأ رحلته مع الكتابة: وقد عرف الفقيد بغزارة عطائه وبفيض كتاباته... فلقد كتب إبان حياته الصحفية ما يزيد عن ٢٠ ألف مقال... ونشر ١٧ كتابا ناهيك عن آلاف التعليقات الإذاعية المكتوبة والمذاعة.

ترك المرحوم بصماته في الحياة الثقافية والفكرية العربية...
فلقد عين في أواخر الخمسينيات مديرا لبرامج الإذاعة اللبنانية فكان أصغر مدير في العمر يعيّن في مثل هذا المنصب في تاريخ الدولة اللبنانية... بل كان هو المسؤول الرئيس عن تطور الإذاعة اللبنانية من دكان صغير قابع في السراي تحت مجلس الوزراء إلى إذاعة كبرى تذيع بخمس لغات وتبث بلا انقطاع.

وفي الستينات أسس المرحوم مجلة الحسناء وتولى رئاسة تحريرها... ثم رئس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية ليؤسس من بعدها مجلة المستقبل والتي اشتراها منه رفيق الحريري عام ثمانية وثمانين ليسمى على اسمها تلفزيون المستقبل.

وقد عمل نبيل في كل مجالات الإعلام سواء أكانت أسبوعية «كالصياد والأنوار» أو نسائية كالحسناء والشبكة، أو جرائد يومية «كالنهار والأهرام والقدس، أو في الإذاعة كإذاعة الشرق.
وحتى عندما راح التلفاز والأنترنت يزاحم الكلمة المكتوبة كتب المرحوم:
«عليك أن تستمر... وأن تقاوم... وأن تكتب... لأنك أنت وحدك ككاتب ستبقى، لأن ما سيبقى على رغم «عصر العكس» الذي يغرق العالم هو الكلمة المكتوبة» (المرافئ ص ١٦١).

إبان حياته عرف المرحوم الكثير من أدباء ورؤساء العالم العربي
كما لم يعرفهم أحد غيره...
فلقد انتدبته الجامعة العربية في مطلع السبعينيات مع زميله بطرس غالي لشرح القضية الفلسطينية إلى الصحافة الغربية، كما وصادق المرحوم الأديب الفلسطيني الكبير غسان كنفاني وساعده على الحصول على الجنسية اللبنانية.

وكان صديقا حميما للشاعر محمود درويش حيث كانا يلتقيان أسبوعيا في مطعم ميساك الأرضي في باريس، بل كان نبيل هو من اختار لمحمود درويش عنوان مجلده الثالث: «لماذا تركت الحصان وحيداً..»

وقد كتب عنه الشاعر نزار قباني قائلا إن نبيل إنسان كامل الأوصاف...وما من زيارة لمصر إلا والتقى بزميله مصطفى أمين. كان المرحوم نبيل عربي الإنتماء بكل ما للكلمة من معنى... وقد انعكس ذلك على علاقاته...

فلقد صادق الرئيس رفيق الحريري... والأمير سلمان بن عبد العزيز، أمير الرياض... وحظى من الرئيس حافظ الأسد بعدد من المقابلات كما لم يحظ بها أحد غيره... لم تكن العروبة أيدولوجية تبناها الفقيد، إذ لم يكن يوماً قومياً بالمعنى الحزبي، بل كان عربي القلب والوجدان... حمل معه هموم الوطن من محيطه إلى خليجه... فأحب القدس بنفس القدر الذي أحب به بيروت... في زمن خيل للمرء فيه أنه قد كُتب للفلسطينيين واللبنانيين أن يبقوا على عداء، أما نبيل فلم يجد في هذا نوعاً من الشرك بل رأى في الاثنين واحدا.

آمن بالعروبة فكان فلسطينياً كما كان لبنانياً، وكان مصرياً وسورياً ومغربياً على حد سواء لا يفرق بين أحد منهم.

من يتتبع رحلة الراحل الأدبية، لا بد وأن يكتشف في حياته محطتين مميزتين... المحطة الأولى كانت حرب الأيام الستة التي عاشها الأديب الراحل في بيت عائلته هنا في بيت لحم، عن محطته هذه كتب لاحقا:
«في تمام الساعة الثانية والدقيقة الخامسة من بعد ظهر يوم السابع من عام ١٩٦٧ تناثرت أفكار طفولتي مرة واحدة. وكان الذي حطمها صوت قنبلة طائرة!!
كنت أتناول طعام الغداء في منزلنا عندما سمعت صوت طائرة تقترب..أعقبه صفير...ثم دوي هائل «أين منه صوت الرعد»، وأين منه أي صوت سمعته أو تخيلته في حياتي!
وقبل أن استفيق... دوت صوت قنبلة أخرى... وثالثة ورابعة وبحركة لا شعورية كنت أبحث مع بقية أفراد العائلة عن ملجأ داخل المنزل... وبطريقة تدعو إلى الضحك والرثاء معا كنا جميعا نلجأ إلى مائدة الطعام لنختبئ تحتها...
وزحفنا... ثم وجدنا أنفسنا بعد دقائق نعتاد على الرؤية (الصوت والصورة) فنقف، ثم نتفرج، ثم نمد رأسينا ، ثم ...يشعل واحدنا سيجارته بهدوء!
في اليوم التالي كنا نقف على سطح المنزل لنراقب الطائرة وكأننا نشاهد فيلما سينمائيا!!
هل أصبحنا فجأة أبطالا؟ لا
لكن الذي حدث هو أننا قد تعودنا على الحرب.
وأصبحت جزءاً من حياتنا في تلك الفترة القصيرة.»

أما المحطة الثانية في حياة المرحوم نبيل فقد كانت بلا شك أوسلو:
وليس سراً القول أن نبيل عارض أوسلو من يومها الأول وحتى وفاته... ولم تكن معارضته لأوسلو معارضة سياسية بقدر ما كانت وجودية...
فلقد شعر المرحوم خاصة بعد عملية القلب المفتوح التي أجريت له شعر أن خريف العمر قد أضحى على الأبواب... وأن أوراق الشتاء قد تلونت وأوشكت أن تسقط عن الأشجار...وأن آخر النهار قد حان لا محال...

وكلما تقدم العمر بالراحل زاد حنينه إلى المرافئ القديمة وشعر بأن أوسلو قد أجلت قطار العودة إلى الوطن السليب، وكأنه أدرك بحسه الثاقب أن الوقت قد فاته فلن يحظى باللحاق بركب العودة قبل الرحيل فاختار أن يموت في المهجر واقفا كالأشجار.

قلما تحدث الراحل عن انتمائه الديني، وقلما كتب عن إيمانه الشخصي ولكنك إن بحثت وجدت في طياته وخلف الصحفي العربي الكبير ابن القس الذي أعجب بوالده فأراد أن يكون مثله خطيباً لكن لا عن منبر الكنيسة الصغير، بل أراد أن يكون خطيب الأمة من المحيط إلى الخليج.

بقي عملاق الصحافة العربية إنسانا متواضعاً...
اعترف أن عبقريته ما هي إلا نعمة من لدن الله...
«الشكل أو الأسلوب هو أولاً هبة من الله، فإما أن تملكه أو لا تملكه...
تنميه وتطوره ومع الزمن يزداد تألقاً...ولكنه في الأصل والأساس... موهبة.
من لم يهبه الله، سبحانه وتعالى، هذه الموهبة فليبحث عن مهنة أخرى»
(المرافئ ص ١٤).

لم يكن المرحوم كثير التردد على الكنيسة، ولكنه كان في اللحظات الحاسمة لا يرتاح إلا بعد أن يسكب صلواته أمام عرش الله:
«ها أنا قلق حزين، خائف وحدي في ليل باريس، يفصلني عن محمود درويش رفيق الغربة والوحدة، دقائق بالسيارة حيث يقضي الليل في المستشفى في انتظار أن تجرى له جراحة عاجلة فجر اليوم التالي...
أتذكر وأصلي..
أتذكر، أنني ذات ليلة من ليالي باريس قبل ثمانية أعوام كنت مثله في مستشفى في هذا البلد البعيد الغريب عن الوطن والأصدقاء معا، أنتظر الفجر حيث ستجرى لي عملية مماثلة...

وأصلي، كي يخرج محمود من المستشفى معافى كما خرجت، مقبلاً على الدنيا كما أقبلت مولودا من جديد كما كنت ولا أزال أؤكد لنفسي.»
(المرافئ ص ٧٢ - ٧٣).

أجل في اللحظات الحاسمة كان نبيل يلجأ إلى الصلاة، بل ويؤم الناس للصلاة. ولكن أجمل ما كتب نبيل عن علاقة الله بالإنسان هي كلماته في روايته "راقصة على الزجاج" فهناك وهناك فقط يدرك القارئ مقدار الحب الذي حمله الراحل للعبادة الأحدية، تلك العبادة التي اختبرها داخل أسوار هذه الكنيسة...هناك وهناك فقط يدرك القارئ أن نبيل قد فهم سر الفداء وأن الله محبة.

في هذه الرواية يصور الراحل لقاء حميماً بين بطلي الرواية فيكتب على لسان المحبوبة:
«كانت الموسيقى التي رقصنا على أنغامها، كأنها موسيقى أرغن في كنيسة... وكان حديثنا أثناء الرقص همسا كأنه الصلاة...وكان رأسي يستند إلى كتفه وكأنني أريحه إلى صدر إله رحوم...ثم انطلق يعزف ألحاناً... كأنها تسابيح الملائكة». (راقصة ص ١٣١- ١٣٢).

فيا أبا النبل... إذ أتت ساعة الوداع إنما نستودعك رحمة الله...
إذ لن تدخل عالماً مجهولاً لديك...بل أراك وبعد عناء شديد وكأنك قد خلدت إلى الراحة على صدر ذلك الإله الرحيم..

يا أبا النبل... في ساعة الصلاة هذه نشكر الله على تلك الموهبة العظيمة التي سلمك إياها الخالق، فحافظت عليها وتاجرت بها فربحت قلوب الملايين...

يا أبا النبل، ونحن نودعك إنما نفعل هذا مؤمنين بأن المسيح بقيامته قد حول اللحد المظلم إلى مهد للخلود والحياة...وأنه حول القبر المعتم المنتن إلى سماء تضيئها تسابيح الملائكة...
لقد رسمت في روايتك صورة للجنة تفوح منها رائحة حب إله كبير وعظيم...
والآن قد أتت الساعة كي تدخل قلب الله وتتذوق محبة ذلك الفادي الكريم...
ولكن ذكراك ومحبتك ستبقى حية في قلوبنا أجمعين.

للفقيد الرحمة ولكم من بعده طول البقاء.

**آمين**

# فارس ترجلّ

**يوحنا ٤: ١٣+١٤**

**أيها الأحباء في الرب،**

**أربعون يوما مضت منذ أن ترجل الفارس عن فرسه**
**ليمضي في طريقه وحيداً...**
**أربعون يوماً مرت مذ ترك المرحوم عائلته وأصدقاءه**
**دون رفيق ولا سمير...**
**أربعون يوماً ولت مذ فقدنا فقيدنا وفُجعنا بموت عزيزنا**
**افتقدناه، وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر...**

**أجل أيها الأحباء،**
**إن خطبنا بوفاة عزيزنا أبي سامر لفادح وجسيم...**
**وإن مصابنا بفقدانه لجلل وعميق...**
**فلقد امتدت يد المنون وغدرت به فخطفت منا أبا رؤوفاً...**
**غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت أخاً عطوفاً...**
**هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من بستاننا سنديانة**
**وعلماً لوثرياً أصيلاً...**

**أتينا اليوم لنحي ذكرى الفقيد الراحل...**
**لم نأت لنتحسر على أيام خلت أو ذكريات عصفت...**
**ولم نأت لننتحب كما ناحت في القديم النسوة أمام القبر المغلق...**
**بل قدمنا اليوم لنحيي ذكرى عطرة لنحيها بالشكر بالإيمان وبالرجاء...**

**أجل أيها الأحباء... لم نأت لنبكي بل لنشكر...**
**وهناك الكثير الكثير مما يستوجب الشكر والعرفان...**
**ونحن نتأمل في حياة الراحل لا يسعنا إلا أن نشكر الله على حياته وعطائه**

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم سمير خوري بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٤.

فلقد أتاح الباري الفرصة لينهل الفقيد العلم من أصفى ينابيعه
فدرس في أشهَرِ مدارس فلسطين حينها، في مدرسة الفريندر والمطران...
ولقد أنعم الرازق على فقيدنا بالكثير من النجاح
سواء أكان ذلك في مجال السياحة أو المطاعم...
أجل تذوق المرحوم طعم النجاح في السبعينيات في زمن
كان النجاح فيها صعب المنال...
ولا أبالغ إن قلت أن الله العزيز كان قد منّ على الفقيد
بعزّ لم يحظ به سوى القليل القليل...
إذ نزل في أفخر الفنادق... وركب أفخر السيارات...
ولبس أشهر الماركات...

أجل دخل الفقيد العالم من أوسع أبوابه ورأى الحياة تبتسم له
وكم مرت ولم تبتسم لغيره...وعلى هذا وجب الشكر لله...
والأهم من هذا كله أن الله منّ على الفقيد بأبناء
وبنات لم يبخل يوما في تربيتهم... وأرادهم أن ينهلوا
العلم ما استطاعوا إليه سبيلا...
أجل، أتينا هنا لا لنبكي... بل لنشكر...
فلقد أَعطى الفقيد مما أُعطي... أعطى القريب والبعيد...
أعطى كيلا فائضا مهزوزاً... أعطى ولم يبخل يوماص على أحد...
على هذه كلها نشكر الله...

ثانيا:
لم نأت هنا لنتحسر بل أتينا كي نقبل هذا الحدث الجلل بالإيمان...
أحياناً كثيرة وبعد وفاة عزيز أو صديق أو قريب
قد يقول الإنسان في نفسه آه لو فعلنا كذا...
آه لو لم يوقفه جنود الاحتلال على الحاجز زهاء الساعتين...
وآه لو استطاع الأطباء تشخيص مرضه قبل فوات الأوان...
ويا ريت وياريت...
ولكن كلمة يا ريت عمرها ما كانت ترجع ميتاً...
لم يرحل الفقيد قبل موعده... كما لم يتأخر عن يوم سفره
بل غادرنا في الوقت المحدد له وفي الميعاد...
فالكتاب المقدس يقول إن حياة الإنسان هي سبعون سنة...
وإن كانت مع القوة فثمانون سنة...

وقد عاش الفقيد سنيّ عمره السبعين بكل عنفوان وقوة ونشاط
ولكن وفي السنين الثلاث الأخيرة اكتشف أن أعظم سنيّ الإنسان لتعب وبلية.

فرأيناه - وهو الذي أحب الحياة - قد راح يخافها...
ونظرنا إلى ذاك الذي تعوّد أن يسير الهوينى... نظرناه وقد راح
يعتكف في البيت وحيدا...
في سنيّه الأخيرة وبعد أن خاض المرحوم غمار الحياة وغاص إلى
أعماق أعماقها... رأيناه يكتشف جوهرها... ويدرك أننا تراب وإلى التراب نعود...
ورويداً رويداً راح الفقيد يحزم أمتعته...
وكأنه مسافر يستعد للرحيل... وراح الذي عشق الحياة
راح يصغي إلى أصوات أجراس بعيدة تقترب منه تدعوه للرحيل...
وغادرنا الفقيد... وعاد إلى وطنه الأم...كما تعود طيور القلق
إلى أوطانها في الميعاد... لم يسبق... ولم يؤخر...

بل كان هو مستعد لعناق الموت...أكثر جداً منا نحن الأحياء
الذين خلّفنا وراءه... وركب قطار الموت وعلى وجهه ابتسامة
عريضة وتركنا وراءه على الرصيف وقد اغرورقت أعيننا
بالدموع والدماء... ولم نقدر على هذا الفراق إلا لأننا متسلحين بالإيمان...

وأخيرا لم نأت إلى هنا لنحزن كالباقين الذي لا رجاء لهم...
بل على العكس تماما أتينا لنحيا على رجاء القيامة بالحياة الأبدية..,
هناك لحظات مؤثرة في حياة أخينا الراحل لن أنساها أبدا...
كان ذلك في المستشفى الفرنسي...وبعد أن أفاق من غيبوبته...
وكانت أول كلمات تلفظ بها أنا عطشان...
وطلب الفقيد أن يشرب كولا... وكلما أعطيت له جرعة...
لم يكن يرتوي... بل يعطش أكثر...ويقول : أنا عطشان...
وكأن في هذا لمغزى لحياة الإنسان... فكل من يشرب من هذا
الماء سيعطش... كل ما في هذه الحياة إنما هو كمثل مشروب
الكولا... يغري بأنه يروي العطشان ولكن كلما شربنا منه
ازددنا عطشنا...
كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً...
لو كانت هذه نهاية الإنسان أيها الأحباء لكنا حقاً أشقى
المخلوقات... ولكن شكراً ليسوع الذي أردف قائلا:...

ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد
بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية...
هذا هو رجاء القيامة...

صورة الفقيد على فراش الموت يهمس أنا عطشان...
لا بد أن نستبدلها اليوم بصورة أخرى...
فالفقيد قد وصل أخيراً إلى حيث النبع... نبع الماء الصافي...
هناك يجلس على صوت خرير ماءٍ يتدفق...
لم يعد الفقيد عطشانا بل أخيراً ارتوى من ماء عليل...
الفقيد اليوم راح يهمس بكلمات أخرى...
الرب راعي فلا يعوزني شيء...
في مراع خضر يربضني...
إلى مياه الراحة يوردني...
أيضا إذا سرت في وادي ظل الموت... لا أخاف شراً... لأنك أنت معي...
لذلك وفي هذه الصلاة التذكارية لا نريد أن نحزن كالباقين
الذين لا رجاء لهم...
اليوم نحن رسل بعث وقيامة...
في عالم أصبح فيه الموت يحيط بنا من كل حدب وصوب...
اليوم نحن رسل رجاء وأمل...
في عالم راح يتخبط في يأس وتعاسة وقنوط...
اليوم نحن دعاة نور...لعالم يمر في نفق مظلم لا يُرى له نهاية...

إن إيماننا أيها الأحباء ... لراسخ أن أخانا أبا سامر...
قد انتقل من الموت إلى الحياة...
ومن النفق المظلم إلى الضياء...
ومن حيث العطش إلى ينابيع الرواء...
ومن عالم الإيمان إلى عالم العيان...

لقد غاب عنا حقا... ولكنه الآن حيث المراعي الخضر...
وحيث مياه الراحة... لقد حط أخيرا في قلب الله...
أما ذكراه فستبقى أبدا حية في قلوبنا...

**آمين**

# مثل ما بده ربنا

أخانا السيد رولاند،
أخوتنا والدة وأبناء وأخوة وأقرباء الفقيدة،
أيتها الطائفة الحبيبة:

لمن فتحت أبواب الكنيسة اليوم؟
لمن قرعت أجراسها ولمن عزفت أناشيدها؟
ومن هذه التي أرى أمامي مستلقية راقدة؟
من هذه التي أراها قبالتي ساكنة وصامتة؟
أهي حقا تلك المرأة الفاضلة التي طالما شاركتنا الصلاة
في هذه الكنيسة؟
و ما لي أرى الترنيم اليوم وقد شحب وجهه، وهزل جسمه،
وانقطعت أنفاسه؟
أيا تراه يبكي هو الآخر على فقدان تلك الابتسامة العريضة
وعلى خسارة ذلك القلب الكبير؟

أحقاً رقدت عزيزتنا أم راين، أيها الأحباء،
أحقاً توفي ذلك القلب الذي لطالما خفق بدقات الحب والحنان،
حقاً رقدت أم راين، ولكن وإن ماتت فما زالت تتكلم،
حتى بعد رقادها، ما زالت تشهد لنا عن حب كبير وعن إيمان عميق.
لن ننسى أبدا تلك الابتسامة البريئة العريضة،
التي رافقت أم راين في حِلّها وترحالها،
في أفراحها وفي أتراحها...
لن ننسى أبدا تلك الكلمات العذبة التي كانت تجود علينا بها...
نشكر الله... كانت هذه دوما كلماتها...
كانت هذه كلماتها زمن العسر وزمن اليسر،
كانت هذه هي كلماتها في لبنان وفي فلسطين...

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحومة أم راين فضول بتاريخ ١٩٩١/٥/٢١.

عاشت فقيدتنا لفترة طويلة في بحبوحة من العيش، فلم تفقد تواضعها، ومرت في ضيقات كثيرة، فلم تخسر قناعتها... بل بقيت في السراء وفي الضراء، متسلحة بإيمان قوي وبحب عظيم، بقيت تلك المرأة الفاضلة التي فاق ثمنها أغلى اللآلئ.

لن ننساك يا أم راين،
لن ننسى تلك الكلمات الجميلة التي كنت تغدقين علينا بها زمن الضيق وزمن الشدة، عندما كانت الأمور تتأزم، والظلام يشتد، والأصوات تتعالى، كنت تنظرين إلينا نظرة ملؤها الصبر والمحبة والإيمان وتقولين بلكنتك اللبنانية «مثل ما بدو ربنا».

إن الجزء الأكبر من أبناء البشرية يحيون وكأنهم لا يحيون،
فزمن الفقر تراهم تعساء يحلمون بالغنى،
وزمن الصحة تراهم مستهترين لا يقدرون نعمة الصحة.

ويدور دولاب الزمان على هؤلاء ويفيقون فجأة كي يكتشفوا أن قطار العمر قد فاتهم وأن دولاب الزمان قد سبقهم.
أما فقيدتنا فلقد عاشت متمسكة بالله، متسربلة بالإيمان لذلك لم تفقد زمن الغنى تواضعها وكرمها، بل بقيت بسيطة كريمة راحت تعطي مما أُعطيت،
وفي زمن الشدة لم تخسر قناعتها ولا إيمانها ولم تبق تتحسر على ما فاتها، بل سلّمت أمرها لربها.

أجل، كانت الفقيدة مؤمنة تعلمت أن تكتفي بما عندها، لأنها كانت غنية بالله، فاستطاعت أن تحسن العيش سواء أكان ذلك زمن العسر أم زمن اليسر، زمن الضيق أم زمن الفرج.

أدركت فقيدتنا بأن الحياة صعبة وعسيرة،
لذلك راحت تجتهد في أن تجمل هذه الحياة بالمحبة والحنان والتضحية...
لذلك كنا نرى الابتسامة البريئة العريضة تغطي وجهها دائما،
فتزيل الخوف والقلق من قلوبنا.
لم تمر لحظة في حياة الفقيدة إلا وكانت مشحونة بالرقة والرأفة،
فعندما كانت الأمور تتأزم، والأصوات تتعالى والقلوب تتقسى

كانت هي تتحرك لتقرّب القلوب المتناثرة وتطبب الجراح المثخنة
ولتشع بالمحبة حيث البغض، وبالغفران حيث الإساءة وبالوئام حيث الخصام.

أجل أدركت الفقيدة، أن الحياة قصيرة وأن لحظاتها ثمينة
فراحت تفتدي الوقت، لتملأه بالإيمان وبالمحبة وبالرجاء،
فعاشت وأبدعت ورسمت لنا لوحة جميلة عن الحياة الغنية،
الوفية والسخية. حقا لقد عاشت فقيدتنا حياة قصيرة
ولكنها كانت بالمقابل ثمينة.

اليوم، يا أم راين، اليوم إذ نقف أمام جثمانك
مذهولين وغير مصدقين، اليوم إذ نقف هنا
كالحيارى لا ندري ماذا نقول، في هذه الساعة
نتذكر كلماتك التي علمتنا إياها في حياتك...
«مثل ما بدو ربنا».

بهذه الكلمات نودعك يا أم راين،
واثقين من أننا لن نتركك وحيدة،
بل نستودعك قلب ذلك المخلص العظيم،
الذي طالما ارتويت من نبع حبه،
ونستودعك تلك المشيئة الإلهية،
التي لطالما سلمت أمرك إليها.

أقول هذا وكأنني أرى أم راين تلتفت نحوي،
فيشرق وجهها بابتسامتها المعهودة، وتفتح شفتيها لتعزينا في مصابنا
وتقول:

أنا لست وحدي في الطريق — أبي يمشي معي
يحفظني من كل ضيق — يمسح أدمعي
فهو المعزي والرفيق — في ضعفي يرثي لي
يقوني يعينني — ويبقى دوما لي.

# مطران جليل

ثلاثون يوما مضت مذ رحل عنا نعيم إلى دار النعيم...
ثلاثون يوماً مرت مذ ترك المرحوم عائلته وأصدقاءه دون رفيق ولا نعيم...
ثلاثون يوماً ولّت مذ فقدنا فقيدنا وفجعنا بموت عزيزنا فافتقدناه...
إذ في الليلة الظلماء يفتقد البدر...

أجل أيها الأحباء...
إن خطبنا بوفاة مطارننا لفادح وجسيم...
وإن مصابنا بفقدانه لجلل عظيم...
فلقد امتدت يد المنون وغدرت بنا فخطفت منا أبا رؤوفاً...
غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا أخاً عطوفاً...
هبت علينا رياح الموت...
هبت علينا رياح الموت واقتلعت من بستاننا سنديانة جليلية...
وشخصية فلسطينية مرموقة... وعلماً لوثرياً أصيلاً...

إنّ منبر كنيسة الميلاد... ذلك المنبر الذي وقفت عليه الأحد تلو الآخر
مبشراً بإنجيل النعمة سيفتقدك يا نعيم...
أجراس بيت لحم التي قرعت عند دخولك وخروجك...
تبكي اليوم لوداعك يا عزيز...
أبناء هذه الرعية صغاراً وكباراً... شيباً وشباباً...
يعزّ عليهم فراقك... وسيشتاقون لسماع عظاتك...
سيتوقون للحديث معك ولرؤية محياك...

أتينا اليوم لنحيي ذكرى الفقيد الراحل...
لم نأت لنتحسر على أيام خلت أو ذكريات عصفت...
ولم نأت للنوح كما ناحت النسوة في القديم أمام القبر المظلم...
بل قدمنا لنحيي ذكرى عطرة... نحييها بالشكر وبالإيمان وبالرجاء...

---

• عظة ألقيت في جنازة المطران نعيم نصّار بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧.

فلن ننسى أتعابك علينا يا سيادة المطران...
فكم من أبنائنا عمدت...
وكم من شبابنا ثبّتّ...
كم من عرساننا كلّلت...
وكم من أمواتنا أبّنت ودفنت...
كم من جلسات لعمدة ولمجمع ومجلس ترأست...
وكم من رحلات للشبيبة وللعائلات نظّمت...

كثيرة هي الجمعيات الخيرية التي أسست
كمدرسة الأمل... وبيت النور وكلية الكتاب المقدس...
وكثيرة هي البيوت التي عمّرت...
كبيت الراعي وبيت أبي جبران في بيت لحم وبيت المطران في المدينة المقدسة.

لقد كنت حاضرا معنا في السراء وفي الضراء...
رافقتنا في المرض والصحة...
بكيت مع الباكين وفرحت مع الفرحين...
زرت المرضى والمتعبين... وصلّيت مع الضعفاء والتائبين...
وها أنت اليوم تتركنا وفي قلوبنا غصة وفي حناجرنا حسرة ونوح وأنين...

ولكننا لم نأت اليوم لنتحسر بل أتينا كي نكرم ذلك الرجل العظيم
ولا نريد له التكريم بعد مماته فحسب، بل وإبان حياته أيضا
فلم يكن من قبيل الصدفة أن أطلقنا في العام الأول بعد الألفية الثانية
اسم أحد أكبر القاعات عندنا على اسم مطراننا «نعيم نصار»...

ولم يكن من قبيل المجاملة أن تنشر هذه الرعية اللوثرية البيتلحمية
أولا باقة رائعة من عظات راعيها في كتاب «عظات من بيت لحم»
ومن ثم سيرة حياته تحت عنوان «أب اليتامى» والذي سنوزعه
بعد حفل التأبين إجلالا للراحل وتكريما لذكراه.

أرادت هذه الرعية أن تقدر مطرانها بعد تقاعده وهو بعد على قيد الحياة...
أردنا أن يسجل بيراعه قصة حياته... وأن يدون بقلمه تاريخ كفاحه...
أردناه أن يجمع أجمل عظاته...كي تبقى مدونة لأبنائنا ولأحفادنا...
وكي لا ننسى مسيرة عطائه السخي وحياة البذل والكرم والعطاء...

لم تكن مسيرته سهلة دون صراعات...
وكان يذكرنا دائماً أنه يوم رسامته قسيساً...
قدم له زميله وسلفه الطيب الذكر المرحوم الياس شحادة...
أمام الملا علبة من أقراص الأسبرين
تذكيراً له بأن الخدمة في الكنيسة كثيراً ما تصيب رأس الراعي بالصداع...
ولكنه قبل هذا التحدي وكرس النفس لخدمة الباري وعلى هذا نشكر الله...

أجل لم يكن طريق راعينا مفروشاً يوماً بالورود
بل كان محفوفاً بالمرض وبالأخطار...
فلقد انسلّ إلى جسده مرض عضال وهو مازال في ريعان الشباب...
ولكنه قاومه بالإيمان وبالصلاة

أجل لم تكن سنون حياته الأخيرة بلا كفاح ولا أوجاع
فرأينا ذاك الذي تعودناه يسير الهوينى...
رأيناه يمسك بيده العكاز...
وذاك الذي أحب قيادة السيارات أضحى لا يقوى إلا على الجلوس في المقعد
ليُنقل محمولا على الأكتاف...
ولكنه ورغم هذه كلها بقي يشكر الله على نعمه وعلى عطاياه...
ولا أظنها من قبيل الصدفة أن اتصل بي يوم السبت الثاني من شهر
أكتوبر وقبل أن يدخل إلى المستشفى بيوم واحد ليقول لي:
أود أن آتي غدا إلى الكنيسة لأحتفل معكم بعيد الشكر...
وكأنه أراد أن يقضي يومه الأخير مع الأحبة في ربوع الكنيسة ومع جموع المثبتين... وكأنه أحس بأجله يقترب... أراد أن يرجع إلى أحضان المدينة التي احتضنته وإلى رحاب الطائفة التي أحبته... رجع أخيراً كما ترجع طيور اللقلق إلى أوطانها في الميعاد...

يومه الأخير هنا في بيت لحم... قضاه في الصلاة...
اشترك معنا في العشاء الأقدس... كما وبقي معنا في العلية لحفل الغداء...
وعندما أراد الوداع... طلب مني أن يلقي نظرة على القاعة التي تحمل اسمه
ولكن لم يكن باستطاعته نزول الأدراج. فقال وفي صوته نبرة حزن
«خلص... للمرة الجاي...» ولم نكن نعلم عندها أن هذه كانت لحظات الفراق وأنه
جاء إلى بيت لحم ليلقي عليها نظرته الأخيرة
وكأنه عزم قبل أن يتركنا أن يلقي علينا تحية الوداع.

أجل لم نأت إلى هنا لنسترسل في أحزاننا كالباقين الذين لا رجاء لهم...
بل على العكس تماماً إنما أتينا على رجاء القيامة بالحياة الأبدية...
في إحدى عظاته التي ألقاها من على منبر كنيسة الميلاد كتب الفقيد الراحل
أن المؤمنين إذ يودعوا هذا العالم إنما لسان حالهم يقول:

فرحاً فرحاً أمضي إلى المسكن المنير بالشوق إلى المجد العظيم
شوكة الموت قد داس المسيح ربنا ساحقاً باب الضريح
مات عني لأحيا في حماه فرحا فرحا عيني تراه.

وكأني أراه يخاطبنا بهذه الكلمات والبسمة تعلو محياه.

أجل، لم نأت إلى هنا إلا لنشكر...
نشكر الله على إيمان المرحوم الراسخ، وعلى رجائه الأكيد.
والآن إذ أتت الساعة كي نودع الراحل على هذا الرجاء...
دعونا نقولها وبلا مقدمات... سنفتقدك ...
إذ لا ينقص عالم اليوم عظماء ولا أغنياء...
بل ما ينقصنا هو مثل هذا الإيمان...

دعونا نقولها وبلا مواربات...
سنحن لذلك الصوت الدافئ... الذي كان يجلجل من على
المنبر بالوعظ، بالصلاة وبالإرشاد...
الآن نقولها وبلا مجاملات...
سنشتاق للجلوس مع ذلك الراعي...
ساعة الظهر في بيته... أو قبل الغروب مع الأصدقاء...
ولكن إيماننا أيها الأحباء ، أن مطراننا الراحل
قد انتقل من الموت إلى الحياة
ومن النفق المظلم إلى الضياء
ومن عالم الإيمان إلى عالم العيان...
لقد غاب عنا راعينا... ولكنه الآن حيث المراعي الخضر...
وفي رحاب راعينا المسيح...
لقد حط رحاله أخيرا في قلب الله...
ولكن ذكراه العطرة ستبقى حية في قلوبنا أجمعين.

**آمين**

# من معالم بيت لحم

أيها الأحباء أسامة، هاني، سمير،
هالة، حياة، وليلى،
شقيق الفقيد وأنسباءه،
أيها الأحباء في الرب،

يغيب اليوم عنا أخ عزيز، وأب حبيب وابن شنلري أصيل...
بل لا أبالغ إن قلت أننا نفقد اليوم بموته معلماً من معالم بيت ساحور بل ومنطقة بيت لحم برمتها...
فأبو أسامة ذلك الإنسان ذو العود الرفيع،
أبو أسامة ذلك الإنسان المعدم الفقير،
أبو أسامة ذلك الإنسان العزيز،
كان معلماً مميزاً على شوارع مدننا...
فمن منا شيباً أكان أم شباباً لا يعرف أبا أسامة...
من منّا لم يره يجوب شوارع المدينة وأزقتها، حاملاً على كتفيه دزينة من عصي المقشات ، بينما تتحسس يداه الطريق أمامه كي لا يصطدم بحجر رجله...
مَن من الكبار لم يشتر يوماً مقشة من أخينا عفيف؟

من منا لم يره في سهل بيت جالا، أو أزقة بيت ساحور، أو على شارع المدبسة متجولاً يبيع بضاعته... لم يكن الفقيد من أولئك الذين راحوا يرفعون الصوت كالباعة المتجولين، بل كان يسير بصمت لا يسمع له صوت، ولايحدث ضجيجاً، بل يسير ولايتوقف إلا إذا نادته إمرأة أو أوقفه رجل يريد الشراء من بضاعته...
أجل يغيب اليوم عنا معُلم من معالم هذا البلد، معلم أعطى صفة مميزة لشوارع منطقتنا طوال قرن إلا نيف... فلقد ولد الفقيد في مدينة بيت ساحور قبل الحرب العالمية الأولى بسنتين، في عصر كانت الأمراض ما زالت تقتل آلافاً من أبناء شعبنا، والجوع والفقر سمة من سمات مجتمعنا...
وخسر الفقيد نظره في صغره...

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم عفيف حنونة بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢٦.

ومن ثم أدخل إلى أحد الأديرة كي تعتني الراهبات به، ولكن الحياة في الدير لم تكن تعجبه، فتركه... وذهب من هناك إلى مدرسة الأيتام السورية، أو ما كان يعرف بمدرسة شنلر... حيثا انضم هناك إلى قسم المكفوفين وتعلم مهنة صناعة المقشات وكراسي القش حيث اتقنها واعتاش منها واعتاد عليها .
أعجبني في الفقيد أمور ثلاثة:

١. آمن الفقيد بأهمية العمل للإنسان أياً كان وضعه المادي أو الجسدي أو النفسي... وآمن أنه بعرق جبينك تأكل خبزك... كان بإمكان الفقيد أن يجوب الشوارع يستجدي حسنة من الناس المحسنين، أو كان بإمكانه أن يجلس يستجدي صدقة، شفقة بحاله، ولكنه رفض الاستجداء، أو طلب المعونة... والحق يقال: إنه وطوال العشرين سنة الماضية لم أره يوماً يأتي يطرق الباب ويسأل صدقة... مع أن الكثيرين غيره من المبصرين، والأحسن حالاً كانوا يأتون ويطلبون مساعدة... أبو أسامة لم يطلب يوماً مساعدة من أحد حتى من أقرب المقربين إليه... كانت له عزة نفس وأباء لم أرها عند الكثيرين...لم تكن مهنة عفيف بالسهلة... ففي الشتاء القارص كنت ترى أبا أسامة يجوب الشوارع يبيع البضاعة، وفي الصيف الحار وتحت أشعة الشمس الحارقة كنت تراه يصعد الجبال علّ وعسى أن يجد من يشتري منه مقشة ببضعة شواقل... أجل ، آمن الفقيد أن الحياة ممكنة حتى مع الإعاقة، وأن العيش بكرامة هي الأفضل للإنسان في كل الأحوال.

٢. أعجبني في الفقيد حبه للعلم... أذكر أنني سألته يوماً لماذا لم يُعجب بالحياة في الدير... فقال: "كانوا يظنون أنني أطلب مكاناً أنزوي فيه ومن ثم آكل وأشرب وألبس وأصير عالة على المجتمع... ولكنني كنت أريد أن أتعلم مهنة، صنعة، وهذا ما وجدته عند شلنر،أجل كان الفقيد يعشق العلم... وأذكر في آخر مرة زرته قبل حوالي ٣ أشهر أنه قال لي:" كانت أمنيتي أن أعلم أبنائي، بل كنت مستعداً أن أعمل ليل نهار كي ينهلوا من العلم ما يحلو لهم... بل إنني كنت مستعداً أن أسفرهم إلى ألمانيا بشرط أن يتعلموا... أجل كان الفقيد محباً للعلم وكان مستعداً لأن يضحي بأغلى ما يملك حتى يتعلم أبناؤه فيفلحون...

٣. اعجبني في الفقيد إنتماؤه الصادق إلى الكنيسة... لا يخفي على أحد أن الكثيرين من العائلات في بيت ساحور انضمت للكنيسة اللوثرية في وقت من الأوقات... ولكن ما هي إلا سنوات حتى كان هؤلاء يعودون إلى كنيستهم...
أما أبو أسامة فلم يكن من هذا النوع... فارتباطه بالكنيسة اللوثرية لم يكن ارتباط مصلحة، ولم يكن موقفه موقفاً وصولياً، بل كان عن اقتناع وسبق

إصرار وإيمان... أذكر مثلاً عندما توفيت زوجته قبل بضعة سنوات وحاول البعض إقناعه بأن يصلي عليها في كنيسة أخرى... إلا أنه رفض... كما وأوصى قبل مماته ألا يدفن إلا في مدفن الكنيسة اللوثرية، حتى ولو كان هذا في بيت لحم... أجل كان انتماء أبي أسامة انتماءً أصيلاً لم أجد مثله عند الكثيرين...

أجل أيها الأحباء، كان رحمه الله كفيف البصر، ولكنه كان بالمقابل نير البصيرة... آمن أن الإنسان لا يأخذ من متاع الدنيا شيئاً، لذلك عاش يومه لآخرته... واستثمر وقته في الجد والعمل كيلا يحتاج لأحد، كما وتمسك بالإيمان حتى النهاية وآمن أن الإنسان موقف وأن الثبات على الإيمان إلى النهاية هي الطريق الصحيح...

إذ أتت الساعة لنودع الفقيد الراحل،
إنما نستودعه رحمة ونعمة ومحبة ذلك الإله الذي تمسك به الفقيد في حياته...
سيغادر الفقيد هذا العالم خالي اليدين، ليجد كنزاً لا يفنى ينتظره هناك...

أجل أبا أسامة، لاتخف أن تخطو الخطوة الأخيرة
فلقد جبت البلاد شرقاً وغرباً وقد أتت الساعة لتجد الراحة الأبدية...
أقول هذا وكأني أسمع الفقيد يرنم فرحاً:

وعندما أتى إلى نهاية المطاف — في رفقة الفادي الغني
ربي راعي الخراف
مادام ممسكاً يدي — إذاً فلن أخاف
وعندما أتى إلى — نهاية المطاف
سأدخل حمى أبي — سأدخل هناك
سأمشي معه في السماء — وهو يمشي معي
كما مشى معي هنا — يمشي معي أيضاً هناك
وجهاً لوجهه سأراه — وجه أبي الحبيب
في حضنه للأبد — أبقى دوماً هناك
أبقى دوماً هناك... أبقى دوماً هناك...

بهذا الرجاء الثابت نتقدم من أبناء الفقيد ومن كريماته وعائلته بعزاء القيامة للحياة الأبدية.

**آمين**

# نصف جبيل

**يوحنا ١٢ : ٢٤**

**هذا الأحد هو الأحد الأول في الآلام**
**فالأربعاء الماضية كانت أربعاء الرماد... بداية هذا الفصل في السنة الكنسية والذي يسبق عيد القيامة بأربعين يوماً... ودرب الآلام الذي يبدأ اليوم هو ما يميز المسيحية عن أكثر الأديان بل كل الأديان الأخرى... فالأديان تقول: الله تعالى... والمسيحية تقول: الله تنازل... تجسد... آخذاً صورة عبد صائراً في شبه إنسان... الأديان تقول: الله تعظّم... والمسيحية تقول: الله تعذّب... وجرب... تألم... وعلّق على الصليب وكأنه مجرم من المجرمين... ويسوع يقول: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير... وهذا ما جاهر به شاعرنا محمود درويش عندما أنشد: وحبوب سنبلة تموت... ستملأ الوادي سنابل... وحبوب سنبلة تموت... ستملأ الوادي سنابل... ما أن تناهى إلى مسامعي خبر وفاة أخينا الطيب الذكر سميح مسلم إلا ولمعت في مخيلتي كلمات يسوع عن حبة الحنطة... فلقد ولد المرحوم سميح في ١٩٣٠/٧/٧ في بلده نصف جبيل... (واليوم أرى أمامي تجمعاً كبيراً لأهالي نصف جبيل لذلك سأركز الأنظار قليلاً على هذه البلده). تلك البلده الوادعة التي تشكل التوأم لمدينة سبسطية... فسبسطية كانت لما يزيد عن ألف سنة عاصمة مملكة الشمال. أما نصف جبيل فكانت تمد العاصمة بما يلزمها من زيت وزيتون. ومن تين وبرقوق... ومن قمح وحبوب... وحتى بعدما دمرت الاحتلالات المتعاقبة سبسطية العاصمة... بقيت نصف جبيل راسخة مكانها كشجر الزيتون الذي يطرز أراضيها. وهكذا بقيت حتى منتصف القرن التاسع عشر... قرية صغيرة وادعة تأكل مما تزرع وتلبس مما تنسج... هكذا كانت نصف جبيل عبارة عن مجموعة من البيوت القديمة... تعد على أصابع اليد. هكذا رآها القس الإنجيلي اللماني الأصل كريستيان فلايشر(اللحام) عندما وطن أرضها عام ١٨٦٤. ولم يكن من قبيل الصدفة أن هذا القس الألماني(من مدينة أسلينجن) في نواحي شتوتجارت بجنوبي ألمانيا... والقس صموئيل موللر الذي أسس كنيستنا الإنجيلية اللوثرية في بيت لحم... والآب يوهان لودفيك شنلر مؤسس دار الأيتام السورية... هؤلاء

---

* عظة ألقيت في جنازة المرحوم سميح مسلّم بتاريخ ٢٠١١/٣/١٣.

الثلاثة إنما كانوا من نفس المدرسة وطلاب لأحدى أهم الإرساليات الإنجيلية في أوروبا ألا وهي مدرسة St. Chrischona بالقرب من مدينة بازل السويسرية... أقول هذا لأؤكد أن الرابط بين قرية نصف جبيل وبيت لحم كان أقدم مما نظن أو نعتقد. وترجع إلى مئة وخمسين سنة خلت. وهناك شيء آخر ربط بين نصف جبيل وبيت لحم... إذ كان المطران صموئيل غوبات هو الذي أسس مدرستنا اللوثرية هنا في بيت لحم وهو أيضاً الذي أسس في نصف جبيل مدرستين صغيرتين واحدة للشباب وأخرى للبنات وأوكل مسؤولية إدارتها للقس فلايشر .Fleisher ويبدو أن عائلة مسلم كانت من أوائل العائلات الإنجيلية في نصف جبيل... كما كان أول مدير عربي للمدرسة الإنجيلية هناك الأستاذ داود أبو مسلم والذي تخرج من دار المعلمين في مدرسة شنلر عام ١٨٧٣. إذن ولد المرحوم سميح لعائلة إنجيلية عريقة... ولكنه كان من الرعيل الأخير الذي ولد في قرية نصف جبيل، إذ لم يكن قد تبقى في القرية سوى سبعة من الإنجيليين... أما الباقون فكانوا قد تركوها... طلباً للعلم... أو سعياً وراء العمل.. فالمدارس الإنجيلية شكلت رافعة نقلت المجتمع الفلسطيني من الزراعة إلى الصناعة والتجارة والتعليم...

فلا عجب أن يلتحق المرحوم بمدرسة المطران في القدس والتي دعيت تكريماً للمطران صموئيل غوبات الذي أسسها، وبعدها إلى المدرسة الأمة في بيت لحم خاصة بعد أن كانت عائلة شحادة الخوري النصف جبلية الأصل قد انتقلت للسكن في منطقة بيت لحم. وما أن أكمل سميح دراسته الثانوية إلا وكانت النكبة، ولكن كانت قنوات كثيرة بواسطة الاخاد اللوثري العالمي قد فتحت إلى الولايات المتحدة. فترك المرحوم ورحل إلى الولايات المتحدة طلباً للعلم... حيث درس هندسة البترول والهندسة المدنية... وكانت أمريكا في أوج عظمتها بعد أن دمرت أوروبا نفسها في الحرب العالمية الثانية. كما كانت أمريكا في أوج موجة توسعها... لذلك كانت بحاجة إلى أيدي عاملة وعقول متعلمة خاصة تلك الناطقة بالعربية... لذلك ما أن أنهى المرحوم دراسته إلا وتلقفته الشركات الأمريكية وأرسلته إلى تنزانيا أولاً ومن ثم إلى السعودية حيث بقي هناك حتى منتصف السبعينيات. ولكنه مثله مثل يعقوب... فعندما فكر في الزواج... رجع يبحث عن رفيقة له من طين بلاده... بل ومن العائلة نفسها حيث تزوج بساميه مسلم في تشرين أول من عام ١٩٦٣، حيث رزق منها بابنين: رامي ورمزي. وبعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد أزمة النفط، رجع المرحوم ليستقر في ولاية New Jersey الأمريكية... وبعد تقاعده كان يطل علينا في زيارات للأهل... وما من زيارة إلا وأتى فيها للتعبد والصلاة معنا... وقد وافته المنية في الأسبوع الماضي حيث ووري جثمانه التراب بالأمس.

إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها... ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. .. تذكرت هذه الآية وأنا أتأمل في مصير نصف جبيل... إذ لم يبق فيها اليوم سوى عجوزين من دار مسلم. نصف جبيل قرية مسيحية اندثرت. أو شارفت على الاندثار... أو ربما نصف جبيل كانت حبة الحنطة التي وقعت في الأرض الطيبة و ماتت ولكن لا لتبقى وحدها بل لتأتي بثمر كثير... أجل اندثرت الكنيسة الإنجيلية في نصف جبيل... ولكنها قبل أن تندثر كانت قد ملأت العالم سنابل... منها خرج كوكبة من الرعاة الإنجيليين... منها خرجت أعداد لا بأس بها من المعلمين... منها خرج الأطباء والسياسيين... أجل... حبة حنطة تموت... ولكن لتملأ الوادي سنابل... واليوم نودع سنبلاً ولد في نصف جبيل ولكنه ملأ تنزانيا والسعودية وأمريكا سنابل... في فترة الآلام هذه دعونا نمجد ونسبح حبة الحنطة الحقيقية التي وقعت في الأرض الفلسطينية... وماتت في المدينة المقدسة خارج الأسوار... لتملأ العالم بالشرارة المسيحية... لتعطينا براً وقداسةً وشهادة. أجل حبوب سنبلة تموت... ستملأ الوادي سنابل... فللفقيد الرحمة ولعائلة مسلم ومعلم وخضر وأنسبائهم وأقربائهم طول العزاء.

آمين

# نقاء البصيرة

أختنا السيدة كلير،
أخوتنا أقرباء الفقيد وأنسباءه،
أيتها الطائفة الحبيبة!

لمن فتحت أبواب الكنيسة اليوم؟
لمن قرعت أجراسها ولمن عزفت أناشيدها؟
ومن ذا الذي أرى أمامي مستلقياً راقداً؟
من ذا الذي أرى قبالتي ساكناً صامتاً؟

أهو حقا ذلك الإنسان العظيم الذي لطالما هز جدران
هذه الكنيسة بصوته العذب الرخيم؟
ومالي أرى الترنيم اليوم. وقد شحب وجهه وهزل
جسمه وانقطعت أنفاسه؟
أيبكي هو الآخر على فقدان ذلك الصوت الجميل؟

أجل أيها الأحباء، رقد عزيزنا أبو إيليا...
ولكنه وإن مات لم يزل يتكلم!
وإن صمت فحياته ما زالت تتكلم،
حتى بعد موته فهو ما زال يشهد لنا
عن حب كبير وعن إيمان عميق.

حقا لم يتمكن النور من أن يتسلل إلى عينيه
ولكن يكفيك ذلك النور الساطع الذي كان يسطع من عينيه،
يكفيك ذلك الضوء اللامع الدافئ الذي كان يشع من قلبه.
كثيرون هم المبصرون في هذا العالم ولكن ما أقل أولائك
الذين يبصرون بقلوبهم ويشعرون بإيمانهم.
كان رحمه الله من أولائك القلائل.

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم سالم هنديلة ( أبو إيليا) بتاريخ ١٩٨٨/٢/١٠.

عرفت أبا إيليا وكنت وقتئذ في العاشرة من عمري.
كان موعدنا صباح كل أحد في العاشرة إلا عشر دقائق أمام
بوابة الكنيسة السفلى. كان رحمه الله دقيقاً في مواعيده، لا أذكر
أنه أخلف يوما موعدا، بل كان يواظب على الحضور إلى الكنيسة،
و الخدمة الأحدية سيّان عنده الفصل أصيفا كان أم شتاء،
وسواء أكان عنده الجو حارا أم باردا.

كنت ألقاه هناك فأمسك بيده وأقوده عبر سلالم الكنيسة
لإجلسه في مقعده المفضل في الزاوية اليسرى من هذه الكنيسة.
كنت أظن طوال الوقت أنني أنا الذي كنت أقوده،
ولم أحسب يوما أنه هو الذي كان يقودني. حقا لقد كنت أصعده
السلالم الحجرية ولكنه كان بالمقابل يصعدني سلالم روحية
إذ تعلمت منه أشياء كثيرة، علمني ومن دون أن أدري أن
أواظب على الكنيسة، علمني أن أحب الكنيسة وان أخدم الكنيسة.
حقاً لقد كان رحمه الله كفيف البصر، ولكنه كان بالمقابل بعيد النظر.
عاش في الدنيا لآخرته.

مضت الأيام، ومرت الأعوام وأنا وأبو إيليا على موعدنا صباح كل أحد.
ولكن وفجأة انقطع أبو إيليا عن الحضور. عجبت وأدركت أنه
لا بد أن يكون هناك سببا وراء غيابه. وصعقت إذ علمت
انه أصيب بفالج ألزمه السرير.
وعندها صرخت! إلهي، ألا يكفي أنه كفيف البصر، أيصبح أيضاً
طريح الفراش؟ وهل لديه القوة الكافية لتجربته كما جربت عبدك أيوب؟

وانتابني شعور بالخوف على أبا إيليا: تساءلت:
هل سيبصر يا ترى، كما أبصر من قبله أيوب؟
هل سيبقى متمسكا بدقة إيمانه رغم العواطف والأمواج الشديدة
التي كانت تضرب سفينته؟

وكم من الأشخاص ضلوا طريقهم بسبب مرض أصابهم؟
كم من الأشخاص فقدوا رجاءهم بسبب مكروه إعتراهم؟
كم من الأشخاص أستسلموا لليأس والقنوط ولم يصبهم
عُشر ما أصاب أبو إيليا؟

فظللت أتردد بيت فقيدنا ولكنني لم أسمعه مرة
يتذمر من وضعه أو يتأفف من مرضه، لم أره يوما مستسلما لقدره.
بل بقي رغم ألمه ورغم مرضه ثابت العزم، عميق الإيمان، قوي الرجاء،
بقي أبو إيليا مطمئن القلب لأن يدا علوية كانت تمسك بذراعه،
وكأن لسان حاله يكشف ذلك السر من وراء قوته إذ يقول:

أنا لست وحدي في الطريق أبي يمشي معي
يحفظني من كل ضيق يمسح أدمعي
فهو المعزي والرفيق في ضعفي يرثي لي
يقويني يعينني ويبقى دوما لي

أنا لست وحدي في الطريق أبي يمشي معي
لن أرهب ولن أضيق برغم أدمعي
لن أمشي وحدي في الطريق لن أخطو أو أسير
إلا وهو يمشي معي وهو يمشي معي.

أجل أيها الأحباء، كان رحمه الله يملك زادا خفيا
أبقاه غنيا حتى في كبره.
قلت: كان أبو إيليا كفيف البصر ولكنه كان بعيد النظر.
فمنذ صغره ومنذ أن كان طالبا في مدرسة دار الأيتام السورية في القدس
كان جادا يجمع لنفسه كنوزا لا تفنى.
لم يجمع الأموال الطائلة إذ علم أنها فانية
ولكنه جد في حفظ آيات الكتاب المقدس وجمعها.
وكأنه ببعد نظره قد أدرك أنه ستأتي الساعة من الساعات
لن تفيده فيها أموال ولن تعزيه، وكانه أدرك أنه ستاتي
ساعة لن يجد فيها من رفيق سوى كلمات مخلصه المحبوب.
هذه الكلمات التي كان أبو إيليا يرددها في قلبه،
هذه كانت السر وراء قوته.

لذلك لا تخف يا أبا إيليا، لا تخف أن تواجه الموت،
بل تقدم إلى الأمام، تقدم بخطى ثابتة.
حقا أننا لن نستطيع أن نرافقك في هذه الطريق
ولكن ذلك المخلص الذي مات من أجلك سيقودك في موتك.
وذلك المخلص الذي عشت من أجله سيحييك رغم موتك.

لا تخف، فلن تدخل عالما مجهولا لديك، بل ستعود إلى موطنك الأصلي، ستعود إلى موطنك السماوي، ذلك الوطن الذي بقيت متمسكا بالانتماء إليه طوال حياتك...
لن تدخل بيتا غريبا، بل ستدخل بيت أبيك السماوي.
إفرح، لأنه قد جاءت تلك الساعة التي طالما أنتظرتها.
ستنال الآن ما كنت تصبو وتشتاق إليه.
ستحظى برؤية مخلصك وجها لوجه.

أقول هذا وكانني أرى أبا إيليا، يلتفت نحوي فيشرق وجهه وتتحرك شفتاه فينشد:

وعندما آتي إلى نهاية المطاف
في رفقة الفادي العظيم ربي راعي الخراف
ما دام ممسكا يدي إذا فلن أخاف
وعندما آتي إلى نهاية المطاف
سأدخل حصن أبي سأدخل هناك
سامشي معه في السما وهو يمشي معي
كما مشى معي هنا يمشي أيضا هناك
وجها لوجه سأراه وجه أبي الحبيب
في حضنه إلى الأبد أبقى دوما هناك.

# وإن مات فما زال يتكلم

**عبر: ١١: ٤**

**الأخوة السادة صليبا، ورولاند وموريس**
**الأخوات ليلى، نادية، أقرباء الفقيد وأنسباءه،**
**أيها الحفل الكريم...**

**لمن قرعت أجراس الكنيسة اليوم. وما لرنينها يقطر حزنا وألما؟**
**لما اجتمع رجالات بيت لحم الآن، وما بهم ممتلئين صمتاً ووجعاً،**
**ألعلهم أحسوا بفقدان عزيزنا، فأتوا لوداعه وأحياء ذكراه؟**

**إن خطبنا بفقدان أخينا أبو صليبا لفادح وعظيم،**
**وإن مصابنا به لجلل وعميق...**
**فلقد امتدت يد المنون وغدرت بنا فخطفت منا أبا جليلاً...**
**غافلتنا رحى الدهر ودارت علينا فسرقت منا ذخرا ثمينًا...**
**هبت علينا رياح الموت فاقتلعت من وسطنا علماً لوثرياً أصيلاً...**

**أجل رقد عزيزنا أبو صليبا. ولكنه وإن مات فلم يزل يتكلم،**
**وإن صمت لسانه، فسيرته ما زالت ناطقة بليغة حتى بعد وفاته،**
**ما زالت حياته معبرة شاهدة،**
**ولد الفقيد سنة ١٩٢٠ في مدينة القدس، ومن ثم درس في**
**مدرسة شنلر في القدس (دار الأيتام السورية).**
**وفي مدرسة شنلر رضع الفقيد الإيمان زاداً،**
**وتسلح بالمهنة ترساً، وتزيّن بالمبادئ الإنجيلية تاجاً مرصعاً...**
**أجل رضع الفقيد الإيمان زاداً فتثبت عند الأب شنلر**
**سنة ١٩٣٢ لينضم إلى صفوف الكنيسة اللوثرية،**
**هناك تعلم أن الإيمان مواظبة ومسؤولية، فبقي طوال حياته يواظب**
**على الكنيسة الأحد تلو الآخر لا يرهبه حر ولا يثنيه برد.**

---

• عظة ألقيت في جنازة المرحوم أبو صليبا (عوض فضول) بتاريخ ٢٥/ ٩/ ١٩٩٤.

وأدرك أن الإيمان انخراط في العمل من أجل الكنيسة.
فسرعان ما انضم إلى عمدة كنيسة الميلاد، وخدم من موقع
المسؤولية سنين عديدة، بل وكان رحمه الله عضواً
في مجمع الكنيسة وجهازها التشريعي.
لم يكن الفقيد ينظر إلى الانخراط في العمل الكنسي
كمنصب وكرسي عليه أن يتبوأه، بل نظر إليه كوسيلة للخدمة،
لخدمة الكنيسة والعناية بأفرادها...
لذلك كنت تراه دائم الحركة، يعمل بلا كلل ويخدم بلا ملل
عند الممات وفي الجنازات كنت تراه زنبرك الحركة،
ينظم الصفوف، ويجند المتطوعين، ويرابط عند المحزونين...
وفي الأفراح كنت تراه بابتسامته العريضة يضفي
على الحفل أجواءً من الفرح والسرور.
وفي الأعياد كنت تراه يركض يزور العائلة تلو الأخرى
فيبتدئ بالشيوخ والأرامل والمحتاجين.

تسلح الفقيد بالمهنة ترساً، فبعد أن تخرج من قسم
الحدادة من دار الأيتام السورية سنة ١٩٣٦،
راح يعلم في مركز التدريب المهني في قلنديا،
حيث قضى هناك ٢٩ سنة خرّج فيها أجيالاً وأجيالاً...
بل وأبدع في مهنته فكان أول من ركب وشغل مولدات
الكهرباء وموترات الماء في منطقتنا. وكأنه أدرك أن لا
سبيل للنهوض بالمجتمع إلا بالعمل الدؤوب وتطويع
الصناعة لبناء عالم متقدم ومتطور.
وتزين الفقيد بالمبادئ الإنجيلية تاجاً مرصعاً،
فرفض الانجرار وراء الخرافات، كما ورفض
الانصياع للتقاليد الوثنية والخزعبلات، بل تمسك بالفكر
الإنجيلي نوراً في وجه الظلام، ولبس الوعي اللوثري
ترساً يقيه من حراب الأوهام. وما زلت أذكر
ذلك اليوم قبل ما ينيف عن السنة عندما زارنا المرحوم
وزوجته وكأنه أراد أن يودع عائلته وطائفته ووطنه
الوداع الأخير، ما زلت أراه أمامي يقف في مقدمة
الكنيسة معترفاً جهارة بأنه يفتخر بانتمائه لهذه الطائفة،
وبأن عضويته في هذه الكنيسة عنت له الكثير... الكثير...

أجل رقد عزيزنا أبو صليبا. ولكنه وإن مات فلم يزل يتكلم.
تركنا أخونا في زمن أضحى فيه الإيمان سلعة مفقودة.
ودعنا في عصر صعب ووقت عصيب فافتقدناه.
إذ في الليلة الظلماء يفتقد البدر.
ولا أراها من مفارقات الصدفة أن يودعنا أخونا
في الأسبوع الأول بعد القيامة. وأن يدفن هذا
الأحد. المدعو بالأحد الجديد. وكأني أحسب
المرحوم وقد اختار هذا الأحد ليعيد إلى أذهاننا
قراءة الرسالة التي تقول: مبارك الله الذي حسب رحمته
الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي. الميراث لا يفنى ولا
يتدنس ولا يضمحل. محفوظ في السموات لأجلكم...

أجل. كأني أرى أبا صليبا ينظر إلينا ويقول: تبارك الله
الذي حسب رحمته الكثيرة أعطاني أن أعيش خمسة وسبعين
عاماً مليئة بالخير والعطاء...

أجل. كأني أسمعه يخاطبنا ويردد على مسامعنا.
بأن هناك رجاء حياً بقيامة يسوع المسيح من الأموات.
فلقد جاء المسيح وبموته وبقيامته أكد لنا بأن وراء الغروب
شروق أبدي. وأن الموت ما هو إلا باب لخلود أزلي.

أجل يولد الإنسان ليموت. ولكن في المسيح يموت
الإنسان ليولد من جديد. فلقد قام المسيح
من بين الأموات وداس الموت بالموت.
ووهب الحياة للذين في القبور...

بهذا الرجاء الحي وبهذا اليقين الأكيد
تسلح المرحوم في حياته وها هو يتسلح به في مماته...
لأن الفقيد تمسك بهذا الرجاء الحي في وجه الخزعبلات.

أحب ترنيمة معينة حباً شديداً.
وكأني أراه اليوم يقف في وسطنا. مشرق الوجه.
منشداً ومردداً:

خذ بيدي وقدني كما تشا
حتى أرى في ليلي نور السما
يسوع سر أمامي فاتبعك
وحيثما تسر بي أنا معك
في الضعف قو عزمي برحمتك
فيستريح جسمي بنعمتك
كل اتكالي دوما ربي عليك
أبيت مطمئنا بين يديكا

أخوتي الأحباء، أهل الفقيد وأقرباءه وأنسباءه.
هذا هو إيماننا الإنجيلي. وهذا هو عزاؤنا المسيحي،
فعلى هذا الرجاء نستودع الفقيد رحمة الله
سائلينه أن يمنحكم جميعاً من بعده طول العمر
وأن يلهمكم الصبر والسلوان.

# محطات

# الراعي والرعية

**٢كو١: ١٨-٢٢**

رسالة اليوم تتمحور حول موضوع هو غاية في الأهمية. ألا وهو علاقة الرسول بالكنيسة، وعلاقة الراعي بالطائفة. ولفهم هذه الرسالة لابد أن نرجع إلى الوراء قليلا لنفهم السياق التاريخي لهذه الرسالة.

بولس كان قد أسس الكنيسة في مدينة كورنثوس إبّان رحلته التبشيرية الثانية حوالي عام ٥٠ ميلادي... وكانت هذه الكنيسة فتية، شابة، نجد فيها غيرة مسيحية حقيقية... المسيحيون هناك راحوا يتساءلون وبحق كيف عليهم أن يسلكوا ويعيشوا بعد أن تنصروا... أرادوا أن يفهموا مفهوم الزواج والطلاق في المسيحية، وعلاقتهم بجيرانهم من الديانات الوثنية الأخرى، أو باليهودية وللأجابة على هذه التساؤلات كتب بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس...
ولكن ما أن ترك بولس كورنثوس إلا وزارها مبشرين آخرين حاولوا أن يحرضوا الطائفة ضد رسولها بولس... وقد كان وراء هذه المحاولة مبشر اسمه أبولوس... وكانت النتيجة أن حصل انقسام في الكنيسة...

البعض ظل مخلصا لبولس، أما آخرين فانقسموا إلى جماعة أبولوس... فثارت ثائرة بولس فتسائل: من هو بولس ومن هو أبولوس؟ أليسا خادمين آمنتم بواسطتهما؟ لايجوز أن تكون هناك أحزاب مرتبطة بأشخاص داخل الكنيسة... لأن بولس وأبولوس وأي راعٍ آخر إنما هم خدام للّه... وهو صاحب ومؤسس الكنيسة الأول والأخير...

بولس كتب رسالته الأولى بهذا المضمون وأرسلها إلى كورنثوس واعداً إياهم بأن يزورهم شخصياً وإن أمكن أن يشتّي عندهم فكورونثوس مدينة معروفة أنها مشتى (أريحا) جميل.

ولكن وصل إلى مسامع بولس أن مشاكل حقيقية تواجه الطائفة هناك تستوجب منه زيارة خاطفة وعدم الأنتظار حتى الشتاء... وفعلاً شد بولس رحاله في زيارة خاطفة إلى هناك...
ولكن هذه الزيارة أحزنت الرسول أكثر من السابق...

إذ أبان هذه الزيارة قام أحد أعضاء الكنيسة هناك بالأعتداء كلاميا وربما جسدياً على بولس الذي قرر أن يترك كورنثوس على وجه السرعة...

بولس أصبح خلف قفص الاتهام من قبل الطائفة التي أسسها هو وتعب عليها...
التهمة التي وجهت من قبل هذا الفرد إلى بولس:
أنه كل يوم بعقل... بغير رأيه بسرعة... لا يحترم وعوده... مهمل الطائفة...
والدليل لهذا الأتهام: «أنه وعد أن يأتي ويمكث في كورنثوس ويشتي هناك... وأخلف وعده... مش سائل عن الطائفة... كل يوم في بلد آخر...»

ولكن وقبل أن يرد بولس على هذه الاتهامات في رسالته الثانية تنامى إلى مسامعه عن طريق تلميذه تيطس الذي كان قد زار الطائفة في كورنثوس ليطلع على وضعها... تنامى إلى مسامع بولس عن طريق تيطس... أن الطائفة تنبهت أن ذلك الإنسان الذي هاجم بولس إنما لم يفعل ذلك لأنه يحب الكنيسة ويريد أن يخدمها ولكنه إنما يفعل ذلك «لهدف في نفس يعقوب». «وربما إستعراض عضلات» أو «دعاية انتخابية»
لذلك وقفت الطائفة سداً منيعاً ضد أهداف هذا الإنسان الشخصية بل وعاقبته...

في رسالته الثانية يتوسط بولس من أجل عودة المذنب الذي اعتدى عليه ويطلب من الطائفة أن تسامحه إن كان قد عبر عن توبته وندمه.

وفي معرض رده على اتهامات هذا الشخص كتب بولس:
إن كلامنا لكم لم يكن نعم ولا...
بولس لا يغير رأيه. وكل يوم برأي...كما يقال عنه... ولا هو أهمل الطائفة. هناك بل هناك حاجات أخرى كثيرة كان على بولس أن يتممها...

ولكن وفي معرض رده يصل بولس أخيراً إلى مراده:
«لأن ابن الله يسوع المسيح الذي يكرز به بينكم بواسطتنا لم يكن نعم ولا. بل قد كان فيه نعم. لأنه مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الأمين لمجد الله بواسطتنا»...
هنا يصل الرسول إلى قمة فكره...وكأنه يقول:
الرسول والراعي لا يكرز بنفسه ولا يبشر بنفسه والطائفة لا تؤمن بالرسول ولا تضع ثقتها بالراعي... الكنيسة هي ليست ملك الراعي ولا هي ملك الطائفة...

الرسول لا يكرز بمبادئه الشخصية ويغير رأية في يوم ليوم... بل إنما يكرز بالمسيح والذي فيه قال الله «نعم» للإنسان الخاطئ...
والكنيسة إنما تؤسس على هذه النعم...
إيمان الكنيسة لا يبنى على شخص الراعي أو الرسول بل على مواعيد الله...
والله لا يخلف الميعاد...

قد يخلف الراعي أو الرسول الميعاد، وقد يخيب ظن الكنيسة به... كما وقد يخيب ظن الراعي بكنيسته...
ولكن كنيسة يسوع المسيح لا تبنى على الأهواء الشخصية...
بل على صخر الدهور... ولا شيء يقدر أن يزعزع هذا الصخر...

أذكر أنه وفي العقود الماضية وفي هذه الطائفة كما في العديد من طوائفنا كنا أحيانا كثيرة نشبه طائفة كورنثوس:
الحضور إلى الكنيسة كان مربوط بالعلاقة الشخصية مع الراعي...
إن كانت هذه العلاقة جيدة، والمصالح ماشية... كنت ترى العائلة كلها في الكنيسة في الصفوف الأولى...
أما إن لم يلبي الراعي أحد مطالب أحد العائلات وقال «لا»، كنت ترى هذه العائلة «تحرد» ... بل وأحيانا تترك الكنيسة...

في العقد الأخير حدث تغيير جوهري في هذه الكنيسة، تغيير إيجابي...
حثت هنا وهناك سوء فهم بين الراعي وبين هذه العائلة أو تلك من عائلات الكنيسة... ولكن هذه العائلات لم تحجم عن القدوم إلى الكنيسة، ولم تقاطع العبادة ولم تحرد أو تترك الكنيسة...

لقد تعلمنا كطائفة ونضجنا ككنيسة...
لم نعد نربط انتمائنا بهذه المؤسسة بناء على نعم أو لا الراعي...
بل على نعم الله في المسيح...
لقد فهمنا الإنجيل على حقيقته...
أن ابن الله لم يكن نعم ولا... بل قد كان فيه نعم ونعم فقط...
على هذه النعم الإلهية نبني إيماننا...
وعلى هذه النعم نبني انتمائنا...
وعلى هذه النعم الربانية نبني علاقتنا في هذه الكنيسة
لقد فهمنا الدرس حق الفهم...

إن الرسول والراعي هما أداة بواسطتها يكرز بهذه النعم...
شكرا لله أننا لا نؤمن ببولس ولا بمتري ولا بمنيب بل بيسوع المسيح رباً ومخلصاً...
هؤلاء جميعا أدوات في يد الله...
الطائفة والراعي اثناهما يثبتان في المسيح...
لو كان إيماننا مؤسسا على الرسول أو الراعي أو أفراد وعائلات الطائفة لما كان أشقانا أيها الأحباء...بل لنهارت أسس هذه الكنيسة منذ زمن بعيد...

ولكننا رعاة ورعية إنما نحن مؤسسون على صخر الدهور... على النعم الثابتة... على محبة الله الغافرة... على الجلجثة التي لا تزعزع أبدا؟
ليتنا جميعا في هذا الصباح نسمع نعم المسيح هذه... من يسمع هذه النعم لا يمكن أن تكون علاقته مع الكنيسة «كالطقس»... أحد تراه مواظب، والأحد الآخر تراه حردان... يوم تراه يمدح في الكنيسة واليوم الثاني يذمها...

نعم الله تتطلب منا نعم الله...
نعم المسيح تتطلب منا انتماء لا يتزعزع في كنيسته...
هذه هي أساس العلاقة بين الرسول والطائفة...
فكلاهما بحاجة إلى نعم الله... وكلاهما مطالبان بأن يكون ردهم بنعم...

نعم - يا رب- على نعمك سأبني إيماني...
نعم - يا رب- على نعمك سأعمق انتمائي...
نعم - يا رب- أريد فأعن ضعف إيماني...

**آمين**

# انتخابات

**رومية ١٢: ٩– ١٦**

يبدو أننا نعيش حمى الانتخابات هذه الأيام. فمنذ الأشهر القليلة الماضية جرت في محافظة بيت لحم الانتخابات البلدية الأولى منذ ثلاثين عاماً. أسفرت عن تغيير في الوجوه وفي الأحزاب.

وفي الخامس والعشرين من الشهر الحالي سيقترع الشعب الفلسطيني لانتخاب مجلسه التشريعي الثاني. بعد أن مكث المجلس الحالي مدة عشر سنوات في السلطة متناسياً إجراء الانتخابات في موعدها المحدد تحت مبررات واهية وكاذبة.

واليوم ستجري الإنتخابات في جميع كنائسنا اللوثرية في فلسطين وذلك لانتخاب عمدٍ جديدة لتسيير أمور طوائفها...

ومن الجدير بالذكر أن الإنجيليين في الشرق الأوسط كانوا أول من أدخل مبدأ الانتخابات إلى شرقنا العربي. فكانوا أول من انتخب مجالس كنسية لتسيير أمور الطائفة المحلية والكنسية والوطنية. وحتى هذه اللحظة لم يستطع الأرثوذكسيون تشكيل مجمع علماني. بل اقتصر على الرهبان والمطارنة. كما وفشلت مسيرة السنودس الكاثوليكية لتكوين هيئة علمانية كنسية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن هذه الانتخابات تسير منذ البداية بإنتظام كل خمس سنوات. تتداول فيها السلطة بسلام وأمان ودون انقطاع.

أما اليوم فستنتخب رعيتنا عمدة جديدة لها وذلك تماشيا مع دستورها.
وفي يوم الجمعة القادم ستشكل عمد الطوائف اللوثرية مجمعاً جديداً هو عبارة عن الهيئة التشريعية والرقابية لهذه الكنيسة.
وسيقوم المجمع بدوره بفرز مجلس أو هيئة تنفيذية من بين أعضائه لإدارة شؤون هذه الكنيسة بطريقة الانتخاب .

والانتخابات هي سمة من سمات المسيحية...
فأول انتخابات كنسية جرت حوالي عام ٣٠ للميلاد وذلك في مدينة القدس، عندما انتخبت الطائفة سبعة رجال مشهوداً لهم ومملوؤين بالروح القدس والحكمة والإيمان وذلك للاهتمام بشؤون الكنيسة الأولى.

في أعمال: أن منحت الانتخابات لجمهور المؤمنين قاطبة، الكل مدعو للانتخاب، لكل إنسان صوت يجب أن يسمع...
لكل مؤمن رأي يجب أن يصغى إليه...
لكل فرد حرية في التعبير ويجب أن تتاح الإمكانية له للتعبير عن رأيه بحرية وأريحية وديموقراطية.

وحسب العقيدة اللوثرية فإن الله يدعو خداماً للتبشير بكلمته بنقاوة ولاجراء السرين المقدسين إجراءً صحيحاً... وفي كلا المهمتين نجد الله يعمل من خلال خدامه الرعاة...

وخلاف ذلك، أي في الأمور الإدارية والتنظيمية والخدماتية، فالله لا يقبل التعيين، بل يقبل بحكم الجماعة المقدسة... ويعمل من خلال اختيار الجماعة بطرق غير مباشرة...

الانتخابات هي إرادة الله والله يعطي المسؤولية والصلاحية لمن ينتخب...
الله يعمل من خلال صوتك...
صوتك سيكون هو صوت الله...
الله يحترم قرار الجماعة حتى ولو كان ذلك خاطئاً.

فالجماعة تتحمل المسؤولية، مسؤولية قراراتها...
الله خلق الإنسان وأعطاه إرادة وعقل، منحه عينين وأذنين ليرى ويسمع ويفهم، أعطاه نظاماً يستطيع بواسطته أن يحدد من سيمثله في الكنيسة، وفي العالم. ولكن حتى لا يكون الانتخاب عشوائياً يذكر الكتاب المقدس مواصفات معينة يجب أن نبحث عنها في كل مرشح.

وفي رسالة اليوم نجد اثني عشر صفة تساعدنا على الاختيار...
هذه الاثنا عشر صفة مقسمة إلى أربعة أقسام، أود أن نتأمل بها قليلاً في هذا الصباح:

**القسم الأول:**
من صفات المرشح - كما ذكرها الكتاب المقدس - ثلاث صفات تختص فيما يتعلق بعلاقته مع الله:
حارين في الروح
عابدين الرب
مواظبين على الصلاة.

علاقة المرشح مع الله مهمة في انتخابات العمد، لأننا لا ننتخب هيئة إدارية لشركة مساهمة أو لحزب سياسي، بل لكنيسة أساسها الإيمان بالمسيح مصلوبا.

لا يطلب من المرشح أن يكون متديناً أو متعصباً بل حاراً في الروح... بل المطلوب هو روحانية إنجيلية تعبق بالحرية والإيمان والرجاء...
والمطلوب من المرشح ألّا يعبد أحداً إلا الرب ولا يخاف أحداً إلا ربه... وألا يحب أحداً فوق ربه... والولاء الأول والأخير هو ليس للراعي، ولا للعائلة ولا لتيار أو حزب بل للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد...
هذه العبادة لابد أن تتجلى في المواظبة على الصلاة... والمرشح لابد أن يكون مواظباً على الصلاة...

فالصلاة بالنسبة له كالماء للسمك وكالهواء للإنسان والمواظبة تعني أن الصلاة لا تتم حسب الحاجة ولا حسب المزاج، ولا حسب بارومیتر العلاقة مع الراعي، بل هي علاقة ثابتة متوازنة مستمرة مع الله بلا انقطاع.

**القسم الثاني:**
من صفات المرشح فيما يتعلق بعلاقته مع نفسه وهنا أيضا نجد ثلاث صفات رئيسية:

- غير متكاسلين في الإجتهاد
- فرحين في الرجاء
- صابرين في الضيق

والمرشح لابد أن يكون مكوك حركة... لا مجال للخمول أو الكسل أو التربع على كرسي العمدة، بل المطلوب العمل الجاد والدؤوب...
هذا النشاط وهذا العمل هما أساس الفرح في الرجاء...
فالمرشح يسطع رجاءً ويغدق على من حوله أملاً وفرحا...

المرشح لا يبخل على الضعيف بالتشجيع بل يمده قوة عندما يضعف
وبحزم عندما يكبر وبأمل عندما ييأس...
المرشح للعمدة يجب أن يكون صبوراً... ذو نفس طويل...
طويل البال... يحتمل الضيق وكلام الطائفة وعقليات
مختلفة... وعند المشاكل يحافظ على توازنه وعلى صبره وحكمته.

**القسم الثالث:**
فمن صفات المرشح فيما يتعلق بعلاقته مع الطائفة، وهنا أيضا يشدد الكتاب المقدس على صفات ثلاث:

- مشتركين في احتياجات القديسين
- عاكفين على إضافة الغرباء
- فرح مع الفرحين وبكاء مع الباكين

المرشح لا يوزع فقط من أموال الكنيسة، بل يضرب يده على جيبه ويساعد المحتاجين دون أن تدري يمينه ما تضع يساره...
والمرشح يعكف على إضافة الغرباء كم من الضيوف الأجانب دعوا إلى بيوت العمدة في الماضي... ولكن الأهم أن المرشح يقاسم أبناء الطائفة أفراحهم وأتراحهم... وكانت هذه صفة للعمدة اللوثرية دائماً... فالأكثرية منا ليس لهم حمولة وعزوة تقف معهم وقت الفرح وعند الشدة... فكانت العمدة هي العماد وهي الحمولة وهي العزوة في الأفراح وفي الجنازات.

**القسم الرابع والأخير:**
فمن صفات المرشح فيما بعلاقته مع زملائه العمد الآخرين وهنا أيضا يذكر الكتاب المقدس ثلاث صفات:

- وادعين بعضكم بعضا بالمحبة
- مقدمين بعضكم في الكرامة
- مهتمين اهتماماً واحداً

فالعلاقة بين أفراد العمدة بعضهم ببعض أساسها المحبة التي ظهرت في المسيح. لا يطلب من العمدة أن يكونوا أصدقاء مع بعضهم البعض. ولكن يجب أن يكون بينهم مودة واحترام متبادل.
المرشح يدرك أن احترامه للآخرين هو أساس احترام الآخرين له، والمرشح يسمع للآخر، ويحترم رأي الآخر ولا يسعى أن يفرض رأيه...

(مهتمين اهتماماً واحداً)، هي فن العمل ضمن فريق...
لا مكان للمرشح الذي «يفتن في العمدة، ويزعل، أو يريد
أن يكون هو صاحب الرأي الأول والأخير...
بل من المهم جدا أن تعمل العمدة كفريق،
لكلٍّ دوره ومركزه وثقله ومواهبه ولكن الكل يشكل فريقاً له هدف واحد يسعى الجميع وبكل قوة وتجانس للوصول إليه.

اليوم إذ ستنتخب الطائفة عمدتها الجديدة لابد أن تسأل عن علاقة كل مرشح مع الله، ومع النفس ومع الطائفة ومع أفراد العمدة الآخرين.
اليوم لابد أن نقيس المرشحين على هذه الصفات الاثنتي عشرة صفة التي وردت على لسان الرسول بولس. ونحن ندرك أن لا إنسان كامل الأوصاف، فالكمال لله وحده... بل قد يكون أحد المرشحين قوياً في علاقته مع الله، وآخر متمكن في علاقته مع الآخرين، وثالث مميز في علاقته مع النفس...

وقد نرى في أحد المرشحين الصفات الست الأولى، وفي أخر الصفات الست الأخيرة، وهذا طبيعي، لذلك وجب أن يكمل أحدهم الآخر...
لا نطلب كمسيحيين من العمدة أن تكون ذات قوة خارقة للطبيعة، ولا نطلب منها المستحيل، بل نؤمن أننا جميعا خطاة ومبررين في الآن ذاته..

العمدة تعمل وقد تخطئ، فتعترف بخطاياها وتقصيرها وفشلها دون خوف أو وجل.. والعمدة تعمل لأنها تؤمن أنها قد تبررت بالإيمان بيسوع المسيح... فالإنقاذ لن يأتي على يديها بل قد تم على يدي الفادي، في غابر الزمان... وعلى هذا الأساس هي تعمل بلا كلل أو ملل.

العمدة تجتهد وتعمل مؤمنة أنها لابد وأن تقدم حساباتها عن عملها للطائفة بعد خمس سنين وللمسيح يوم الدينونة. لذلك هي تعمل بخوف وارتعاش، ولكن بإيمان وثقة واجتهاد.

ليت الله يساعدنا في هذا اليوم كي نعمل إرادته لا إرادتنا وكي ننتخب من سيمثلنا واثقين أن الله سيبارك عملنا واختيارنا وانتخاباتنا، له المجد في الكنيسة إلى الأبد.

**آمين**

# أنتم ملح الأرض

ها هو ابن الناصرة.
ذلك المعلم العظيم يسوع جالس على قمة أحد الجبال المطلة على بحيرة طبريا
وها هي الجموع الغفيرة قد التفت حوله لتصغي إلى كلماته.
نظر يسوع إلى تلك الجموع وتفرس فيها وعلم ما يدور في خلدها، وأحس بذلك الزفير المتصاعد من خلجات قلوبها.
وما لبث أن جال ببصره وصوّبه نحو تلاميذه الجالسين من حوله، تأمل فيهم وسرعان ما تحركت شفتاه وقال يخاطبهم:

أنتم ملح الأرض... أنتم ذلك القليل الذي يضاف إلى الطعام فيكسبه طعماً ومذاقاً.
أنتم نور العالم... أنتم ذلك السراج الذي يوقد في العالم فيضيئه.
سمع التلاميذ هذه الكلمات فأخذتهم الحيرة. وهل يعقل أن يكونوا هم المقصودون؟ أو يعقل أن يعني يسوع بكلماته تلك الزمرة الصغيرة من الصيادين؟ أو نسي كيف سينكره بعض أولئك الجليليين؟ هل نسي كيف سيتركونه ساعة الموت على الصليب
وحيداً ليفروا هاربين؟
لا، لم ينس يسوع وضْع تلاميذه ولم يتجاهل حالهم!
وكذلك لم يقصد أن يمدح أتباعه ليكسب صداقتهم!
لم تكن كلماته رخيصة تذريها الريح وتبقى دونما أي تأثير.
بل جاءت كلماته مبدعة خلاقة شبيهة بتلك الكلمات التي نطق بها الخالق عندما قال: ليكن نور....فكان نور.
فما كان فاسداً أصلحه المسيح بكلمة منه فصيره ملح الأرض.
وما كان مظلما أضاءه المسيح بإيماءة منه فصيره نور للعالم.
أنتم ملح الأرض...أنتم نور العالم...
هل سمعتم مثل هذا أيها المسيحيون الشرقيون؟
هل أدركتم أنكم أنتم المقصودون! (أجل... أنتم يا من هنا تجلسون...)

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٩.

مالي أراكم لدعوتكم تهملون؟ ماذا تقولون وبماذا تتذرعون؟
أأنتم أقلية صغيرة في هذه البلاد! حسنا تقولون والمسيح يعلم هذا!
ولكن أولا تدركون بأن حفنة صغيرة من الملح تضاف إلى الطعام فتكسبه طعمه ومذاقه!

تسألونني ماذا تستطيع الأقلية أن تعمل؟ فأجيبكم: أنظروا إلى تلك الزمرة من التلاميذ: أولا ترون كيف استطاعت ثلة من الصيادين أن تقهر أعظم الممالك الأرضية؟ جال الجليليون وبشروا بإنجيل النعمة الإلهية فأعادوا الحياة للإنسانية والبهاء للبشرية.

تسألونني من أين لكم بالنور؟ تقولون أنكم بمشاكلكم تلهون وأنكم حول أنفسكم تدورون! فأقول لكم: ارفعوا أبصاركم وتأملوا في القمر! فبالرغم من أنه ميت في ذاته ، ملتف طوال الوقت حول نفسه ، فهو في الليل للأرض باهر.

سره لا يكمن في ذاته، بل في كوكب (نجم) آخر يستمد منه النور فيعكسه على الأرض. نوره مكتسب لا مفتعل.

كذلك فأنتم نور العالم لأن يسوع الناصري هو نور العالم.
إنه لا يطلب أن تشعوا نوراً من ذاتكم بل أن تعطوا مما أعطيتم.

لقد أنار الإنجيل حياتكم فحان لكم أن تعكسوا بنوره على الخليقة كلها.
لقد أضاء المسيح قلوبكم فآن لكم أن تغدقوا بالضياء على الأرض كلها.

تقولون أن ذاك ضرب من المستحيل؟ فأقول لكم:
تصفحوا كتب التاريخ... أوَ نسيتم كيف نقلتم في القرون الوسطى نور العلم من بلاد العرب إلى أوروبا فأنرتم تلك القارة المتخبطة في الظلام.

وهل فاتكم أن تتذكروا القرن التاسع عشر حينما عدتم لتضيئوا مشاعلكم من ركب الحضارة الغربية، فأغنيتم تراث الحضارة العربية؟

أجل أنتم نور العالم .....فكونوا نوراً للعالم.
أنتم ملح الأرض ... فكونوا ملحاً لهذه الأرض.

الأرض الفلسطينية بحاجة إليكم يا معشر المسيحيين!
إذاً ما فائدة الأرض بدونكم؟ فأنتم ملحها وأنتم كقلّة تعيدون لها طعمها! إذ أنتم جزء صغير من هذا الشعب ولكنكم جزء تفوق أهميته عدده.

وجودكم ضروري لهذه الأرض... مسيحيتكم أساسية لهذا الشعب.

لقد أوجدكم الله في هذه البقعة الحضارية وسلّمكم أعظم مسؤولية.
جعلكم مسؤولين في هذا المجتمع. مسؤولين عن فساده وصلاحه
مسؤولين عن ظلامه وضيائه.

لقد خلق المسيح فيكم ملحاً شهياً فلا تفسدوه بأطماعكم الأرضية.
لقد أشعل المسيح فيكم نوراً سماوياً فلا تطفئوه بسحائب الخطية.

كونوا ملحاً صالحاً بأقوالكم وأفعالكم. بحياتكم وكيانكم.
كونوا نوراً ساطعاً بمدارسكم ومصانعكم في متاجركم ومساكنكم!

أجل، اصعدي أيتها المسيحية الشرقية إلى المكان المعد لك، وتذكري دعوتك!
وانهضي أيتها الكنيسة اللوثرية لتخدمي شعبك ووطنك!
وتعالي بنا أيتها الطائفة البيتلحمية وأضيئي بلدتك وطرقاتك!
لا تنسي كلمات سيدك! تذكري ما قاله لك!
تذكري أنك ملح هذه الأرض وأنك نور العالم! فكوني كذلك
فالأرض بحاجة إليك والعالم بانتظارك!

**آمين**

# أيام الشباب

**جامعة ١١: ٩- ١٢: ١**

**أيها الأحباء في الرب،**

**يوم أمس الجمعة صوت أفراد الكنيسة - الذين اجتمعوا ليضعوا الخطة السنوية لهذه الطائفة- أن يكون عام ٢٠١٣ هو عام الشبيبة.**

**إذ لاحظ أفراد العمدة وأبناء الرعية أن تراخياً قد طرأ في الآونة الأخيرة في عمل الشبيبة، وأن فتوراً قد أصاب بعض أنشطتها... فتنبّهوا للأمر وصمموا على أن يستثمروا طاقاتهم وإمكانياتهم للنهوض مجدداً بهذا القطاع الهام في حياة الكنيسة.**

**ومن حسن الحظ أن بعض أفراد الشبيبة حضروا الاجتماع وأدلوا بدلوهم في النقاش الذي دار، كما وانتخبت كل من إلهام سابا ومريام نصار لمساعدة بهجت في التخطيط لعمل الشبيبة لهذا العام.**

**وعندما نتكلم عن الشبيبة أجد أن الكل ينادي بأهمية هذا العمل والكل يناشد الشباب أن يحضروا، ولكن ما من أحد يستطيع أن يلزم الشباب بالحضور، فالشباب لهم قرارهم واهتماماتهم. فأحياناً نرى أن بعض الذين يرفعون الصوت عالياً مطالبين بحضور الشباب، غير قادرين على إقناع أبنائهم بالحضور. لذلك لا أريد في هذا الصباح أن أناشد الشبيبة بالحضور، ولا الطلب من الأهل بتشجيع الأبناء، بل أريد أن أرجع إلى تلك الأيام عندما كنت أنا في الشبيبة. ورحت أتساءل عن تأثير الشبيبة في حياتي. فلقد أمضيت الساعات الطوال في أيام شبابي في مدرسة الأحد والشبيبة، والسؤال: ما هو الفرق الذي أحدثه عمل الشبيبة في حياتي الشخصية؟ هل كان هذا الاستثمار ناجح، أم كان مضيعة للوقت؟ هل كان مجرد تعبئة دينية أم كان له دور في صقل الشخصية؟**
**هناك سبع مهارات وضعت بِذارها إبان مرحلة الشبيبة:**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢٤.

١. الشبيبة عرفتني على يسوع كما لم أعرفه من قبل... عرفتني أنني بالنعمة مخلَّص... وبأن المسيح قد قضى ديني وفك سلاسلي وغفر إثمي... فكان شعور بالفرح والنشوة يسيطران علي... كان وقت الشبيبة وقت فرح ومرح. ولم أشعر يوماً أن الشبيبة عبء علي أو شيء علي فعله. بل كنا ننتظر الأسبوع تلو الآخر كي نلتقي لنناقش ولندرس الكلمة ولنتحاور علّنا نكتشف من هو يسوع وما معناه في حياتنا.

٢. الشبيبة علمتني لغة الحوار... أذكر كيف كنا نجلس تحت الأشجار في ستيلا كرمل نناقش المرحوم القس باسم نجم والمرحوم المطران نعيم نصار... هل الإنسان مسير أم مخير؟ وكان النقاش يحتد وكأننا جالسين حول طاولة شطرنج... كل يفكر ويسأل ويبحث عن البرهان في الكتاب المقدس أم في المنطق... أجل في الشبيبة تعلمت لغة الحوار... والنقاش... وهناك تعرفت على مبادئ المنطق... وقد أثر ذلك في حياتي حتى هذه اللحظة.

٣. الشبيبة علمتني أن أكون مسكونياً... إذ لم تكن شبيبتنا محصورة على اللوثريين فحسب. بل كان هناك شباب وصبايا من الطوائف الأخرى... كبرنا معاً. كان وجودهم معنا شيئاً طبيعياً... ولكن في الشبيبة كان أيضاً شباب من مناطق أخرى... فكان لي أصدقاء من رام الله وبيت جالا وبيت ساحور والقدس وكنا نجتمع الأسبوع تلو الآخر... فنلتقي حيناً في القدس نجلس على سور المدينة ويأخذنا النقاش والحوار... وفي الأسبوع الذي يليه كنا نجتمع في رام الله ونشق طرقاتها نناقش ونخطط ونقيم... وفي الأسبوع الثالث كنا نجتمع في بيت جالا نصلي ونرنّم ونلعب...

الشبيبة كسرت طوق القبلية... إذ عرفتني على أصدقاء من كنائس أخرى ومدن أخرى... فأدركت أن الله أكبر من بيت لحم وأن المسيح غير محصور في كنيستي اللوثرية.

٤. الشبيبة علمتني معنى التطوع... أذكر كيف كنت آتي الأحد تلو الآخر إلى هذه الكنيسة. أزيل الغبار عن الأدراج... وأقرع الأجراس... وأذكر كيف كنا نذهب إلى اللطرون نزرع الأشجار... نبني السلاسل الحجرية... نجلي... نرتب الأسرة.. قد تبدو هذه بالمهمة السهلة أو أن لا دخل لها بعمل الشبيبة ولكن ما تعلمته آنذاك بقي يلازمني طوال الحياة... فهذه الأشياء لا تعلمها المدارس أو المعاهد بل أنا تعلمتها هناك في الشبيبة.

٥. الشبيبة فتحت عيني على التراث الفلسطيني وعلى تاريخ هذا الوطن... وأذكر حينما كنت من العمر ١٣ سنة كيف وقعنا على حافة جبل صهيون في القدس،وكيف راح المرحوم القس بروس شاين يشرح لنا كيف أن مدينة داوود لم تكن في القدس القديمة اليوم وإنما في سلوان...

وأتذكر كيف نزل بنا إلى قاع كنيسة الفادي وأرانا سور القدس على زمن المسيح وشرح لنا كيف أن كنيسة القيامة كانت خارج أسوار البلدة القديمة زمن المسيح... وأذكر وأذكر وأذكر... حكايا زرعت في نفسي حب الاستكشاف والمعرفة... يستغرب أفراد الطائفة أحياناً من معلوماتي التاريخية أو الأثرية أو السياحية، وهي أشياء تعلمتها عبر السنين وبحكم دراستي ولكن البذرة زرعت في الشبيبة... فلقد ترعرت وكبرت مدركاً أن وراء كل تلة مدينة قديمة وأن وراء كل أثر تاريخاً وجب فهمه.

٦. الشبيبة فتحت عينيّ على العالم الواسع... فمنذ نعومة أظافري كانت جموع السواح تزور كنيستنا، وفي أيام الشبيبة كنا نلتقي مع أخوية ألمانية في اللطرون لنصلي... وفي ريعان الشباب بدأنا نشترك في رحلات إلى ألمانيا وفنلندا وقبرص... ورحنا نتعرف على العالم كما لم نعرفه من قبل.

فتعلمنا المحادثة التي لم نتعلمها في المدارس، وتعرفنا على عادات وتقاليد أخرى... وكلما تعرفنا على الآخرين ازدادت معرفتنا بأنفسنا وبهويتنا... أجل في الشبيبة تعرفت على مهارة الاتصال عبر الحدود والحضارات وما تعلمته بالممارسة لا تستطيع جامعة أن تدرسه.

٧. الشبيبة علمتني القيادة... فمنذ صغري رحت أساعد في مدرسة الأحد... أحضر دروساً في البيت، ثم أقف أمام الأطفال أعلمهم... ومن ثم تدرجت فأصبحت قائداً في الشبيبة... هناك تعلمت أن قيادة الشبيبة غير قيادة مدرسة الأحد... هنا وبالممارسة عرفت ما معنى ديناميكة الجماعة، ومعنى الشراكة... ومعنى المسؤولية... ومعنى الاستماع... ومعنى المبادرة... ومعنى القيادة... أمور تدرس اليوم في الجامعات تعرفت عليها في الشبيبة وأصبحت جزءاً من تفكيري وقطعة مني وليس مجرد معلومات حفظتها عن ظهر قلب.

لذلك أشجع بناتي دائماً على الانخراط في الشبيبة والكنيسة لأني أدرك أن هناك تتبلور الشخصية... وأن هناك تزرع بذور المستقبل...

من يظن أن الشبيبة هي تعليم دين لم يفهم يوماً معنى الشبيبة... ومن يظن أن الشبيبة هي دروس كتاب يقزم هذا العمل...

الشبيبة هي الدولاب الذي يتشكل فيه الإنسان.. هي البذار التي تزرع فترسم خطوط المستقبل... هي تجربة فريدة مثيرة يبقى أثرها مدى الحياة...

عندما نقول أن سنة ٢٠١٣ هي سنة الشبيبة، إنما نريد أن نقول:
هذا ما ينتظر الشباب، وهذا هو استثمارنا للمستقبل... أما مردوده فحصاد وفير... هذه كانت خبرتي... صلاتي أن تكون هذه خبرة شبابنا في هذا العام وفي الأعوام القادمة.

آمين

# ثورة في العطاء

**مرقس ٤: ٢٦-٢٩**

هناك علم يسمى علم الثورات... إذ راح القادة السياسيون والعسكريون بتحليل كيفية تطور الثورات في التاريخ... كالثورة الفرنسية... والثورة البلشفية... بالإضافة إلى الثورات المحلية كثورة بارخوخبا... أو الثورة العربية... إلخ... ولا شك أن علم الثورات يحظى هذه الأيام بالذات بقوة دفع كبيرة... فالمعلقون السياسيون يتسابقون لتحليل مجريات الثورات في العالم العربي من تونس إلى ليبيا مروراً بمصر إلى اليمن... وقد علق أحد كبار القادة السياسيين بقوله: «إن الثورة ليس لها توقيت... لا أحد يعلم متى وكيف وأين ستبدأ... بل ما يحدث هو حالة احتقان... حالة غضب شعبي تنمو في الأذهان والقلوب رويداً رويداً وفجأة وبدون سابق إنذار تنفجر ويكون الانفجار مدوياً». هذا ما حصل هذه الأيام في العالم العربي... فمن كان يحلم قبل ثلاثة أشهر أن زين العابدين ومبارك والقذافي لن يكونوا موجودين على الخريطة السياسية... والجواب لا أحد! بعض اللاهوتيين قالوا: أن يسوع في مثل اليوم عن ملكوت الله إنما كان يتحدث عن ثورة ضد حكم الرومان... ويسوع بمثله عن البذار إنما أراد أن يقول أن بذار الملكوت قد زرعت ووضعت في الأرض... وها هي تنمو رويداً رويداً وسيأتي اليوم الذي ستحمل سنبلاً حيث سيأتي الحصاد ويقطع فيه حكم الرومان... لست من أنصار هذا الرأي الذي يحول يسوع إلى زعيم سياسي فقط... يسوع لم يحلم ولم يرد يوماً أن يكون زعيماً سياسياً... ما يجمع الساسة عليه بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو خلفياتهم الأيديولوجية إنما هو حب الكرسي... يسوع لم يكن يحلم بالكرسي... لذلك قضى على الصليب... هذا كان عرشه... والشوك كان إكليله... يسوع لم يهتم بالحكم... بل بالناس... ولكنّ هناك شيئاً مهماً يجمع ما بين علم الثورات اليوم وما يقوله يسوع... وهو أن الثورة لا تحدث بين ليلة وضحاها بل هي عملية تراكمية هي نمو بطيء... وهو تغيير جذري ولكن عبر مسافة طويلة... الثورة بحاجة إلى وقت كي تنضج وهي بحاجة إلى وقت كي تعطي ثمارها... لقد كانت هناك عمليات احتقان في الشوارع العربية لعشرات السنين ولكنها انفجرت أخيراً... وحتى تعطي ثمارها وتأتي بالتغيير

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/٢/٢٧.

المرجو فهي بحاجة لعشرات السنين... لذلك أنا أخاف دائماً من الأشخاص الذين يريدون أن يعملوا ثورة في المجتمع والكنيسة أو حتى في الحياة العائلية... الثورة لا تحدث هكذا... ولا يستطيع أحد إشعالها بإرادته... ولكنها بحاجة إلى زمن كي تتخمر وتنتفخ ومن ثم توضع في التنور لتنضج ويؤتى أكلها... في أغلب الأحيان الشخص الذي ينادي بالثورة تكون عينه على الكرسي الذي يقاتل من أجله... وهو يريد استغلال مشاعر الناس كي يصل إلى مراده... فالثورة تحدث في السر... وتنمو في بادئ الأمر بعيداً عن الأنظار... ولكنك رويداً رويداً تشعر بها.

في الأسبوع الماضي كنت أراجع وقائع اجتماعات العمدة أواخر الثمانينيات، عندما استلمت رعاية هذه الطائفة... كان الهم الأول للعمدة حينذاك والخير الأكبر من الوقائع هو بند المساعدات... في الانتفاضة الأولى كانت هذه مهمة جليلة... ولكن الأعضاء كانوا ينظرون إلى الكنيسة كبنك للمساعدات... ولكنّ الله زرع بذره في قلوب أعضاء هذه الطائفة... إذ قال: « الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ»... وهناك واجب لك على الكنيسة... ووقعت هذه الكلمات في أرض خصبة... وبدأت تنمو... ورويداً رويداً راح بند المساعدات يقل... ونما بدلاً منه بند العطاء... لذلك عندما اجتمعنا لنفكر في عنوان لهذا العام جاء الاقتراح: تواصل وعطاء... هذه ثورة لا تجدها في أية كنيسة في فلسطين... أغلبية المسيحيين وللأسف ما زالوا ينتظرون المساعدات من الكنيسة... ولكن هنا حدثت ثورة... ليس بقرار من شخص أتى ليقلب الكنيسة رأساً على عقب... بل بكلمة وقعت في القلوب وراحت تنمو رويداً رويداً عبر ما يربو على العشرين سنة. يسوع يقول لا تستطيع أن تحصد إن لم تزرع... أحياناً ألتقي بأناس يظنون أنهم يستطيعون أن يمسكوا بالمنجل... يريدون أن يقطعوا الرؤوس... يريدون أن يحصدوا الغلات... ولكن يسوع يقول ملكوت الله ليس كذلك... بل هو زرع للكلمة... تعب... واعتناء... لا تستطيع أن تحصد إن لم تزرع... فما تزرعه إياه تحصد... الثورة الحقيقية يقول يسوع تحدث ببطئ... التغيير كي يتأصل في المجتمع وفي الكنيسة يحدث رويداً رويداً بدون أن يشعر به أحد... تصوروا لو أن القذافي وعبر ٤٢ سنة الماضية قام باستخدام البترول لتطوير البلد... لو فعل ذلك لنما اقتصاد ذلك البلد النفطي ولصارت ليبيا دولة يحسب لها حساب... ولكنه أتى باسم الثورة وعينه على الكرسي وغش الشعب... واليوم حتى تصل ليبيا إلى ما تصبو إليه فهي بحاجة إلى عشرات السنين... البناء يأخذ وقتاً... كما هو الحال في الحصاد... حتى تصل هذه الكنيسة إلى ما تصبو إليه هي بحاجة إلى عملية زرع... لا بد أن نزرع الكلمة في قلوب الأطفال في مدرسة الأحد... كل أحد... ومن ثم ننميها في دروس التثبيت... فتتأصل في النفس...

ومن ثم نرعاها في الشبيبة... ونقلّمها في القيادات الشابة... ونستثمر في هذه القيادات... نحاول أن نطورها كي تتابع دراساتها كي يحصل شبابنا على شهادات عليا... ويتبنوا مناصب مرموقة... ومن ثم يأتي وقت الحصاد... هكذا تحدث الثورات... نمو متواصل... تغيير متتابع... عملية تراكمية لا تتوقف... إبتداءً من هذا الشهر سنوزع عليكم برنامج الطائفة الأسبوعي... من يهتم بهذه الكنيسة ويريد أن يحصد عليه أن يزرع... أن يرسل أبناءه وأحفاده إلى مدرسة الأحد وإلى الشبيبة... أن يرافقهم... ويشجعهم... أن يرعاهم... ويزرع في قلوبهم بذار الإيمان وسيأتي الوقت الذي ينظر فيه ويرى كيف اشتدت سواعد هؤلاء الصغار وكيف راحوا ينهضون بهذه الكنيسة... الثورة لا تحصل بالكلام... بل بالعمل الدؤوب... صلاتي أن يجعل منا الله أبناء فاعلين لبناء ملكوته.

# رسالة كنيسة الميلاد

**متى ٩: ٣٥-٣٨**

يكرز... يعلم ويشفي...
هكذا لخص متى مهمة يسوع التي سبقت الصليب... مهمة واحدة ولكن بثلاثة أبعاد... رسالة تكاملية للإنسان بجميع أبعاده... فهذه الرسالة لروحه كما هي لنفسه وجسده... لقلبه كما لعقله كما لبدنه...

من يفتح على الصفحة الإلكترونية لكنيسة الميلاد سيجد أن رسالة هذه الكنيسة هي صدى لرسالة يسوع... «رسالتنا أن نكمل في مهد المسيح المسيرة التي بدأها يسوع في خدمة الإنسان بالوعظ والتعليم والشفاء.» لهذا الهدف وجدت هذه الكنيسة... وعلى هذه الرسالة اؤتمنت هذه الطائفة... وبهذه المهمة أوكلت هذه الجماعة... بأن نكمل مسيرة المسيح في مهده... أن نخدم الإنسان بالوعظ، وبالتعليم وبالشفاء.

**أولا بالوعظ:**
ما ميز هذه الكنيسة منذ اللحظة الأولى هو المنبر... العظة... الرسالة... هذا المحور الرئيسي... وما يميز العظة هو البشارة المفرحة... إن الخلاص هو الإيمان بالنعمة وذلك ليس منا بل هو عطية الله... ليس بالأعمال كي لا يفتخر أحد.

لذلك نحن لا نكرز بأنفسنا ولا بأعمالنا بل نكرز بالمسيح مصلوباً لأجل خطايانا ومقاماً لأجل تبريرنا... في الشرق الأوسط أديان كثيرة وطوائف عديدة تريد أن تخلص نفسها بنفسها... بما تأكل وبما تشرب وبما تلبس... وبالفرائض التي تعمل... وبالحسنات التي تعطي...

في الشرق الأوسط الكل منشغل بإتمام خلاصه... الكل يتسابق من فهم الأكثر تدينا والأعظم ورعاً والأعمق معرفة... لذلك ترى الكل متوتراً... يريد أن يخلص ولكنه يشعر أنه خاطئ ...فما العمل؟ البشارة التي اؤتمنت عليها هذه

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٤|١١|٢٠٠٧.

الكنيسة هي أن الخلاص قد تم على الصليب... وأنه مجاني... وأنه للخاطئ ... هذه هي البشارة المفرحة والخبر السار والهبة العظمى... وقد يقول قائل: إن تنادي بالإيمان ولكن لا توجد كنيسة أخرى لها أعمال ومشاريع وبرامج مثل هذه الكنيسة؟ وأقول صحيح: لأننا نخلص بالإيمان بدون أعمال. ولأن المسيح قد أكمل فداءنا وتمم خلاصنا...

ترى عندنا الوقت الكافي للقيام بما نقوم به من نشاطات... نحن لا نعمل هذه الأعمال كي نخلص... بل لأننا مخلصين نعملها... نحن لا نسعى أن نخلّص أنفسنا... فالمسيح هو خلاصنا... ولكن هذه الأعمال هي ثمار تأتي تلقائيا عن محبة واقتناع دون اضطرار ولا لربح أو كسب أو لإرضاء أحد أياً كان.

**ثانيا بالتعليم:**

من يعرف تاريخ الكنيسة اللوثرية في فلسطين يدرك أن المدرسة سبقت الكنيسة... أولا وجدت المدرسة... مدرسة الأيتام السورية... المدرسة اللوثرية في بيت لحم ومن ثم أسست الطائفة... ولأننا نهتم بالتعليم ترى أن ميزانية مدارسنا هي ثلاثة أضعاف ميزانية الكنائس...

ولكن نخطئ إن ظننا أن التعليم هو فقط ما يحدث في المدرسة أو في الكلية الجديدة... عندما كان يسوع يعلم كان يتلمذ... يدرب قادة... يستثمر في الكوادر البشرية... يؤهلها لرسالة عالمية مسكونية تحريرية...
وقد يسأل سائل: ولماذا التعليم مهم هكذا في هذه الكنيسة؟ والجواب لأن إيماننا مرتبط بالفكر... الإيمان الذي بشر به المسيح هو ليس (خرافيف عجائز) ولا أساطير ولا حكايات بل إيمان عاقل. أي مرتبط بالعقل والفكر... حتى العبادة يقول بولس هي ليست فقط شعائر وأحاسيس بل عبادة عقلية...

**ثالثا بالشفاء:**

ولربما لا يعرف البعض أن هذه الكنيسة لها تاريخ حافل وتراث عريق بخدمة الشفاء. ففي عام ١٨٨٤ قامت كنيسة الميلاد بقيادة قسيسها حينذاك لودفيك شنلر بافتتاح أول مستوصف طبي لها في مدينة الخليل وعينت الصيدلي الياس ضاهر والدكتور اسكندر دباك اللبناني الأصل كي يديروا ذلك المستوصف. وفي الأشهر الثلاث الأولى أمَّ ٧١٢ مريض ذلك المستوصف- وبقي قائماً طوال الثلاثينيات لا بل الأربعينيات من القرن العشرين... وآخر صيدلي خدم هناك كان المرحوم أبو جبران... جبرائيل جبران... وليس هذا فحسب بل في سنة ١٩٠٤

قامت جمعية القدس السويدية بافتتاح مستوصف آخر في بيت لحم بإشراف الدكتور Ribbing وبعدها بعشر سنوات تم وضع حجر الأساس لأول مستشفى في مدينة بيت لحم وهو مستشفى الحسين... وحتى هذه اللحظة تعتبر الجمعية اللوثرية السويدية المالكة لأرض المستشفى والمدرسة الأسوجية.

كما أن مستشفى الأمراض العقلية هو بالأساس وقف لوثري إذ كان بمثابة مدرسة شيدت عام ١٨٩٨ لخدمة الأيتام الأرمن بعد مذابح الأرمن في تركيا ولكنه حول عام ١٩١٧ إلى مستشفى للأمراض العقلية...

وليس هذا فحسب بل قامت كنيسة الميلاد بعد الحرب العالمية الأولى بافتتاح عيادة طبية لها في وسط مدينة بيت لحم أوكلتها إلى الراهبة الإنجيلية Dornen وبعدها بقليل افتتحت عيادة ثانية في مدرسة بيت ساحور...

وبعد الحرب العالمية الثانية افتتح الاتحاد اللوثري العالمي عيادة طبية جديدة أوكلها للمرحوم الدكتور توفيق كنعان وذلك في عمارة القنواتي مقابل المقبرة... ولربما أمّ الكثيرون منكم تلك العيادة التي بقيت حتى أوائل السبعينيات.

إنني متأكد أن الكثيرين منكم يجهلون هذا التاريخ... وهذا التراث وهذه الخدمة في المجالات الطبية لهذه الكنيسة. لذلك إذ نعين اليوم الأخت رائدة منصور كممرضة في هذه الرعية... إنما نحاول أن نبدأ خدمة الشفاء هذه من جديد. بعد انقطاع دام طويلاً...

ورائدة هي فعلا رائدة. اسم على مسمى. اسمها على جسمها... لأنها تعد أول ممرضة رعية بشهادة ورسالة في فلسطين في التاريخ الحديث... بهذا اليقين تكون هذه الكنيسة قد أكملت حلقة رسالتها بالإضافة إلى الوعظ والتعليم تأتي اليوم خدمة الشفاء...

أيها الأحباء...
الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون...
اليوم اختار الله فاعلاً جديداً في حقله... وخادمة جديدة في ملكوته... وممرضة جديدة في هذه الكنيسة وهذا البلد... نسأله أن يبارك عملها وأن يسدد خطاها... وأن يعظم خدمتها لمجد اسمه ولبناء ملكوته.

**آمين**

# رئاسة المجمع

**سيادة المطران منيب يونان الجزيل الاحترام، أصحاب السعادة،**
**الآباء والزملاء الأفاضل،**
**إخواني أعضاء المجمع المحترمين،**
**أيها الأحباء في الرب.**

**احتفلت كنيستنا الإنجيلية اللوثرية في الأردن والأراضي المقدسة في السنة قبل الماضية بمرور مئة وخمس وسبعين سنة على تأسيسها. كما واحتفلت وفي العام نفسه بمرور خمسين عاماً على تأسيس مجمعها السينودس والذي نحتفل اليوم بافتتاح دورته الثانية عشر. أما جذورنا فترجع إلى القديم... متأصلة في هذه الأرض تجذر الزيتون في ترابه... فهنا وفي القرن الأول الميلادي نشأت الكنيسة المسيحية ومن فلسطين انتقلت شعلة البشارة... ولكنها عادت تطرق أبوابنا في القرن التاسع عشر بثوب جديد كان قد طرز مع بداية عهد الإصلاح الذي قاده مارتن لوثر. ولقد نادى المصلح بمبدأ إنجيلي فريد ألا وهو أن الكنيسة بحاجة إلى إصلاح مستمر** EkleriaSemperReformanda **وأن الروح القدس إنما يدعو في كل عصر ومصر خداماً أوفياء ليضخوا دماء جديدة في عروق الكنيسة العريقة. فالعراقة والحداثة ليسا على طرفي نقيض بل هما وجهان للعملة ذاتها. فما دامت الكنيسة على هذه البسيطة فلا بد أن تبقى متجذرة وفي الوقت ذاته متجددة... تخاطب كل عصر بأدواته... وتنتج لكل مقام مقال... وتخاطب كل جيل بلغته... فالكنيسة كي لا تمسي متحجرة عليها أن تبقى الروح متجددة... وللإنجيل النقي شاهدة.**

**وتواجه الكنيسة الجامعة اليوم تحديات جمة. كما وترقب الكنيسة المحلية العالم يتغير من حولها. وإيماننا المسيحي لا يخاف من التغيير بل ينخرط فيه ومعه... إيماناً منا أن الله لم يدعنا يوماً كي نتقوقع على الذات، أو ننسحب من المجتمع، بل على العكس تماماً إذ نؤمن أن الإنجيل إنما يحمل في طياته بذار الغد الواعد الذي يبني على الإيمان الواعي العامل لا التدين المهزوم والمأزوم.**

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١١/٣/١٨.

وأرى أن أمام مجمعنا هذا بدورته الجديدة تحديات وأهداف ثلاثة لا بد وأن نجيب عليها انطلاقاً من رؤيتنا المسيحية وتماشياً مع هويتنا الإنجيلية وبما يتناسب مع انتمائنا العربي والفلسطيني.

١. التحدي الأول هو تحدي الحضور الإنجيلي... والحضور يختلف عن الوجود... لا يكفي أن نوجد الآن، وهنا... لا يكفي أن يستمر التواجد المسيحي على هذه الأرض الفلسطينية... مع أن هذا لفي غاية الأهمية... ولكن السؤال الأهم هو أي وجود... وأي شهادة... لا يكفي أن تسير الأمور كما كان في البدء وهو الآن وسيكون إلى دهر الداهرين... بل الأهم أي دور سيكون لنا اليوم وغداً؟ أي دور لنا في إنهاء الاحتلال؟ وأي دور في بناء مجتمع مدني فلسطيني عصري؟ وأي دور في تمكين الإنسان الفلسطيني وأي دور في تشكيل هوية متجددة وواعية؟ السؤال اليوم: ماذا ينتظر الله منا؟ وماذا تنتظر طوائفنا منا؟ وما هي الغاية السامية من وراء مؤسساتنا؟ وكيف يكون الحضور الإلهي في وسطنا مدعاة لحضور فاعل لنا في وسط مجتمعنا؟ ما الذي نريده من هذا الوطن، وما هي مسؤوليتنا تجاهه؟ وما هو دورنا في الحركة المسكونية محلياً وإقليمياً وعالمياً؟ لا يكفي أن يكون آباؤنا قد ساهموا في بلورة الحضارة العربية في القرون الوسطى، ولا ينفع إن كانوا من طلائع النهضة في القرن التاسع عشر، بل السؤال هو: ما هو دورنا اليوم ونحن نقف على أعتاب العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين؟ أين نريد أن نكون في عام ٢٠٥٠ ككنيسة وكشعب و كمجتمع وكعالم عربي! وكيف سنستطيع أن نصل إلى هناك بالرغم من كل المعوقات التي تحيط بنا؟ ما هي بوصلتنا؟ وما هي خطتنا؟ وما هي الخطوات التي وجب علينا اتباعها؟

٢. أما التحدي الثاني فهو تحدي الوجود القانوني لكنيستنا: من يتأمل فيما يحدث هذه الأيام في عالمنا العربي، سيجد أن أحد التحديات الرئيسية التي عليها سيعتمد مصير هذه المنطقة إنما هو التحدي القانوني. لذلك لا عجب أن ينهمك التونسيون والمصريون في هذه الأيام بتغير دساتير دولهم وتحديثها... فمن يتأمل في دساتير الدولة العربية سيكتشف مسيرة انحطاط وتراجع وانتكاسات... فدساتير مصر ولبنان في بدايات القرن العشرين إنما كانت أكثر ليبرالية وانفتاحاً وحرية من دساتير اليوم...

أما دستور كنيستنا فقد مر بمراحل عدة: فقد صيغ أول دستور عام ١٩٢٩ للكنيسة الإنجيلية الفلسطينية في القدس، ومن ثم دستور آخر بعد ذلك بأربع سنوات حمل اسم دستور الكنيسة الإنجيلية العربية في بيت لحم. وقبل

خمسين سنة ونيف وبعد تشكيل مجمعنا هذا فقد أقر نظام الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في الأردن، والذي تم تعديله بعد انتخاب أول مطران عربي عام ١٩٧٩، كما وأضيف إليه نظام داخلي عام ١٩٨٩. لقد كانت كنيستنا الإنجيلية اللوثرية سبّاقة في وضع دستور كنسي وإجراء انتخابات تشريعية وتنفيذية منذ ثمانين سنة ونيف، ولكن وأمام التطورات الهائلة التي حصلت لكنيستنا في العقدين الماضيين، فقد صارت بأمس الحاجة إلى دستور أكثر عصرية، وإلى نظام أكثر شفافية وإلى هيكلية جديدة وديناميكية. أرجو أن يكون تطوير مثل هذا الدستور أحد الأهداف الرئيسية لدورتنا الثانية عشر هذه. كما وأرجو أن نتمكن من وضع الأسس القانونية والعصرية لتشكيل أول محكمة كنسية لوثرية بحيث تساوي أحكامها المرأة بالرجل كما وتحافظ على قدسية العلاقات العائلية بالرغم من كل التعقيدات السياسية والقانونية في محيطنا. ولقد ابتدأنا العمل في وضع أحكام هذه المحكمة الكنسية في دورتنا السابقة على أمل أن نستكملها في السنة القادمة بإذن الله.

٣. أما التحدي الثالث والأخير فهو تحدي الاستقلالية المادية... لقد قيل قديماً ويل للأمة التي تأكل مما لا تزرع وتلبس مما لا تصنع... وأنا أقول ويل لكنيسة تعتاش على الصدقات الأجنبية ولا تضع أسس ديمومة مالية وإدارية. وليس هذا بالتحدي السهل... فمجتمعنا بأكمله يعتاش على أموال الدعم الأجنبية، كما ويفتقر اقتصادنا للبنيه التحتية اللازمة للاستقلال. وبالرغم من هذا فإنا على يقين تام أن بإمكان كنيستنا اللوثرية أن تحقق استقلالاً مادياً لعملنا الكنسي في غضون السنوات الخمس المقبلة، ولا يلزمنا سوى خطة طموحة لاستثمار جزء من أوقافنا الكنسية، وإعادة هيكلية الميزانية وتفعيل العطاء كجزء من تفعيل الانتماء بالهوية. أعضاء المجمع المحترمين، لن نستطيع تحقيق ذلك كله إلا إذا آمنا أن هذه هي دعوتنا الإلهية... وأن الأهداف هذه وإن كانت طموحة فهي غير مستحيلة.. وإن لا شيء مستحيل للمؤمن... كما ولا يمكن تحقيق ذلك كله إلا إذا عملنا معاً وسوياً ويداً بيد...

صلاتي اليوم أن يعطينا الله ما نريد وأن يمكننا من أن نفعل... وأن نخطط وأن نخطو... وأن نعي وأن نعمل.. عندها يكون لنا حضور إنجيلي وأساس قانوني... واستقلال مادي... كي تكون كنيستنا كنيسة إصلاح وصلاح... وبيعة تجدد مستمر وعطاء... وشاهدة لبعث ورب مقام.

**آمين**

# مناسبات

في هذا الأحد نحتفل بثلاث مناسبات:

**الأولى**: اختتام احتفالات اليوبيل بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيس كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية... وفي الوقت نفسه نحتفل بمرور ١٥٠ عاماً على تأسيس دار الأيتام السورية والمعروفة باسم شنلر... إذ ننظر ونرجع إلى هذا التاريخ ١٨٦٠ لا بدَّ أن نشكر الله على عمل هذه الكنيسة، بشقيه الطائفي و التربوي...
لا بد في هذه المناسبة من أن نستذكر جميع الرعاة الذين خدموا في هذه الكنيسة، الألمان منهم والفلسطينيين: موللر، شنلر، سعيد عبود، إلياس شحادة، نعيم نصار... بالإضافة إلى القس الحالي متري الراهب... لا بدَّ أن نستذكر جميع الموسيقيين الذين عزفوا في هذه الكنيسة من خليل باسيل، و وديع عطا، وتوفيق سرور، بالإضافة إلى العازف الحالي جورج أبو دية. ولا بدَّ أن نستذكر جميع العمد الذين خدموا هذه الكنيسة عبر قرن ونصف... ولا بد أن نستذكر جميع النساء اللواتي خدمن هنا، وجميع الأجيال التي تخرجت من هذه المدرسة وصاروا رجالاً ونساءاً أحيوا فلسطين علماً وأدباً... إذ ننظر إلى الوراء لا يسعنا إلا أن نشكر الله الذي زرع هذه الكنيسة في مهد المسيح... ورعاها بعطفه وعناياته عبر ١٢ حرب، ومجاعات وقلاقل وانتفاضات... وبقيت هذه الكنيسة شامخة... شاهدة... وفاعلة...

**الثانية**: هي مرور ١٥ عاماً على تأسيس دار الندوة والتي بدأت كنواة صغيرة بمقدار حبة خردل في الغرف الصغيرة أسفل هذه الكنيسة ونمت وكبرت وصارت شجرة كبيرة تحتمي في أفيائها طيور السماء... تغرد... وتنشد... وتسبح...كانت حقاً بداية متواضعة... وزنه صغيرة منحها الله لها... لم ندفنها في الأرض... ولم نخزَ منها، بل تاجرنا بها وربحنا فوقها أربع وزنات أخر: مدرسة دار الكلمة ودار الكلمة للصحة المجتمعية... وكلية دار الكلمة ودار البلد... وكأن لسان حالنا يقول: وزنة سلمتنا يا رب... و ها هي أربع وزنات أخر ربحناها فوقها... ليس لمجدنا بل لمجد اسمك...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٨|١١|٢٠١٠.

**الثالثة**: أما المناسبة الثالثة فهي تدشين بناية التعليم العالي والبحث العلمي وهي أكبر المشاريع الإنشائية التي قمنا بها والتي شيدت في هذه المدينة والتي سنفتتحها يوم الثلاثاء القادم... لم يكن سهلاً إنجاز هذا البناء الرائع خاصة بعد الأزمة المالية العالمية التي عصفت بالعالم وبالاقتصاد من حولنا... ولكن ليتم القول: إنه لا بالقدرة الذاتية ولا بالقوة بل بروحي... قال رب الجنود... هذا الإله العظيم الذي تجسد في هذه المدينة، قبل ألفي عام ما زال فاعلاً... بواسطة هذه الكنيسة وهذه المؤسسات وما زال مصممًا على الوصول إلى الإنسان... كي يغيره ويجدده ويعطيه قوةً وعزماً ورجاء. قبل مئة وخمسين عاماً عندما أسس شنلر دار الأيتام السورية ووضع هدفاً ذا شقين لها... أرى أنه ما زال يعبر أحسن تعبير عن رسالة مؤسساتنا عبر المئة والخمسين عاماً الماضية، كتب شنلر في النظام الأساسي لدار الأيتام السورية:

أن هدف هذه الدار (لم ألتفت سابقاً إلى أن استخدام الدار كان من قبل شنلر) هو:

١. تربية الفرد ليصبح فاعلاً في المجتمع الإنساني.
٢. تربية الفرد ليصير عضواً فاعلاً في جسد المسيح.

هذا الهدف هو العلامة التجارية والفارقة لعملنا الإنجيلي... هذا ما يميزنا... هذه هويتنا أن نؤهل الإنسان الفلسطيني كي يكون منتجاً وخادماً لهذا المجتمع، وكي يكون مؤمناً وفاعلاً في الكنيسة... الإلتزام المجتمعي والوطني والإلتزام الكنسي هما في فلسفتنا وجهان للعملة ذاتها... وفي فلسفتنا فإن الإيمان المسيحي لا يسلخنا عن المجتمع، بل على العكس من ذلك فإنه يجعلنا فعّالين مشاركين وخادمين... وفي الوقت ذاته فإن التزامنا الوطني لا يبعدنا عن هويتنا المسيحية، بل يتفاعل معها... هذه فلسفة إنجيلية فريدة... وهذه ميزة إنجيلية مهمة... ٣٥٠٠ معلم صنعه أو حرفة يدوية تخرج في دار الأيتام السورية، هؤلاء شكلوا العمود الفقري للاقتصاد الفلسطيني الوليد حتى الحرب العالمية الثانية... ولكن كل القساوسة من سعيد عبود وحتى نعيم نصار، وكل الموسيقيين، وجل المعلمين اللوثرين تخرجوا من نفس المدرسة ليصيروا العمود الفقري لهذه الكنيسة ومؤسساتها... والسؤال الذي يطرح نفسه هل سنستطيع بواسطة المؤسسة الجديدة والتي سندشنها يوم الثلاثاء القادم، أن نصقل جيلاً جديداً من فنانين وحرفيين وأدلاء سياحين يكونوا قادرين على مجابهة التحديات المالية وتطويرهوية فلسطينية ديناميكية؟ هل سنستطيع أن نخرج قيادات كنسية، وموسيقية، وشبابية تكون قادرة على تطوير لاهوت وفن مسيحي معاصر وشرق أوسطي؟

البناء رغم الصعوبات هو الأسهل... والإمتحان هو في صقل شخصية الإنسان... وهذا ليس في مقدورنا بل نحن بحاجة إلى بركة الرب وعونه وقوته... لذلك نختتم احتفالات هذه السنة بالصلاة، أن يقودنا الله ويسدد خطواتنا وأن يغدق علينا من روحه وفهمه وقدرته... فله وحده المجد ومنه وحده العون له القوة والقدرة والتسبيح إلى الأبد.

# هويتي اللوثرية

## عيد الإصلاح ٢٠٠٢

احتفلت الكنيسة يوم الخميس الماضي بعيد الإصلاح...
ذكرى تعليق المصلح مارتن لوثر حججه ال ٩٠ على بوابة كنيسة Wittenberg
الحجج ال ٩٠ تعبر عن قناعات المصلح...

لذلك رأيت أن نتحدث اليوم عن قناعاتنا... لماذا نحن لوثريون... هنا واليوم!
لا توجد إجابة جماعية، بقدر أن الإجابة شخصية.

لماذا أنا لوثري؟
إجابتي لا تنوب عن إجابتك، ولكنها قد تساعدك أنت في الإجابة على هذا السؤال؟
هناك سبع قناعات (ليس ٩٠) لماذا أنا لوثري الآن وهنا:

١. **القناعة الأولى:**
أنا لوثري لأنني أنحدر من عائلة لوثرية أو كما يقول المثل لوثري أباً عن جد... هنا تعمد أبي، هنا تزوج، هنا دفن... في جميع مراحل حياتي المهمة كانت الكنيسة جزء من رحلتي... عند الولادة أقيمت لي صلاة شكر... ويوم المعمودية رحبت بي الكنيسة في وسطها، وعند البلوغ تثبتّ..ويوم زواجي تكللت... هنا احتفلت بأطفالي، ويوم معموديتهم تعهدت أن أربيهم على هذا الإيمان... هذا لا يعني أنني لوثري عن اضطرار بل عن اختيار... وقناعة...

٢. **القناعة الثانية:**
أنا لوثري لأن الكنيسة رعتني في طفولتي وفي شبابي... هنا تعرفت على أصدقاء الطفولة... أدركت أن الكنيسة هي شركة... علاقات... صداقات... الكنيسة هي هذه المساحة... هذا الفضاء الذي يجمعني مع الآخرين... الكنيسة هي لقاء الأحبة هذا... ليس لقاء العشاق الملهوفين... بل لقاء الصداقة ...لقاء الأخوة... اللقاء بالآخرين.

---

• عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الانجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٣.

**٣. القناعة الثالثة:**

أنا لوثري لأن هذه الكنيسة إنجيلية...

أنا لا أومن بقديس اسمه لوثر، بل بمخلص اسمه يسوع... قناعاتي لا تؤسس على قناعات بشرية... بل على إعلان إلهي... هذا الإعلان تجده في الإنجيل... فيه البشارة السارة... هو ثقة الله للخلاص... الإنجيل هو بالنسبة لي الحكم... له الكلمة الأولى والخيرة... له الفصل والقطع... على هذه الصخرة القوية أسست حياتي... وعلى هذه القناعة أبني قناعاتي.

**٤. القناعة الرابعة:**

أنا لوثري لأن الإصلاح علّمني كيف أخلص... وكيف أحيا...

أقنعني أن أعمالي مهما سمت فلن ترفعني إلى السماء... فاقتنعت...

أقنعني أن خطاياي مهما عظمت فهناك من ينقذني ويجعلني أتغلب عليها... يمحوها... ينساها... يرميها في أقاصي البحار... وكل ما يطلب مني هو أن أقتنع بأن كفارة المسيح كافية ووافية... على هذا الإيمان أحيا... فليس لي بري... بل البر الذي بالمسيح يسوع. على هذا الإيمان أموت مطمئنّا... قرير العين... هادئ البال... مرتاح الضمير...

بهذه القناعة أخوض في وسط لجج هذا العالم مؤمنا أن...

لو أن دنيانا امتلأت أبالسة تنوي الخصام
فلن نخاف شرها إذ عوننا فادي الأنام
إبليس خصمنا قد دين وانهزم
مهما بنا غدر سلاحه انحطم
حطمه الفادي المجير

**٥. القناعة الخامسة**

أنا لوثري لأن هذه الكنيسة مصلحة...

هي ليست قطعة أثرية من تراث سحيق...

ولا هي مؤسسة متحجرة بلا تغيير أو تبديل...

بل هي كنيسة متطورة...تتفاعل مع كل زمان وكل مكان...

لذلك قبلت هذه الكنيسة رسامة النساء... لأنها تؤمن بأنه في المسيح ليس هناك ما يفرق بين ذكر وأنثى... وأن خدمة الكلمة ليست حكراً على الرجال... الكنائس الأخرى ستلحق بركبنا هذا ربما بعد ٢٠٠ سنة ولكننا نحن السبّاقون...

الكنيسة المصلحة لها مؤسسات ديموقراطية وذات شفافية... لا يوجد بها من حاكم بأمر الله، بل كل من فيها راع والكل رعية والكل كاهن في هذه الشركة المسيحية...

**٦. القناعة السادسة:**

أنا لوثري لأنني مسكوني...
لست وحيداً في قناعاتي بل هناك ما يزيد عن ٧٠ مليون إنسان يشاطروونني قناعاتي هذه... في كل القارات، وفي كل المهن، هناك بُعدٌ عالمي لقناعاتي... لست وحيداً في هذا الكون، ولا أنا وحيد في هذا العصر... بل لي امتدادات جغرافية وتاريخية... ولكنني لوثري لأنني مسكوني...

لي هويتي ولكنني لا أستهين بهوية الآخرين... لي قناعاتي ولكنني لا أنكر على الباقين قناعاتهم... أنا متجذر في قناعاتي ولكنني غير متعصب... أنا أقبل الحوار والجدال... أنا أجيد الأخذ والعطاء...
لا أخاف التحدث عن قناعاتي، ولا أخاف قناعات الآخرين. قناعاتي لا تخاف الفكر ولا المنطق ولا النقد ولا التطوير...

**٧. القناعة السابعة:**

أنا لوثري لأن هذه الكنيسة لها خدمة شاملة متكاملة...
هي ليست طقوس وعبادات بالية...
بل لها لوثرية جميلة مليئة بالوقار...(جنازة أبو جلال، ميشيل باسيل)
ولكنها أيضا كنيسة معلمة...تهتم بتعليم وتثقيف أتباعها...
وهي أيضا كنيسة شاهدة، لها بعد سياسي واجتماعي وتنموي،
بجانب بعدها الروحي والحياتي...
لها الروح والنفس والجسد التي تشبعها، لذلك أنتمي إليها.

هذه هي قناعاتي الشخصية...
فما هي قناعاتك...؟
ما هي حججك التي تستطيع أن تعلنها على الملأ كما أعلنها المصلح عام ١٥١٧؟

**آمين**

# وجدت نعمة

هي ست وعشرون سنة مرت من حياتي...
أنظر إليها... أتصفحها فلا يسعني إلا أن أهتف مع رجل الله موسى قائلا: لقد وجدت نعمة في عيني الله. أجل، لن أجد عنوانا أفضل أخطه على غلاف حياتي غير هذه الجملة عينها: إنني وجدت نعمة في عيني الله. فلقد ارتأى الله أن يختارني من أسرة صغيرة ومن عائلة متواضعة فقيرة، تماما كما اختار في القديم داود البيتلحمي.

لم أكن يوما أفضل الخلق وما كنت بأتقاهم، ولكن رغم هذا نظر الله إلي ورفعني... وضع يده علي وباركني قادني في طفولتي وشبابي... كما وفقني في دراستي وما كنت يوما لأستحق كل هذه النعمة.
نعمة المسيح فاضت علي وغطتني، بركة الله انسكبت علي وملأتني
لذا لا يسعني إلا أن أهتف وأقر وأعترف بأنني وجدت نعمة في عيني إلهي.

وها هو الله يرسمني اليوم قسيساً في كنيسته، ويقيمني لأخدم رعيته،
وها أنا أقف الآن أمام الله وأمامكم ومن على منبر الكنيسة أخاطبكم
لا تظنوا أنني اعتليت هذا المكان حتى أكيل الوعود لكم...
لا تنتظروا أن أعدكم بأنني لن أسعى لأخدم بل لأخدم...
لن أقول لكم أنني سأبذل جهدي لا لآخذ بل لأبذل!
لا، لن أخوض أمامكم الآن معركة انتخابية، لن أبني لكم
في الهواء قصوراً ذهبية! لا، لن أتبع خطى السياسيين
الذين كثيراً ما وعدونا وأخلفونا، وكم من المرات كلام في كلام باعونا.
لا، أيها الأحباء، لقد أقامني الله لأبني كنيسته...
ولكنني لن أخفي عليكم حيرتي وشكوكي، ضعفي وتساؤلاتي...
فلقد دعاني الله لأجري السرين المقدسين، مع أنني إنسان لي
ضعفات... ومن ينظر إلى طوائفنا يجدها ترجّي خادماً بلا
ضعفات ولا عثرات ولا معاصي.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الفادي الإنجيلية اللوثرية في القدس بتاريخ ١٩٨٨/٥/٢٢

لذا تراني أتساءل هل سأستطيع التوفيق بين دعوتي وحياتي
وآمال كنيستي؟ لست أدري... ولكنني أدرك أمراً واحداً
أنني لن أستطيع أن أكون الخادم المثالي الكامل.

وقال موسى للرب:
أنظر قد قلت لي أصعد هذا الشعب ولكنك لم تعرفني من ترسل معي...
فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعرفني طريقك فقال الله لموسى:
وجهي يسير فأريحك
فقال له موسى:
إن لم يسر وجهك فلا تصعدنا من ههنا فإنه بماذا يعرف أنني وجدت نعمة في
عينيك أنا وشعبك أليس بسيرك معنا؟
إذ لست أنا إنسان بلا خطايا، بل أنا ابن الله أركض إليه
مجدداً سائلا غفران الخطايا.
إنها لحياة عسيرة تلك التي أكرس اليوم لها نفسي...
إنها لمهمة صعبة تلك التي تلقى اليوم على كاهلي...
خصوصاً في هذه الأوقات العصيبة التي يمر بها أبناء شعبي...
لقد أراد الله أن أبدأ خدمتي في زمن الإنتفاضة،
فأعظ بشعب صمم أن يطرح النير عن ظهره، شعب عاهد
الله أن يحيا بكرامته. لهذا تراني أرفع لله صلاتي هاتفاً:
إلهي... أنت ترى أبناء شعبي كيف يتأرجحون بين الخوف والأمل،
تارة يرعبهم الشك وتارة يغمرهم الفرح...
فهلا أعطيتني كلمة نبوية تضيء لهم دربهم، كلمة تكشف لهم
حاضرهم وتنير لهم مستقبلهم!
هلا منحتني كلمة علوية تدفن أحقادهم وتضمد جراحاتهم وتغير أحوالهم!
إلهي إن لم تسر أنت معنا فستخور قوانا وسيذبل أملنا،
أما إن سرت معنا فسيبارك عملنا وستزهر حياتنا.

أجل يا إلهي، لست أرجو منك اليوم حياة بلا صعوبات ومآس،
لست أسأل طريقاً بلا أشواك وعوائق، إنما أسألك سؤالاً
واحداً... أن تسكن بيننا وأن تسير معنا!
لقد تجسدت بالمسيح وصرت واحداً منا،
جلت في سهولنا وجبالنا، قاسمتنا أفراحنا وأتراحنا!
جئت أرضنا لتكون مصباحاً يضيء لنا ظلمات عالمنا!

وفي مثل هذا اليوم، يوم العنصرة، سكبت من روحك
على نفوسنا، وملأت مصابيحنا بزيت لا ينفد ولا يفرغ.
وهنا يكمن سر قوّتنا. فأنت من يشع النور ليضيء سبيلنا
لذا سنسير في هذا الدرب، سنسير شعباً وكنيسةً وأفراداً،
لن نخاف بعد اليوم، بل سنشق طريقنا.
وسنمضي قدماً لنشر بشارة الإيمان والرجاء والمحبة.

# بيت لحم

**ميخا ٥: ١-٤**

تعلمنا ونحن أطفال كلمات النبي ميخا، ذلك النبي الذي عاش في القرن الثامن قبل الميلاد، وحفظناها عن ظهر قلب... «وأما أنت يا بيت لحم أفراته...». لذلك ارتيت في هذا الصباح أن نتأمل معا في بيت لحم، خاصة وأن أنظار العالم قاطبةً تحج في هذه الأيام إلى مدينتنا هذه...

١. **بيت لحما** : هي كلمة آرامية الأصل وتعني بيت الخبز... وربما جاء هذا الإسم لأن القمح كان أحد أهم المحاصيل الرئيسية في هذه المنطقة قي القديم، خاصة في السهول الشرقية من البلدة (بيت ساحور)، من ناحية أخرى، كان لحما عند الكنعانيين القدامى إله الخصب... وبالتالي كانت بيت مقر لحم إله الخصب والخضرة، فكميات الأمطار التي تسقط على هذه الجبال كافية كي تُنجح فيها الكثير من الأشجار المثمرة كالزيتون واللوز والرمان وغيرها من البقوليات. ولكن الإسم العربي (بيت لحم) أي بيت اللحم ينطبق أيضاً على هذه المنطقة، فبجانب المزروعات، تشكل الثروة الحيوانية، خاصة الأغنام جزءاً مهماً من اقتصاد هذه المنطقة... وحتى منتصف القرن العشرين كانت العائلة الفلسطينية تعتاش طوال السنة على منتوجات الزراعة والرعي هنا. وما كان على العائلة إلا أن تشتري في كل موسم ما يلزمها من مأكولات لتحفظها في زمن لم يكن فيه بعد ثلاجات أو مواد حافظة. فمن الفريكة، إلى زيت الزيتون، إلى الزعتر، إلى الجبنة البيضاء، إلى التين واللوز... كانت هذه هي السلة الغذائية المتكاملة للأسرة الفلسطينية.

إذاً اسم بيت لحم ارتبط بالخبز واللحم، ولذلك سميت المنطقة أفراتا... لذلك يقوك النبي ميخا:«وأما أنت يا بيت لحم أفراته...»، أفراتا هي أيضاً كلمة آرامية تعني «المثمرة»... ميخا يدعو بيت لحم بالمنطقة المثمرة... قد لا تكون مثمرة قياساً مع سهول الولايات المتحدة، ولكنها كذلك إذا ما قورنت بالبادية الواقعة إلى الشرق منها.

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٢٣.

٢. «**وأنت الصُّغرى بين رؤساء يهوذا**...»: بيت لحم كانت وما زالت مدينة صغيرة مقارنة مع المدن الفلسطينية الكبرى... فإلى الشمال منها تقع القدس العاصمة والمركز الديني لفلسطين... وفي الجنوب هناك الخليل... مدينة كبرى بتعداد سكانها بل هي الأكبر من حيث عدد السكان في فلسطين. وحتى يومنا هذا، مقارنة مع نابلس إحدى العواصم الاقتصادية لفلسطين، ومع رام الله العاصمة المالية والإدارية، ومع الخليل العاصمة التجارية، فبيت لحم تعد صغيرة وبقيت كذلك منذ زمن النبي ميخا وحتى يومنا هذا.

بيت لحم محدودة جداً مقارنة مع المدن الكبرى، كما أن المستوطنات الإسرائيلية اليوم والجدار العازل قتل إمكانية التوسع أُفقياً أو عمرانياً أو زراعياً... وبالتالي فإن حدود بيت لحم لجيل أو جيلين قادمين قد حُدِّدت. إذاً بقيت بيت لحم صغيرة وما زالت صغيرة وستبقى صغيرة... ولولا ولادة المسيح فيها لما كان لها ذكر أو تاريخ.

٣. «**منكم يخرج مُدبِّر**...»: نبوة ميخا هذه... هذه الكلمات القليلة التي قيلت في القرن الثامن قبل المسيح غيّرت مكانة بيت لحم. ففي هذه المدينة الصغيرة وُلد الملك داود والذي صار الملك الأول على فلسطين... وصارت بيت لحم مدينة السلالة الملكية... فملوك فلسطين خرجوا من بيت لحم. لذلك انتَظَر شعب العهد القديم أن يخرج المسيا أيضاً من هذه البلدة. لذلك بقيت الأنظار مُثبّتة على هذه المدينة وبقيت القلوب بانتظار أن يخرج منها ملك الملوك ورب الأرباب.

لذلك عندما سأل هيرودس الملك علماءه «أين وُلِد يسوع؟» أجابوه: في بيت لحم اليهودية!! وجاء يوسف ومريم من الجليل الى مدينة بيت لحم لكون يوسف من بيت داود وعشيرته، أي من السلالة المالكة. ولادة يسوع في بيت لحم قلبت الموازين، لو لم يُولد المسيح هنا لبقيت بيت لحم صغيرة لا يزيد تعداد سكانها عن ٣٠٠-٥٠٠ نسمة. ولكن لأن المسيح ولد هنا كانت أول كنيسة تُبنى من قِبَل الملكة هيلانة في القرن الرابع هنا في بيت لحم... ولهذا جاء آباء الكنيسة والنسّاك، فإلى هنا جيروم وسابا وجاء عمر بن الخطاب حاجاً، وجاء الصليبيّون والمرسلون... وما زال رؤساء الدول يتوافدون على هذه المدينة الواحد تلو الآخر كي يسجدوا أمام مذود الطفل الوديع. وليس هذا فحسب بل أَجرُؤ على القول أن ما يزيد عن ٨٠٪ من اقتصاد البلدة مرتبط بذلك الحدث الذي جرى قبل ألفي عام. فالسياحة - وهي عماد هذه المدينة - مرتبطة بالمسيح، فلو لم يُولد المسيح هنا لما جاء واحد إليها.

وبالإضافة إلى السياحة تُشكل الكنائس والمؤسسات المسيحية المشغل الأكبر لأبناء هذه البلدة... فكم من المدارس المسيحية موجودة هنا... بل هي الأكثر تعداداً في فلسطين قاطبة... وكم هي المؤسسات الاجتماعية والثقافية والنوادي التابعة للطوائف، ولو لم يولد المسيح هنا لما كان لنا مُؤسسات أو كنائس. فأكثر التاس تعلماً تخرجوا في المدارس المسيحية وتخرج في الكليات والجامعات المسيحية، والأكثرية تكسب رزقها وقوتها من هذه المؤسسات...

في المدينة الشقيقة مايشنغن، مرسيدس هو المُشغل الأكبر... تقريبا ٨٠٪ من سكان زندلفنغن يعملون في شركة مرسيدس. هنا، ٨٠٪ من سكان بيت لحم يعملون في مِهَن ومؤسسات مرتبطة بالمسيح... المسيح هو المُشغّل الأكبر لأبناء هذه البلدة، ولولاه لما كنا هنا!! هذه حقيقة.

٤. ولكن أخيراً... يسوع هو الذي يُمُدّنا بالقوت اليومي عبر المؤسسات، ولكن الأهم أن يسوع هو خبز الحياة... ففي نفوسنا جوع وعطش لأكثر من الخبز الأرضي، ولأكثر من ماء الينابيع. قلوبنا عَطْشى إلى شيء سماوي لا تستطيع الأرضيات أن تُشبعه.

لذلك عندما بشّر الملاك الرعاة، لم يقل لهم: وُلِد لكم اليوم مُشغّل ! بل وُلِد لكم اليوم مُخلِّص... مُخلِّص من الخطايا العالقة بنا... مُخلِّص من الآثام التي تُنغِّص عيشنا... مُخلِّص من الكوابيس التي تُلاحقنا. إذاً نستعد غداً لاستقبال طفل المغارة... دعونا نستقبله كما تستقبل الأرض العَطشى الأمطار، فعندما يظهر الله في حياتنا يقلبها رأساً على عقب، يُغيرها كما غيّر مدينتنا ويقدّسها ويجعل منها حياة مثمرة مليئة بالخير والعطاء والخُضرة.

**آمين.**

# اليوبيل

مئة و خمسون عاماً مرت كلمح البصر...
مئة و خمسون عاماً وهذه الكنيسة توزع الكلمة...
ليلا ونهاراً... صبحاً ومساءً... صيفاً و شتاءً...
مئة و خمسون عاماً ونحن نربي الأجيال بل نربي الأمل...
شاهدين للمصلوب رباً و مخلصاً.
بالأمس تحدثنا عن الإنسان...
عن المبشرين... عن الرعاة... عن المديرين...
بالأمس سلّطنا الأضواء على المؤسسات...
جمعية القدس في برلين... مدرسة شنلر...
الكنيسة الإنجيلية العربية... وعن تطور دار الندوة ومجموعة ديار...
اليوم نقف في حضرة الله...
نود أن نقرأ التاريخ بعيون الله... نريد أن نعطي المجد كل المجد للاله...
فبين الأكاديميين نتحدث عن الأكاديمية...
ومع المؤرخين نؤرخ التاريخ بأدوات العلم و بلا تحريف...
أما مع جموع المرنّمين فلا يليق إلا الإيمان والتسبيح...
إذ ننظر إلى الخمسين سنة بعد المئة بعيون الإيمان نتعلم دروساً كثيرة.
ولكن أهمها ثلاثة :

**١. الدرس الأول في الجغرافيا :**

قبل مئة و خمسين عاماً ولدت هذه الكنيسة شأنها شأن مخلصها لم تجد لها مكانا في المنزل (وكأن الله في هذا - لم يرد أن يكون ميلاد هذه الكنيسة مختلفاً عن ميلاد ابنه ).. لم تجد من يبيعها أرضاً أو أن يعطيها مكاناً في بيت لحم القديمة... فاضطر موللر - وعلى مضض - أن يشتري أرضاً من الفواغرة وأن يبدأ العمل من مقر كان حينذاك على هامش المدينة... وعلى المدبسة تحديداً... خارج حدود البلدة... ولكن ما لم يره أتباع الطوائف الأخرى حينها... أن الله سيغير الجغرافيا...

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١٠/٥/٢.

فبعد مئة و خمسين عاماً صارت المدبسة مركز البلد النابض بالحياة... و صارت كنيسة الميلاد بمؤسساتها قلب المركز... قلباً يغذي هذه المدينة بدماء متجددة وبثقافة وروحانية متدفقة...

و لا أبالغ إن قلت أن الجغرافيا إنما هي أيضا مرآة لدور هذه الكنيسة... التي أراد الله لها دوراً مركزياً... محورياً... جوهرياً -لا على الهامش- في تنمية هذه المدينة ورفعة شأن مواطنيها.

فالله هو الذي كان وراء هذه النقلة النوعية من الهامش الى المركز... فله وحدة المجد والتسبيح.

**٢. الدرس الثاني في التاريخ:**

قبل ثلاثة آلاف عام وفي هذه المدينة بالذات أرسل الله نبياً... شيخاً جليلاً... ليبحث عن رجل من خلاله سيغير التاريخ...

شيخ هذه القرية حينها اختار من بين أولاده البكر والأكبر سناً والأقوى بنية... وبذلك نظر إلى الكم لا إلى النوع... إلى الحجم لا إلى الفعل...

ولكن الله بحكمته اختار داوود ملكاً، وهو الأصغر سناً بين إخوته...

فلا عجب إذاً أن يختار الله في هذا الزمن طائفة صغيرة لم تكن الأكبر في هذه البلد... ولم تكن الأكبر حجماً ولا عدداً... بل لكرمه... ولكثرة رحمته... وغزارة نعمته... اختارنا... هكذا هو الله يختار المزدرى... وغير الموجود ليخزى الموجود... هو الله الذي أراد أن يغير تاريخ هذه المدينة بواسطة هذه الكنيسة...

**٣. أما الدرس الثالث فهو في السياقة:**

قال يسوع قبل ألفي عام... «من يضع يده على المحراث و ينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله»... ولكنه لو جاء في هذا الزمان لقال: «من يجلس على مقعد السياقة ولا ينظر في المرآة الخلفية للحظات... فلن يستطيع التجاوز أو التقدم إلى الأمام»...

في احتفالنا هذا لا نريد أن نرجع إلى التاريخ لأننا بذلك نرجع الى الوراء Reverse، وإذا أردنا أن نتأمل في تاريخ هذه الكنيسة... إنما ننظر في المرآة اليسرى لأننا لا نريد أن ننظر خلف الركب في أماكننا، لأننا قد أضأنا الغمازة... ونريد تجاوز الركب... والتقدم إلى الأمام بتسارع أكثر...

هي لحظات قصيرة... سريعات قليلة... ننظر فيها إلى الوراء بلمح البصر... ولكن هي إلى سائرة الأمام... نريد ترك المكان الذي نحن فيه... نريد التقدّم... نريد أن نصل إلى المكان الذي أعد لنا ولكن وعبر المرآة الجانبية، لأن الأمور تبدو (هكذا يكتب على المرآة ) على غير حجمها...

عندما عاش القس عبود الأحداث يوماً بيوم، وعندما خدم القس شحادة المنكوبين لحظة بلحظة... وعندما علّم المطران نعيم الأحد تلو الآخر... أدركنا حينها أن الأمور تتغير على خلاف ما تبدو عليه اليوم... فاليوم نحن ننظر إليها عبر المرآة الجانبية...

ولكن سيأتي اليوم بعد مضي مئة وخمسين سنة أخرى حين سيجلس آخرون على مقعد السياقة والرعاية وسينظرون في المرآة الجانبية إلى الوراء... إلى زمننا... وستبدو الأمور عندها على غير ما هي عليه الآن... وصغائر الأمور التي تشغل بال الكثيرين لن ترى في المرآة الجانبية... وسفاسف الأمور لن تذكر...
وعبر المرآة الجانبية لا ترى من الأمور إلا ما ارتبط برؤية سديدة... و بما أنتجه الإيمان الراسخ... وبما خطط له بعقل صائب...
وهذه جميعها من الله وبالله ولله. فلهُ وحده المجد.

# صلاة للعام الجديد

يا رب مع إطلالة هذا العام الجديد آتي إليك... آتي إليك خاشعاً... متذكراً أنك من الأزل وإلى الأبد... وأن ألف سنة في عينيك كيوم أمس الذي عبر... وأن الكل يمضي ويزول لا يبقى شيء لا يحول، لا يبقى عشب في الحقول، والزهر أيضاً للذبول، ولكنك رب السما تبقى وكلها تبيد لا دوران لا لا تغيير فيك يا سيدي المجيد...

أجل آتي ذاكراً أن يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد... وأن محبته نحونا لثابتة عبر الأيام والسنين... وأنه مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الأنظمة يبقى على وعده وعلى عهده وعلى قسمه...

مع بداية سنة جديدة آتي إليك طالباً... ألّا تكون هذه السنة أفضل من تلك التي سبقتها... ولا أطلب سنة مليئة بالورود والرياحين والأزهار... ولا أسأل طريقاً مفروشاً بالعطور والأنوار... ولكنني أطلب شيئاً واحداً... وإياه ألتمس... أن تسير أنت معي... أن تسير أمامي فتقودني... وأن تكون بجانبي فتؤنسني... وأن تسير خلفي فتحميني...

نعم يا رب... إن لم يسر أمامي وجهك الطريق... فلن أسير أبداً مهما يكن شكل البريق... مهما يكن شكل الطريق... نعم يا رب... أريد في هذا الصباح أن أسمع صوتك يقول لي:
وجهي يسير فأريحك، وجهي يسير فأريحك
تشدّدَن... تشجّعَن... إني أنا معك... أنا أسير معك!
في اليوم الأول من العام الجديد أسجد في حضرتك...
أطلب عفواً وغفراناً... عفواً على سنين مضت أضعتها بعيداً عنك... وغفراناً عن خطايا أسئت بها إليك وإلى القريب وإلى نفسي...
أجل آتي إليك أطلب صفحاً من إله تأنس وعرف معنى التجربة... وإله صلب ليمحو عنا معاصينا... آتي مدركاً أن السنة الجديدة لن تمر بلا أخطاء... ولكنني

---

* عظة ألقيت في كنيسة الميلاد الإنجيلية اللوثرية بتاريخ ٢٠١٣/١/١.

أسألك إن أخطأت أن تعطيني القوة اللازمة للاعتراف بالخطيئة... والجرأة على مواجهة الإثم... والعفو لمن أخطأ بحقي... وفوق هذا وذاك الإيمان اللازم لأنني بالنعمة مبرر بالإيمان وذلك ليس مني... هوعطية من الله لا من أعمال كي لا يفتخر جسدي... أجل آتي ساجداً مؤمناً أن يسوع ربي أحب الخطاة منذ القديم . ومن أجلهم أخلى علاه منذ القديم وفي القديم

مع بزوغ شمس عام جديد آتي إليك... حاملاً في جعبتي رزمة من الأوراق... وفي فكري كتلة من الأهداف... أود أن أحقق كذا وكذا وكذا... وأحلم أن أنجز هذا وذاك... وأخطط أن أصل إلى هنا وهناك... أهداف... وأفكار... وأحلام... وطموحات ... تتزاحم في عقلي كلها وتدغدغ قلبي وتلازم فكري... أفكاري هذه برمتها أضعها أمام عرشك طالباً أن تنقيها... وتغربلها... وترتبها حسب أولوياتك... ومن ثم أطلب منك أن تعطيني القوة كي لا أخاف من عظمتها بل أن أسترشد بعظمتك... وأن تمنحني الإرادة كي لا تضعف عزيمتي... بل أن تمدني بالإرادة والقوة اللازمة لتحقيقها... أسألك أن تضع هذه الأنشودة في فمي... أستطيع كل شيء بالمسيح يسوع الذي يقويني... أجعل هذا شعاري للعام الجديد... أستطيع/ كل شيء / بالمسيح يسوع/الذي يقويني...

أعطتني اليوم عاماً جديداً ومع فرصة جديدة... فليكن هذا العام أيضاً عام عطاء دائم... علمني أن أعطي كما أعطيتني... كيلاً فائضاً مهزوزاً... علمني أن أعطي من مالي فهو لك ومنك وبك... دربني أن أعطي من وقتي لله... للكنيسة... للمجتمع... للعائلة... لنفسي... دربني أن أفتدي الوقت... أن أملأه... أن أستغله... أن أسخره للعلم وللعمل... لله وللبشر... للبناء لا للهدم... وللخير لا للشر... ففي هذا العام الجديد ستمنحني ٣٦٥ يوماً لا بد أن أملأها... و ٨٧٦٠ ساعة لا بد أن أستغلها... و٥٢٥٦٠٠ دقيقة تريدني أن أحياها وأحييها... و ٣١٥٣٦٠٠٠ ثانية لتمدني بها بالنفس... بالشهيق وبالزفير... وبقلب ينبض بلا تردد ولا تأخير... وجسد سيتابع الأحداث لحظة بلحظة وبكل تمعن وتدقيق...

وأخيراً ومع إطلالة هذا العام الجديد آتي إليك شاكراً... شاكراً لك عطفك ولطفك... أنك تسمع لي... وأنك تنصت لكلماتي... وأنك تستجيب لصوت تضرعاتي... آتي إليك شاكراً واثقاً من أنك لا ولن تتركني... حتى ولو تركتك يوماً فإنك لن تتركني للحظة... وحتى ولو أهملتك فإنك لن تهملني... حتى ولو نسيتك... فأنت يا رب لا تنساني أبداً... لهذا سأخوض غمار هذا العام الجديد بكل ثقة... فإن كان الله معنا في هذا العام الجديد..فمن يقدر علينا!

لهذا سأخوض غمار هذه السنة الجديدة بإيمان راسخ.
إن سنين طويلة مضت والرب معتني بي
وكل يوم محمول على الأذرع الأبدية
ويسوع بيده أمسكني وفي مراع خضر أربضني

فأهلاً بك أيها العام الجديد!
ها نحن مستعدون لك!
ومرحباً بك باسم المسيح الذي يحيينا!

آمـــــين